65573

العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها: حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: تتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

المراسلات
حي الورود - شارع حمد الجاسر ٤٦٦١٢٢٣
ص ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٧، ٨ س ٢٦ محرم/صفر سنة ١٤١٢هـ - حزيران/آب (يوليو/أغسطس) سنة ١٩٩١م

من تاريخ الدولة السعودية الأولى في المؤلفات اليمنية

مَا أَلَّفَهُ مُؤَرِّخُو الدَّولة السعودية من المؤلَّفات المتعلقة بتاريخها، منذ نَشْأَتها في منتصف القرن الثاني عشر الهجري، إلى عهد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل - رحمه الله - في العشر الثانية من القرن الرابع عشر، يُعَدُّ قَلِيْلاً جِدًّا، جُلُّهُ من آثارِ ثلاثة من المؤرخين، حسين بن أبي بكر بن غَنَّامٍ (١١٥٢/١٢٢٥هـ)[1] وعثمان بن عبدالله بن بِشْرٍ (١٢١٠/١٢٩٠هـ) وإبراهيم ابن صالح بن عيسى (١٢٧٠/١٣٤٣هـ) أَوْ مِمَّا وَرَدَ مجموعاً في مؤلفاتهم، من نُتَفٍ موجزة مفرقة. كتبها بعض طلبة العلم، ممن تقدم زمَنَهُمْ أو عاصَرَهُمْ. ومِنْ هُنَا فإنَّ الْمُتَعَطِّشَ للتعمق في دراسة تاريخ تلك الدولة الكريمة في أدوارها الأولى لا يجد في مؤلفات أولئك المؤرخين ما يروي غلّته من حيْث الشمول، ومن حيث الاطمئنان لتعليل بعض الحوادث التاريخية التي لا يجد أمامه حيالها سوى إشارات في غاية الإيجاز، ولهذا فهو في أشد الحاجة إلى البحث في مصادر أخرى، تُفَصِّلُ له ما أُجْمِل، وتكْمِل مالم يذكر، ولقد كان لانتشار نفوذ الحكم السعودي في جميع أنحاء الجزيرة، ولِصلَتِهِ بما يُجَاوِرها من أقطارٍ ما حفز مؤرخي تلك الجهات التي لم يشملها ذالك الحكم إلى تناول أخباره وحوادثه بالتسجيل. ولكن بنظرة قد تغاير نظرة مؤرخيه مما كان له الأثر - بما شابَهُ من تَحَيُّزٍ وهوى - في عدم الاعتماد عليه من قبل مؤرخي الدولة السعودية نفسها، مع مافيه مما يجلو غوامض التاريخ السعودي، ويفصل كثيراً مما أُجمل مِنْهُ.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
المكتبة
KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES

ودراسة التاريخ تتطلبُ اتِّساعَ أُفُقٍ في التفكير، ورحابَةَ صَدْرٍ لِتَقَبُّل ما يعرض من آراءٍ مخالفة، تَحَرِّياً للحقيقة، أيًّا كان مصدرها، وقبولاً للحقّ ممن أتى به أيًّا كان، إذْ هُوَ ضَالَّةُ المؤمن، وما المؤرخ سوى قاضٍ يستمع الأقول فيتوخّى العدل، ويسعى ما استطاع لاستيضاح جميع الوسائل في سبيل ذالك، مُبْتَعِداً عن تأثير العواطف والرغبات ـ أيًّا كان مبعثها ـ والمؤرخ ـ أيُّ مؤرخ ـ عرضةٌ للخطإ، فهو إنسانٌ جُبِلَتْ طبيعتُهُ على كثير من صفات النقص ـ إلاَّ من عصم الله من أصفيائِهِ ـ وما مِيْزَةُ المؤرخ إلاَّ باتِّصافِهِ بالتَّجَرُّدِ التّامِّ في معالجة ما يعرض له من القضايا، بُغْيَةَ الوصول إلى الحقيقة، لهذا كان من أَهَمِّ ما ينبغي لمن يُعْنى بدراسة التاريخ وبحثهِ استكمالُ ما يتعلق بموضوع دراسته من مراجع، بصرف النظر عما قد يكون بينها من اختلاف، وعدم الالتفات إلى بواعث ذالك الاختلاف، مَا لم يكن لشيء منها من الأثر البارز ما يحمل على عدم الاطمئنان والثقة، إذ الغاية الوصول إلى نتيجةٍ قائمة على أساس قويٍّ من تحرِّي الحقيقة، دُوْنَ تَحَيُّزٍ لهوًى أو تأثُّرٍ بعاطفة.

ولقد سبق لي أَنْ نشرْتُ بحثاً ضَمَّنتُهُ ما ورد في أحد مؤلفات معارضي الدعوة السلفية من حوادث شاهَدَ بَعْضَها، ولم يكن مُنْصِفاً ولا صادقاً في كل ماذكر، ولكنَّ مشاهدتَهُ لبعض الحوادث أضْفَتْ عليها من التفصيل، والتحديد الدقيق لأزمانها ما لا يستغني عنه من يُعْنَى بتاريخ بلادنا، ومع أَنني أوضحتُ في مقدمة البحث ما ينبغي إيضاحُهُ من مُسَوِّغاتِ نشرِه ومنها[٢]:

١ ــ ضرورة إلْـمَامِ الباحث في التاريخ بِمُخْتَلف المصادر.

٢ ــ أنَّ تَحذير علمائنا عن مطالعة كتب المخالفين كان الدافع له الخوف من تأثيرها، وقد زال هذا الدافع بالنسبة لمن يُعْنَى بدراسة التَّاريخ بتدرعه بوسائل من العلم والإدراك تحجز دون تأثره بما هو باطلٌ.

٣ ــ أننا في زمن يتطلَّبُ إظهار مافي تلك الكتب من انْحِرافٍ، لِيُحْذَرَ من الوقوع فيه، ولا يكفي إخفاؤها أو محاولة الحيلولة بينها وبين الانتشار، إذْ وسائل النشر في هذا الْعَصْرِ أَصْبَحَتْ بدرجةٍ من القوة واليسر بحيث أصبح من السهل طبع آلاف النسخ ونشرها في أَقْصَرِ زَمَنٍ.

٤ ــ أن الدعوة الاصلاحية بلغت من القوة والانتشار المقام الذي لا يُخْشَى لها

أنْ تتأثرَ بآراءِ معارضيها، ممن أعمى الله بصيرته: ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾. إلاَّ أنَّ أحد الإخوة من علمائنا اتّصل بجهةٍ عالية كَرِيْمَةٍ مستنكراً نَشْرَ ما نقلته من مؤلَّفٍ لأحد أعداءِ الدعوة. فَأَوْضَحْتُ لوزير الإعلام الأستاذ الدكتور حينذاك محمد عبده يماني حين أبلغني ذالك وِجْهَةَ نَظَرِي، ولفَتُّ نظره إلى أن وزير المعارف ـ عن قناعة وعمق إدراك ـ قد أوْعز إلى (دارة الملك عبدالعزيز) بنشر كتاب «لمع الشهاب» وهو مملُوْءٌ بما يَمَسُّ القائمين بتلك الدعوة من عهد الإمام محمد وبمناصريه من آل سعود، إلاَّ أنَّ في الكتاب من المعلومات ما قد يستفاد به، مع التنبيه على ماحواه من أخطاء شنيعة.

لقد مضى الزمن الذي يُستطاع فيه إِسْدَالُ حُجُبٍ من الإخفاء لآراء المخالفين، بمحاولة كتم مصادرها وتجاهلها، والوسيلة المثلى للحيلولة دون تأثيرها إِبْدَاءُ زَيْفِها، وإِبْرَازُ بُطْلَانِها، وبهذا يتم القضاء عليها، بخلاف محاولة كتمانها، فهو من أقوى الأسباب التي تدفع للتعلق بها والبحث عنها (وحبَّ شَيْءٌ إلى الإنسان مامنعا) و(كل ممنوع متبوع).

وكما كان المؤلَّفُ الذي حوى تلك النصوص التي نشرتْ في «العرب» قبل عشر سنوات، عن مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى أُلِّفَ تحت مؤثراتٍ انجرفت بمؤلفه وهو عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالشكور المكِّي عن جادَّةِ الصواب، من حيثُ موقفه من الدَّعوة الإصلاحيَّة انجرافاً جعله يخبط في متاهات الضلال خبط عشواء، بالنسبة للقائمين بمناصرة الدعوة الإصلاحية من آل سعود، ويلصق بأئمة تلك الدعوة من المساوئ والأفعال السَّيِّئَةِ ماهم منه بُرَاءُ، كذا كان المؤلّف الذي أُحاول الرجوع إليه، للاقتباس مما ورد فيه من الحوادث التاريخية التي لها صلة بتاريخ الدعوة وأئمتها ومناصريها إلاّ أنَّ مؤلِّفَهُ لطف الله بن أحمد بن لطف الله جَحَّاف (١١٨٩هـ/١٢٤٣هـ) كان على درجةٍ من التَّعَقُّل حَالَتْ دون انحراف لسانه بسَيِّءِ القول ـ كابن عبدالشكور ـ وإنْ لم يتَحَاشَ وَصْمَ الدعوة بما هي منه بريْئة، فالمؤلفان يتفقان في بواعث مُؤَلَّفَيْهِمَا وأبرزها التزلف بهما لنيل رضا حاكمي بلديهما اللذين أَلَّفَا كتابَيْهِمَا لهُما.

وميزة كتاب حَجَّافٍ بالنِّسْبَةِ لما فيه من نصوص تاريخية أنَّ مؤلِّفَه عَاصَرَ الحوادثَ التي تحدث عنها كابن عبدالشكور ولكن جَحَّافًا كان ذا صِلَةٍ قويَّةٍ بحاكمي اليمن في عهده المنصور علي بن العباس وابنه المتوكل أحمد، وقد ألف في سيرة الأول كتابه الذي دعاه «درر نحور الحور العين، في سيرة الإمام المنصور علي وأعلام دولته الميامين».

وهناك من مؤرخي اليمن وعلمائه مَنْ هو أوسع اطِّلاعاً على تاريخ الدولة السعودية، وأنفذ بَصِيْرَةً، وأجلَّ إدراكاً وفهماً وعلماً بحقيقتها من جَحَّاف، وهو شيخه الإمام العالم المجتهد محمد بن علي الشوكاني (١١٧٣/ ١٢٥٠هـ) وقد ذكر في كتابه «البدر الطالع» ـ ج ١ ص ٢٦٣ ـ في ترجمة سعود بن عبدالعزيز بن محمد (١١٦٣/ ١٢٢٩هـ) أنَّ له مؤلَّفاً أفرد به الحوادث العظيمة في عهده، وقد كان بِصفة نفوذه لدى رجال الحكم في اليمن يتلقَّى الرسائل التي تَرِدُ من حكام نجد وعلمائها، ويَتولَّى كتابة الرَّدِّ عليها باسم أولئك الحكام كما ذكر في «البدر الطالع» ج ٢ ص ٧ ترجمة الشريف غالب بن مساعد، أنها في مجموعه، ومؤلفه عن الحوادث في عهد سعود لايزال مفقوداً، أمَّا أجوبته على مايرد من الحكام فلايزال يوجد مجموعٌ يحوي كثيراً منها، مع الرسائل التي أجاب عنها، نشر أحد الاخوة في (جامعة عدن) وهو الدكتور صلاح رمضان محمد قسماً منه بعنوان «ذكريات الشوكاني» يحوي فَصْلاً مطوَّلاً عـمَّا نحن بصدده، وفيه عدد من الرسائل وأجوبتها، إلَّا أن المؤلف الفاضل ما كان على درجة من فهم حقيقة الدعوة الإصلاحية تحمل على الاعتماد على ما أورد حيالها ، ولهذا فإنَّ ذالك المجموع من آثار الشوكاني لايزال بحاجة إلى دراسة وتحقيق. وقد سَعَيْتُ للحصول على صورة من أصل المخطوطة، وآمل أن يتحقَّق لي ذالك، فهو أوْلَى بَأَنْ يُبْدَأ به في الحديث عما لعلماء ذالك القطر الحبيب من بلادنا من المؤلفات التي تتعلق بتاريخ الدعوة الإصلاحية التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ في مراحلها الأولى.

ولعل ما يلحظه القارئُ في عبارات المؤرخ جَحَّافٍ من عَدَم قَسْوَةٍ في كلامه

على بعض ما يَتَّصِلُ بتلك الدعوة من أنْباءٍ من تأثير نظرة شيخه الشوكاني إليها، وإنْ لم يُؤْتَ جَحَّافٌ من نفاذ البصيرة وعمق الإدراك ما أوتي شيخه ـ كما يتضح هذا لكل من طالع مؤلفه «درر نحور الحور العين» الذي سأحاول إيراد جميع ما يحويه من نصوص في الموضوع.

وقد فصَّلَ الأستاذ عبدالله بن محمد الحِبْشِيُّ القولَ عن هذا الكتَاب، وعن مؤلفه في «العرب»[٣] ومما قاله بصدد موقفه من الدعوة السلفية: وهو في روايته عنها يَبْدُوْ مُحَايداً لَا يَعْنِيه فيما يَكتبه سوى إيراد المعلومات دون تَحَيُّزٍ إلى مَذْهَبٍ مُعَيَّنٍ. كذا قال الأستاذ وهذا صحيح في مجمله، إلا أنه قد ينسب إليها ماليس صحيحاً كتكفير العموم، وغير ذالك مما لاداعي للتوسع في بحثه، ولكن مؤلف الكتاب لم يك ذَا انْفِعال وشِدَّةٍ في مواقفه ضِدَّهَا، يَبْدُوْ هذا في مُحاولته التَّثَبُّتَ من بَعْضِ مانُسِبَ إلَيْهَا، ومُرَاجَعَتِه في ذالك أَحَد عُلَـمَائِها، وهو الشيخ عبدالعزيز ابن أحمد بن عبدالوهاب، ابن عم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وصِهْرُهُ، ورئيسُ وَفْدِ سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب صنعاء، وإن لم يكن ذا استجابة وقبول وقناعة في المسائل التي أخذها على الدعوة وأوضح له الشيخ عبدالعزيز أدِلَّة التَّمَسُّكِ بها، مما سيأتي تفْصيله في بحثٍ آخر ـ وهذا منَ الأمور الَّتي تُبْرِزُ الرجُلَ بصورة من التَّذَبْذُبِ وعدم الثَّبَات في أَحْوَاله، كما وصفه بذالك شيخه الشوكاني في آخر كلامه في ترجمته في «البدر الطَّالع» وإنْ حاول الصَّدِيْقُ الأُستاذُ الحِبْشِيُّ تعليلَ كلام الشَّوكانِيِّ خِلَافَ الظاهِرِ منه.

ويوضح الأستاذ الحِبْشِيُّ مصادر لطف الله جَحَّاف بأنها:

١ ــ مكاتبات خاصَّة في هذا الشأن جرتْ بينه وبين بعض أهل مكة، ومنهم عبدالعزيز بن أحمد[٤].

٢ ــ مشاهدات شخصية رآها أثناء حجه في مكة سنة ١٢١٣هـ.

٣ ــ ما زوَّدهُ به الرسُلُ الذينَ ورَدُوا إلى اليمن من معلومات، ومنهم عبدالله بن المبارك[٥].

وأُضِيفُ إلى ذالك أنه قد يَتَلقَّفُ بعض الأخبار عن مَنْ لا يوثق به، أو من أحد

المناوئين لدعاة السَّلَفِيَّةِ فيورده على عِلَّاتِهِ.

ومما ينبغي إدْرَاكُهُ أَنَّ عُلَمَاءَ اليمن في عهد قيام الشيخ محمد بن عبدالوهاب بنشر الدعوة الإصلاحيَّةِ السَّلَفِيَّةِ كان من بينهم من هو على دَرَجَةٍ من الوعي والإدراك والتحرُّرِ الفكريِّ من البدع والخرافات، ممن سَارع إلى قبول دعوة الشيخ عن قناعةٍ واعتقاد كالإمام محمد بن إسماعيل الأمير (١٠٩٩/١١٨٢هـ)[٦] الذي عَبَّر عن سروره بقيام تلك الدعوة بقصيدته الرائعة، في أكثر من سبعين بيتاً، مطلعها:

سَلَامٌ عَلَى نَجْدٍ وَمَنْ حَلَّ في نَجْدِ ... وَإِنْ كَانَ تَسْلِيْمِي عَلَى البُعْدِ لَا يُجْدِيْ

قَالَ فيها عن الشيخ محمد:

مُحَمَّـدٍ الْهَـادِيْ لِسُـنَّـةِ أَحْمَـدٍ ... فَيَا حَبَّذَا الْهَادِيْ وَيَاحَبَّذَا الْمَهْدِيْ

وقَالَ عن اتفاقهما في الْعَقِيدة:

لَقَدْ سَرَّنِـي مَاجَاءَنِـيْ مِنْ طَرِيْقِهِ ... وَكُنْتُ أَرَى هٰذِي الطَّرِيْقَةَ لِـيْ وَحْدِيْ

إلَّا أَنَّ دُعَاةَ السُّوْءِ من أَعْدَاءِ الدعوة أشاعُوا عنها ماغيَّر نظرة ذالك العالم الجليل، حتى قال قصيدةً صَرَّحَ فيها برجوعه عما قال من الثناءِ على الشيخ، وكَرَّرَ وَصْمَ دَعوته الإصلاحية بما نسبه إليها أعداؤها زوراً وبهتاناً، وقد أَلَّفَ الشيخ سليمان بن سحمان (١٢٦٨/١٣٤٩هـ) رسالةً في الموضوع دعاها «تبرئة الشيخين» يرى فيها أن القصيدة الأخيرة ليستْ لمحمد بن إسماعيل الأمير، ولكنَّ مؤرخي اليمن المعاصرين لمحمد هذا يثبِتُوْنَها له، وقد أورد جحَّافُ في أول كتابه القصيدتين في ذكر حوادث سنة ١١٨٩ ـ وسيأتي نَصُّ كلامه في المبحث المتعلق بالأمور التي نسبها جَحَّافُ إلى الدعوة مِـمَّا لا يتصل بالحوادث التاريخية.

ويلاحظ أنَّ هذا الكتاب الذي حوى ما سَيُقَدَّم للقارئ لا يتحدث إلا عن وقائع تاريخية في خلال ٣٥ عاماً، من سنة ١١٨٩ إلى سنة ١٢٢٤ ـ مما يتعلق بتاريخ الدولة السعودية.

ومع أنَّ المؤلف خَصَّصَ مؤلَّفَهُ هذا لِتَدْوِين سيرة المنصور ، فصاغه كأغرودة مَدْحٍ وَثَنَاءٍ ، إلَّا أنه لم يَسْتَكْمِلْ تَدْوِينَ تلك السِّيرة وجاء في طُرَّة أقْدم مخطوطة للكتاب معروفة في اليمن مانصه : (في عام ١٢٢٢ لـمَّا تفاقم الخطب، واضْطَربتْ أحوالُ الدولة، وصار سيف الإسلام أحمد بن الإمام المنصور مضطرباً في تحويل حال والده المنصور ، وذكر للمؤلف ـ غفر الله له ـ: هَلْ يجوز له السكوتُ على تلك الحال ؟ فقال: قد أمر الله بالوفاء بالعقود، ومن العقود الإفراج عن الناس ما صاروا فيه من ضِيْقٍ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وهذه من العقود، ثم من العجب أنْ كان تاريخ هذا العام: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ انتهى. كما جاء في آخر تلك المخطوطة: (قال المؤلف غفر الله له: (ونظرت عام موت المنصور فكان تأريخه: ﴿ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾. انتهى فاقرأْ واعجب لتغاير نظرتي المؤرخ إلى من تزلف إليه بتأليف الكتاب.

وكان آخر ماجاء في المخطوطتين ترجمة محمد بن صالح بن أبي الرجال، المتوفى في ١٤ شعبان سنة ١٢٢٤ ـ ثم ذكر انتهاء التأليف في ٢٩ ربيع الآخر سنة ١٢٢٨هـ، وليس في الكتاب ذكر لحوادث أربع السنوات الواقعة بين سنتي ١٢٢٤ و ١٢٢٨ ، مع أن المؤلف أشار إلى أنه: (قد تهيَّأ لذكر حوادث السنين والأيام بدولة مولانا الإمام.. أحمد بن المنصور..) وتقدَّمت الإشارةُ إلى أنه توفي سنة ١٢٤٣ ـ وجحَّاف مؤلِّفٌ مُكْثِرٌ مما يحمل على الظَّنِّ بأنه لم يهمل ما يقرب من عشرين عاماً من سني حياته دون أن يُسَجِّل حوادثها العامة، ويَعْني القارئ هنا ما يتعلق بتاريخ الدولة السعودية، وفيما دَوَّنه منه ما يُضِيف معلومات قد لا يجدها عند غيره من مؤرخي تلك الدولة، وهو ما سأعرضه مُعَوِّلاً على المخطوطتين اللتين تمكنتُ من الحصول على صورتيهما وأولاهما نسخة المؤرخ اليمني المعروف محمد بن محمد بن يحيى زبارة (١٣٠١/١٣٨١هـ) وقد نُسِخَتْ لجمال الدين علي بن محمد ابن أحمد بن إبراهيم ـ بدون ذكر تاريخ النسخ فاشتراها منه السيد محمد زبارة سنة ١٣٥٠هـ ، باثنين وعشرين ريالاً وبعض الكتب، وعلَّق عليها بعض الحواشي، وتقع في (٧١٧) صفحة بالخط الفارسي. أما النسخة الثانية فهي أحدث خَطًّا حيث نسخت في المحرم سنة ١٣٥٨هـ ـ وخطُّها غير متقن، وتقع في (٥٠١) من

KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES
المكتبة

الصفحات، ويظهر أن أصل المخطوطتين واحِدٌ ، ويحدث اختلاف يسير جدًّا في بعض الكلمات لعلَّ مردَّهُ إلى اختلاف قراءة الناسخين لا إلى تغاير ما ينسخان عنه. ولوضوح خط النسخة الأولى، ولعناية المؤرخ اليمني السيد محمد زبارة بها بما قد يضعه في الهوامش من إشارات أو إضافات أو تصحيحات اتَّخَذْتُهَا أصْلاً فيما أنقل مشيراً إلى صفحاتها، وقد أضيف من النسخة الثانية زيادة بين مربعين [. . .] وقد ذكر الصَّديقُ الأستاذ الـحِبْشِـيُّ نسختين أُخريين قديمتي الخط ـ انظر «العرب»: ٩/ ٣٠ لم يَتَسَنَّ لي الحصول على صورتيهما ـ وما أتوقَّعُ في إحداهما زيادة عـمَّا بين يَدَيَّ ، كما يَتَّضِحُ مما نقل الأخ الـحِبْشِـيُّ من أحداهما، ولعلها النسخة التي قال إن بعض أوراقها بخط المؤلف.

وسأحافظ على نصِّ كلام المؤرخ جَحَّاف ـ وإن كان فيه ماهو مخالف للحقيقة، مُكْتَفِياً بالتنبيه على ذالك بإيجاز ، فِيْـمَا أُلْحِقُهُ بكلامه بعد كلمة (إضافة) للفصل بين مايُوْرِدُ، وما يَتَّضِحُ لِـي حَوْلَ ما يَسُوْقُ من حوادث، وأُعْنَى أكثر ما أُعْنَى بالرجوع لإيضاح موقف مؤرخي الدولة السعودية منها، من الجانب التاريخي.

سنة ١١٦٥ ـ استجابة خثعم وأكلب للدعوة السلفية:

يُلْمَحُ من الخبر المتعلق بالتعرض لحاج اليمن (العُصْبَة) في شهر المحرم سنة ١١٩٦هـ أن الدعوة السلفية قد بدأت تنتشر وتجد قبولاً بين قبائل جنوب الجزيرة، وأنَّ قبيلتي خثْعَم وأَكْلُبَ من أَوَّلِ المستجيبين لِقَبُولها، وهذا مما لم أرَ له ذكراً فيما بَيْنَ يَدَيَّ من مؤلفات مؤرخيها كابن غنام وابن بِشْرٍ ، وكان أول مَرَّةٍ أجِدُ الأخير ذكر قبيلة أكلب في حوادث سنة ١٢٣٠ في كلامه على منازلة محمد علي باشا صاحب مصر بعساكره قبيلة أكلب، واستيلائه على تبالَةَ، أثناء اكتساحه للبلاد في غزوته المعروفة.

وهاهو نصُّ كلام جحَّاف عن حادثة حاجّ اليمن في المحرم من سنة ١١٩٦ ـ:

١ ــ قال جَحَّاف في ذكر حوادث سنة ١١٩٥ : [ص: ١٠٠] وفي هذا العام نَفَذَ حَجُّ اليمن، فقصدوا طريق الحجاز ، فَبَلَغُوا محلةً يقال لها الصُّلُّبات بصاد

مهملة مضمومة، ولام مشدَّدة مضمومة، بعدها موحَّدة فَأَلِفٌ، فتاءُ تأْنِيث ـ قرية من أعمال بلاد غامِد، ففاجأتْهُمْ قبائل الأَكْلب، وهم بنو تغلب، وقبائل آل السيَّار، وهم من خَثْعَم، فباشروهم بالطعن والضرب، والسلب، فقُتِلَ من حاجِّ اليمن والحجاز وقحطان نحو الخمسين، وانتهبوا نَحْوَ الْـمِئَتَيْنِ من البغال والحمير، موقرة بضائع الحاج وتجارته، وكان ذالك بعد العود من قضاء مناسكهم، حَسْبما نُفَصِّلُهُ في عام ستٍّ وتسعين فالحادثة كانت نهار الخميس ثالث شهر الله المحرم عام ست وتسعين. وإنَّما قدَّمنا هذا لأَنَّهُم كانوا يتحدَّثون عند ورودهم أَنَّ أهلَ الصُّلُباتِ أسمعوهم ما يُؤْلِمُ، فأَنْتَجَ بَعْد الْعَوْدِ هذا. انتهى.

٢ ــ ثم قال في ذكر حوادث سنة ١١٩٦: [ص: ١١٦] وفي نهار الخميس، ثالث شهر الله المحرم عَدَتْ قبائلُ بني تَغْلِبَ وخَثْعَمٍ على حاجِّ اليمن، فتفرقت عُصَبُهُمْ في ذالك اليوم أَيْدِي سَبَا، لأنه استطال عليهم الـمَعْدَا خمس مَرَّاتٍ وتَقَطَّعُوهم بِالْأَكامِ والملاوي، واستفصحُوا الخبر عن السبب فقيل لهم: إنَّ بني تغلب قد أجابتْ داعِيَةَ نَجْدٍ، ودخَلَتْ مع خَثْعَمَ من ذالك العام، وأَنَّ تَقَطُّعَهُمْ لهم بأمرٍ من الشيخ عبدالعزيز الدِّرْعي، فلما ذهبُوا بأسلاب حاج اليمن إلى عبدالعزيز قال: أَسَأْتُمْ، فإنِّي ما بعثتكم للسلْب، ولكن لتأْتُوني برأس أميرهم. فقالوا: طِبْ نِفْساً فسيقدمون عامَهُمْ هذا ونأتيك برأْسِ العُصْبة. وسنأتي على خبرهم، وماكان من أمر الشريف سُرور بن مُسَاعِدٍ مع حاجِّ اليمن في آخر هذا العام مفصلاً مستوفى.

٣ ــ ثم زاد تفصيلاً في ذكر حوادث سنة ١١٩٦: [ص: ١٢٣] وفيها نحا أمير الحاج محمد بن حسين المراجل بعصبة اليمن، قاصداً بيت الله الحرام، وجاءتْ طريقُهُ المعتادة الحجاز، وهي الطريق المعروفة التي ابتدع سفرها والده الحسين بن مهدي الكبسي، فلما قاربوا بني تَغْلِبَ خَافُوا بَطْشَهُمْ بهم، فعَدَلُوْا تهامة الحجاز، وساروا بالخوف والرجاء[٧] على مشقة صادروها، فبلغ بني تغلب عُدُوْلُهُم فكتبُوا إلى النَّماص يرغبون الحاج في سلوك طريق الصُّلُبات وبلاد خثعم، واشترطوا جُعْلاً واسعاً، وحلفوا بالله لاغدروا بهم، ولا نَالُوا منهم سُوْءًا، وأناطُوا

ٱلأمْرَ بالقاضي مَنَّاعٍ ـ بتشديد النون ـ قاضي تبالة من بلاد خثعم، فأبى أميْرُ الحاجِّ وعُصَب اليمن أن يمرُّوا بهم، ويحملوا مشقَّةَ السير في غير الطريق، وهذه المحلَّة يعني تَبَالَة التي بها القاضي منَّاع هي التي بعث إليها عبدالملك بن مروان أميرَهُ الحجَّاج بن يوسف مُتَوَلِّياً عليها فَاسْتَصْغَرَهَا فقال: مالي ولِوِلاَيَةٍ تستُرها أَكَمَةٌ فرجع، وضرب الناس في ذالك المثل فقالوا: (أَهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحجّاج) نَعَمْ: ووصل إلى أمير الحاج كتابٌ من القاضي مَنَّاعٍ يُصَدِّقُ مازعمته بنو تغلب فلم يُسْعِدْهُ إلى ذالك، وكان القاضي من الفصحاء الأذكياء، له شغلة بأهل اليمن، ومذاكرة معهم في ورودهم عليه سؤالات، ورأيتُ من شعره مارثى به محمد بن مهدي الكبسي المراجل، وكان له به عَقِيدَةٌ، قصيدةً مطلعها:

خَطْبٌ أَلَمَّ بِأَرْضِ نَجْدٍ أَفْجَعَا وأَفَاضَ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنِّي أَرْبَعَا
رُزْءٌ أَصَابَ صِغَارَنَا وكِبَارَنَا وَأَقَامَ وَسْطَ الْقَلْبِ حُزْناً مُوْجِعَا

يقول فيها ذاكراً للحسين بن مهدي بإجابته دعوته لربه:

قَدْ كَانَ شَمْساً يُسْتَضَاءُ بِنُوْرِهَا وَيُجِيْبُ دَعْوَتَهُ ٱلإِلٰهُ إِذَا دَعَا

ولَـمَّا خلص أمير الحاج بأهل اليمن إلى مكة المشرفة قصد الشريف ٱلهُمامَ سُرورَ بن مُسَاعَدٍ شاكِياً عليه مانزل به وبأصحابه العام الماضي من قبائل الأكلب وآل السيَّار، وأفصح عن جماعة القتلى ـ وقد أتَيْنَا على عِدَّتِهم في سنة خمس وتسعين ـ وماذهب عليه من المتاع والدواب، فَتَوَجَّعَ لهم الشريف سرور، وسألهم: ما المطمع لهم في سلوك هذه المهالك والساحِل أَوْلَى لهم ؟ فأفصحوا عن قِلَّةِ ذاتِ اليد، وأبانُوا الْعَجْزَ عن تحمُّلِ مَشَاقِّ الساحل، فقال: لا بَأْسَ عليكم سأُصْحِبُكم كتاباً إلى الحراميَّة الأنجاس، وليكن مروركم عليهم إلى تَبَالَةَ، أَوْ إلى أيِّ محلٍّ شئتم، وإيَّاكم المحاذرة وكتابي بأيديكم، ولَفْظُ كتاب الشريف سرور ـ تغمده الله بالرحمة ـ هذا: (يعلم الواقف على هذا، والناظر إليه من الغلمان المكرمين من قبائل أكلب، وآل السَّيَّار أنه وصل إلينا الكبسي يشكو أنكم أخذتُمْ عليه وعلى جماعته زهاب وبغال، فإن تردُّوا وإلَّا فنحن أدرى بكم، وأنتم مجنايون(؟) من مكة وأسواقها، والطائف وأسواقه، ولكل نَبَإٍ مستَقَرٌّ وسَوْفَ

تعلمون). ثم دَعَا عبيده في تلك الحال، وأمرهم أن يَسْلُبُوا جميع من وجدوا بأسواق مكة وأسواق الطائف من قبائل الأكلب وآل السيار ، فسلبوهم بأسواق مكة في ذالك اليوم. ولما عاد حاجُّ اليمن ووصل بهم المراجل إلى سوق رَغْدَان، وجد به جماعات من الأكلب وآل السيار ، فعرفهم أن يصلوا إليه ليقرأ عليهم كتاب سرور بن مساعد، فوصلُوا فقرأه عليهم، فقامت الأكلب فقالت: أنت والشريف سرور مأخوذين إن شاء الله ، ولابُدَّ نَتَمَلَّكُكُمْ، وأطاعتْ في تلك الحال قبائل آل السيَّار وقالوا: لابأس عليكم، ونبرأُ إلى الله وإلى الشريف من ذالك الصنيع. ومعنى قول الشريف (مجنايون) في عرف أهل مكة أي مقطوعون عن الدخول إليها. انتهى.

إضافة: يراد بهذه الكلمة إيضاح بعض ماهو بحاجَةٍ إلى إيضاحٍ مما ورد في كلام المؤرخ اليمني، دون اندفاع في التَّعَمُّقِ في ذالك أو محاولة الاستقصاءِ بتناول الأمور اليسيرة التي لا تمس جَوْهَرَ البحث.

١ ــ موقف الإمام عبدالعزيز بن محمد ـ رحمه الله ـ من نَهْبِ الحجاج اليمنِيِّيْنَ ـ كما صوره المؤرخ ـ لا يتفق عما عُرِفَ عنه مِنْ رجاحة عقلٍ، وحِرْصٍ على ترغيب الناس بقبول الدعوة الإصلاحيَّة التي يُعَدُّ من كِبَارِ علمائها وساستِهم، ولعل ما نقله المؤرخ في ذالك كان مَصْدَرُهُ أَحَدَ مُنَاوِئِي تلك الدعوة. ممن يريد أن يُلْصِقَ بدُعَاتِها وأَئِمَّتِهَا كُلَّ سُوْءٍ ، ويُلَاحظ أَنَّ الحادثة وقعت في أول العام الـ ١١٩٦ ـ وفي وقْتٍ كانَ الإمام عبدالعزيز في أَشَدِّ الحاجة إلى عدم إثارة أعداء بعيدين عن بلاده التي هو مشغول بحوادثها المحيطة به، وأيًّا كان الأمر فمادامَ أولئك يتظاهرون بعداوة المستجيبين للدعوة الإصلاحية من القبيلتين المذكورتين فموقف عبدالعزيز بمناصرة المستجيبين له غير مستغرب.

٢ ــ تقسيمُ قبيلة أَكْلُبٍ إلى تَغْلب وآل السيار ليس صحيحاً ، فآل السيَّار ـ ويُدْعَوْن السَّيَّارِيْنَ ـ فَخِذٌ من أَحَدِ فروع قبيلة أكلب ففي «العرب» ٢٥ ص ٦٩٧ عَدَّهُم الأخُ محمد بن جرمان السعدي الأكلبي من (الزوابرة) من (آل منيع).

وأَكْلَبُ فَرْعٌ من ربيعة قال البكري في «معجم ما استعجم» ـ ٨٢ ـ فيما نقل

عن كتاب «افتراق العرب» لابن الكلبي: وتيامنت قبائل من ربيعة إلى بلاد اليمن فحالفتْ أهله، وبَقُوا على أنْسابهم، منهم أكلب من ربيعة بن نزار... جاورتْ خَثْعَمَ وحالفوهم، وصاروا يداً واحدةً على من سواهم.. ثم أورد من شعر رجل من أكلب:

فَإلَّا يَكُنْ عَمَّايَ حِلْفاً ونَاهِساً فَإنِّي امْرُؤٌ عَمَّايَ بَكْرٌ وتَغْلِبُ

ولاتزال قبيلة أكلب تفتخر بنسبتها إلى تَغْلِب قال علي بن محمد الهِزْرِيُّ الأَكْلُبِي - من قصيدة باللغة العامِيَّة -:

حِنَّا بَنِي تَغْلُبٍ حِمَى هُدْب الأغْرَاسْ عَـدُوُّنَـا نَـجْـعَـلْ فْـوَادِهْ رَغِـيْـبِ

- وانظر لزيادة الإيضاح «العرب» س ٢٤ ص ٥٦٧ -.

وقد بعثت للأخ الأستاذ محمد بن جرمان العواجي السعدي الأكلبي نص هذا الخبر مستوضحاً عما جاء فيه، فبعث إليَّ بجواب مفصل خلاصته:

١ ــ تقسيم أكلب إلى تغلب وآل سيار غير صحيح، وسبق إيضاح انقسام قبيلة أكلب إلى فرعين كبيرين بني عامر والـمَحْلَفِ في مجلة «العرب» س ٢٥ ص ٦٩٣ ومابعدها.

٢ ــ قبيلة أكلب لانتسابها إلى ربيعة تفتخر بقبيلة تغلب، ورد ذالك في أشعار شعرائهم قديماً وحديثاً، وأورد الأخ محمد شواهد كثيرة من ذالك.

٣ ــ آل سيار المذكورون في خبر المؤلف اليمني ليسوا من فروع قبيلة أكلب، ولا يوجد من فروعها من يدعى بهذا الاسم، أما السيايرة أحد بطون الزوابرة فهم بطن صغير لا يصح تطبيق الخبر عليه.

٤ ــ لا يوجد من فروع خثعم من يسمى آل السيار، إن آل السيار الذين أوردهم المؤلف فرع من قبيلة غامد، ينقسمون إلى العُبيدات، والبشابشة، ورفاعة والهجاهجة، وقبيلة الزهران. ومقرهم منطقة العقيق وأُجْرُب، ويختلطون مع قبائل أكلب في المنازل والديار، أعالي رَنْيَةَ وشُوَاصَ والعبلاء، وبينَهم وبين

أكلب حلف قديم بسبب التجاور ، ولما اعتدى الأتراك سنة ١٢٣٠هـ على فرع المزايدة من أكلب في قرية بُجَيِّدٍ على وادي رَنْية استنجد المزايدة بآل سيار من غامد، وقال شاعرهم سالم بن عجروف المزيدي:

يـاليتْ مِنَّـا حضْـرَةٍ في بْجَيِّـدْ يَوْمٍ خَيْلَ التُّرْكْ خَلْيَتِ ظْهُوْرْهَا
لولا بني سَيَّار كَلَ الذيْب حَيّنَا أجْوَادْ ماتَلْقَى الحَرَجْ في صْدُوْرْهَا

٥ ــ قول المؤلف اليمني بتعدي أكلب على حاج اليمن غير صحيح، فقد كانت قوافل الحجاج تمر ببلادهم فيجدون من حمايتهم ورعايتهم مايحول دون الاعتداء عليهم، ووصف الشريف سرور لهم بالغدر والخيانة له بواعث أخرى لا تنطبق على الحقيقة.

٦ ــ قول المؤلف اليمني: (الصُّلُبَّاتُ قرية من أعمالِ بلاد غامدٍ) هذا القول غير صحيح، فالصُّلُبَّاتُ ليست قريةً، بل سلسلة جبال شاهقة، تقع في بلاد خثعم بين قرية الفوقاء وبين قرية شَرَا تقع في الشمال الغربي من قرية الفوقاء على بعد كيل واحد منها، يمر طريق مُعَبَّدٌ فيما بين الباحة إلى أبها يمر فوق قِمَّتها على شكل منعطفات خطرة، وكان يخترقها طريق صغير كثيراً ما يسلكه حاج اليمن وعسير وغيرهم، رغم صعوبته، وقال أحد الشعراء الشعبيين قبل تعبيده:

يـالله يـا عـالم الـنـيـات سـهـل دروب الـصُّـلُبَّـات

وقد استجاب الله دعوة هذا الشاعر. انتهى كلام الأخ محمد بن جرمان.

وقد وصف آل سيَّار (السير ك. كورنواليس Sir K. Cornwallis) في كتابه «عسير قبل الحرب العالمية الأولى» Asir Before World Wari أثناء كلامه على قبيلة غامد فقال ما تعريبه ص ٤٥ : (آل سيار يعيشون في القرى وينتقلون بعيد إلى بلاد الشلاوى حول تربة ورنية وتثليث ووادي الدواسر ، وهم أغنياء بالخيول والجمال والماعز ومحاربون ممتازون وزعيمهم الشيخ محمد بن عبدالرحمن، مستقل عن أي نفوذ خارجي ولا يعترف بأية سلطة). انتهى.

٣ ــ الشريف سرور بن مُسَاعِد بن سعيد من آل أبي نُـمـيٍّ، ولد سنة

١١٦٨هـ تقريباً ، وتَوَلَّى إمارة مكة سنة ١١٨٦ مُتَغَلِّباً على عَمِّهِ أحمد بن سعيد، الذي وجّه إليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب كتباً يدعوه لقبول الدعوة الإصلاحية فلم يستجب، كما لم يستجب لها سرور الذي مكث في الإمارة خمس عشرة سنة وبِضعة أشهر ، مستولياً على الحرمين والطائف، وتوفي سنة ١٢٠٢هـ وانظر عنه «العرب» س ٢٠ ص ٤٣٣/٥٩١/٧٦٧ ـ.

٤ ــ ماكان للشريف سرور نفوذٌ يتجاوز بلاد الحرمَيْنِ، ولكن تلك القبائل لابُدَّ لها من قصد كُبْرَيَاتِ المدن كمكة والطائف وهي تحت حكمه، ولهذا أَمَرَ بِسَلْبِ مَنْ دَخَلَهَا.

وكلمة (مجنايون) الواردة في كتابه يقصد بها ذوو جناية يستحق فاعلها العقوبة، وتنطق في نجد (مُجَنَّوْن) و(مُجَنَّيْن) ومن وصف بها كان جديراً بأن يُنْهَب ويؤخذ كل مامعه. وقد استوضحت من الأخ الأستاذ الشريف محمد بن منصور آل عبدالله بن سرور عما يراد بها عند أهل الحجاز فقال: إن معناها مطرودون أي أن الشريف سيطردهم من دخول مكة والطائف والتبضع من أسواقهما... وكلمة (مجنًّا) ككلمة (مسقط) و(مقطوع) أي مطرود من البلاد، ولا يجار ، ولا يضاف ولا ينصر ، فهو مخلوع متبرَّأٌ منه ـ انتهى ـ.

٤ ــ النَّمَاصُ ـ تُنْطَقُ بين فتح النُّون وكسرها بعدها ميم مفتوحة فألف فصاد مهملة ـ يطلق الاسم في الأصل على وادٍ ينحدر من مرتفعات تسمى النَّماص، ويلتقي بوادٍ يُدْعَى رُدَيْحَةَ، فَيَرْفُدَانِ وَادِي نَحْيَانَ ثم ترفدها أودية أخرى وتسير متجهة صوب الشمال الشرقي إلى وادي تَرْجٍ المشهور، أحدَ روافد وادي بِيْشَة، وقد أُطْلِقَ اسم النِّماصِ على بلدة أنشئت على ضفة وادي النّماص في السَّرَاةِ، فأصْبحت الآن قاعدة بِلَاد الْـحَجْرِ ـ القبيلة الأزدية المشهورة، وتبعد عن مدينة أَبْهَا ـ قاعدة إمارة المنطقة ـ نحو مئة وخمسين كيلاً شمالاً .

٥ ــ سوق رَغْدَانَ ـ سوق أسبوعي مشهور ، يقع شمال مدينة الباحَة ـ قاعدة بلاد غامِدٍ وزهران ـ بخمسة أكيال، وهو واقع في بلاد بني خُثَيْمٍ من غامِدٍ في سَرَاتِهم. ←

65573

الطرق التجارية البرية والبحرية
المؤدية إلى الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة

عند دراسة النشاط الاقتصادي والتجاري في إقليم ما ، يجب على الباحث أن يولي اهتماماً خاصًّا بدراسة الطرق البرية والبحرية، التي تربط الإقليم موضع الدراسة، بالأقاليم الأخرى التي يتبادل معها علاقاته التجارية، وبالتالي يتعرف على شبكة الطرق الرئيسة والحركة عليها، ومدى تأثيرها على التجارة الداخلية والخارجية. وحيث أن منطقة الحجاز تربطها العديد من الطرق مع أجزاء عديدة من العالم، إلى جانب أن لها بعض الموانئ الواقعة على البحر الأحمر ، كانت تتميز بنشاط تجاريٍّ واسع على مر العصور الإسلامية، لهذا فإن الحديث في هذا البحث سيكون مركزاً على الطرق البرية والبحرية التي تربط مدن الحجاز مع غيرها من أطراف العالم الإسلامي خلال القرون الإسلامية المبكرة لنرى مدى أهميتها ونشاطها في تلك العصور .

ولمعرفة الطرق الداخلية التي تصل ما بين المدن الحجازية بعضها البعض، فلقد ذكرت بعض المصادر المتقدمة بشيء من الإطالة تلك الطرق (خاصة البرية) التي←

← الحواشي:

(١) انظر «العرب» س ٢٢/٢٠٥ . (٢) «العرب» ١٠/٨٠١ ومابعدها.

(٣) س ٧ ص ٢٨ ومابعدها.

(٤) هو الشيخ عبدالعزيز بن حمد (لا أحمد) بن إبراهيم بن عبدالوهاب، من أسرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وزوج إحدى بناته انظر «العرب»: ٢٢/٤٤٩ كان رئيس وفد الامام سعود إلى إمام صنعاء، وقد عرفه المؤلف أثناء وفادته - انظر «العرب» س ٢٢ ص ٤٣٣ .

(٥) هو عبدالله بن المبارك بن بُشَيِّر الأحسائي عالم وشاعر - انظر عنه «العرب» س ٢٢ ص ٢٠١/٣٦٩/٤٩٢ .

(٦) انظر ترجمته في «العرب» ٧/٦٨٠ ومابعدها.

(٧) في المخطوطتين: (والروحاء).

← تربط مكة بالمدينة[1]، ومكة بالطائف[2] إلا أنه من الواضح أن هذه المصادر قد أسهبت في ذكر المحطات الواقعة على تلك الطرق، فذكرت بإطناب المسافات ما بين كل محطة وأخرى، مشيرة إلى أطوالها بالأميال أو الفراسخ ، وأحياناً بالأكيال (الكيلومترات) دون أن تشير إلى أهميتها ومدى استخدامها في النشاط التجاري، بل ولم توضح ما إذا كان عليها بعض المرافق، كأماكن الاستراحة، ومحطات التموين، والحمامات وغيرها التي يستخدمها المسافرون والتجار الذين يمرون عند انتقالهم من مدينة إلى أخرى.

والذي لا شك فيه أن الطرق التي كانت تربط بين المدن الحجازية قبل ظهور الإسلام وخلال العصور الإسلامية المتعاقبة كانت تستخدم لنقل الحجاج والزوار الوافدين إلى المدن الحجازية، وكذلك التجار والعلماء وغيرهم ممن يأتون إلى مكة والمدينة وغيرها، لكن الغريب في الأمر الذي يجده الباحث والدارس على حدٍّ سواء هو إغفال المصادر المبكرة للطرق التي تربط المدن الحجازية (كمكة، والمدينة، والطائف، وجدة) مع المناطق المجاورة في أرض الحجاز نفسها. وهذا الإهمال لم يكن ناتجاً من عدم وجود طرق تربط المدن بالقرى والأرياف، وإنما يرجع إلى عدم تدوينها في مصنفات المؤلفين، وبالتالي أدى إلى هذا الاغفال، في حين أننا نجد بعض الجغرافيين المسلمين لم يألوا جُهْداً في أن يتحدثوا عن الطرق البرية التي تربط المدن الحجازية مع جهات العالم الأخرى ـ كما سيأتي ذكره فيما بعد ـ ثم إن ذكرهم للطرق الداخلية في أرض الحجاز التي تربط المدن ببعضها ليس إلاَّ استمراراً لحديثهم عن الطرق البرية الآتية من خارج الحجاز والواصلة إلى كل من مكة والمدينة. ومع هذا فإن الباحث يعتقد أن عدم الإشارة إلى الطرق الفرعية ما بين المدن والقرى والبوادي لا يعني أنه لم تكن هناك طرق ودروب تصل بين مراكز العمران في الحجاز ، فهذه الطرق والدروب كانت ذات شأن وكانت الحركة عليها مستمرة طوال العام. . ويرى الباحث أن الأدلة على ذلك يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ ــ أن الخلافة الإسلامية سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو في عهد الدولة الأموية وبعد انتقال مركز الخلافة إلى الشام أو في عهد الدولة العباسية وانتقال

الخلافة إلى العراق، كانت تنظر إلى مكة والمدينة على أنهما المركز الإداري الرئيسي، في حين أن المناطق الريفية في الحجاز كانت تحت سيطرة الإمارة العامة في المدن الكبرى، والتي كانت تقوم بإرسال الجنود والموظفين والإداريين للحفاظ على الأمن والاستقرار في المدن الصغيرة، والقرى التي تقع خارج الإطار الجغرافي لكل من مكة والمدينة. وبإيجاد هذا الاتصال الإداري بين المدن والمناطق الأخرى في الحجاز فإنه لابد أن يكون هناك طرق تصل تلك الأطراف بعضها البعض ليسهل الاتصال والذهاب والاياب بين المراكز الادارية العامة وغيرها من القرى والأرياف.

٢ ـ المطلع على المصادر الأساسية يجد أن منطقة الحجاز خلال القرون الإسلامية المبكرة كانت قد تعرضت للعديد من الثورات والحروب مثل حروب الردة في عهد أبي بكر الصديق (١١/٦٣٢-١٣/٦٣٤)، وثورة أهل المدينة في عهد الدولة الأموية خلال خلافة يزيد بن معاوية (٦٠/٦٨٣) وكذلك ثورة العلويين في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور (١٣٦/٧٥٢-١٥٨/٧٧٤م)، وثورة عبدالله بن الزبير التي توسعت حتى شملت منطقة الحجاز كلها، وكادت تقضي على الدولة الأموية[٤]، وكل هذه الحركات والثورات السياسية، امتدت من المدن إلى البوادي، وبالتالي كان الاهتمام بضرورة العمل على إيجاد طرق تصل ما بين الحواضر والبوادي، لتستطيع القوات العسكرية الوصول إليها وإخمادها بسرعة، وكذلك لتموين الجيوش بحاجتها من ميرة، وتزويدها بالمعدات الحربية.

٣ ـ ما تتمتع به المدن الرئيسة في الحجاز، وخصوصاً مكة والمدينة، من أسواق تجارية وما تتمتع به من مكانة روحية عند المسلمين، إذ يأتي إليها الحجاج من مختلف بقاع العالم الإسلامي لأداء الحج والعمرة، أو للتجارة، فكان لابد من وجود طرق فرعية تزود بها البوادي الحواضر بما تنتجه، ثم ليتصل أهالي الأرياف والقرى بالأسواق المركزية في مكة والمدينة، وكذلك ليؤدوا فروضهم الدينية من حج وعمرة[٥].

٤ ــ إلى جانب ما يتطلبه النظام المالي في الدولة الإسلامية، الذي يحتم على الوالي في أي إقليم أن يرسل الزكاة التي تؤخذ عن المواشي والمحاصيل الزراعية في القرى والأرياف، خارج محيط المدن، لهذا فإن الخلفاء والأمراء كانوا يحرصون على تأمين طرق تصل المراكز الإدارية بالأطراف المتعددة في الحجاز ليتم جباية أموال الزكاة، وإرسالها إلى بيت مال المسلمين.

أما الطرق البرية التي تربط الحجاز مع غيرها من أجزاء العالم الإسلامي فهي كثيرة يمكن شرحها كما ورد في (الخارطة) ص ٥٧٥ آخر هذا الجزء.

فهناك أولاً الطرق التي تربط اليمن بالحجاز، وهي قديمة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام، إلا أنها كانت أكثر وضوحاً وأكثر نشاطاً في القرون الإسلامية المبكرة وجاء ذكرها في كتب الجغرافيين الأوائل الذين عاشوا في القرنين الثالث والرابع للهجرة، فذكروا أن هناك طريقين بَرِّيَّيْنِ تربطان اليمن بالحجاز، وهذان الطريقان ينطلقان من مدينة صنعاء اليمانية، أحدهما يتجه بمحاذاة البحر الأحمر إلى أن يصل مكة المكرمة والآخر يتجه نحو الداخل ماراً بمدينة نجران عبر الأودية والهضاب حتى يصل إلى الطائف، ثم مكة[٦]، ولكنه يبدو من خلال الكتب التاريخية العديدة أن طرق اليمن إلى مكة عبر الأراضي الداخلية، كانت أكثر استخداماً من قبل التجار والعساكر وموظفي الدولة، وذلك لما يتوافر بها من محطات الاستراحة ومصادر المياه، وما تنتجه الأرض من زراعات يقتات منها المارة[٧].

أما الطرق الواصلة بين مكة واليمامة (من أرض نجد) فهي تتفرع عند اليمامة إلى طريقين، أحدهما يتجه إلى بلاد البحرين نحو الجهة الشرقية، والآخر يبقى مستمراً إلى أن ينتهي في عُـمَـانَ الواقعة في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية[٨]، ومن عمان يتجه طريق نحو الجنوب الغربي، بمحاذاة ساحل البحر العربي حتى يصل إلى مدينة صنعاء في اليمن، ثم يتصل بأحد الطريقين سابقي الذكر، والذي يربط اليمن بمكة[٩].

وجميع الطرق السابق شرحها تربط أطراف شبه الجزيرة بعضها ببعض، ولم

يكن ذالك الاتصال تجارياً فحسب، بل كان إلى جانبه اتصالاً سياسياً وإدارياً، ومن يُلْقِ نظرة على الأوضاع الإدارية في الحجاز، والأطراف الأخرى في شبه الجزيرة، كاليمن واليمامة والبحرين، يجدها كانت في بعض الأحيان تقع تحت إدارة واحدة، خلال القرنين الأولين للدولة الإسلامية، وغالباً ما كانت المدينة في الحجاز هي المقر الرئيس للإدارة، ولكي يتوفَّرَ مثل هذا الرابط الإداري لابد أن تكون هناك طرق برية نشطة تستخدم لتسيير موظفي الدولة، وكذلك للتجارة، وزيارة الأماكن المقدسة، وهي تربط ما بين تلك الأطراف والحجاز[١٠].

وعند مقارنة اليمامة واليمن بالبحرين وعُـمَـان في علاقاتها التجارية مع الحجاز نجد أن الأولى كانت ذات صلة تجارية مع الحجاز أقوى من البحرين وعمان، وخصوصاً في أواخر العصر الأموي وبداية العهد العباسي، وذلك عندما أصبحت الخلافة العباسية في العراق بدلاً من بلاد الشام، فصارت أرض البحرين وعمان أكثر نشاطاً في مستواها التجاري مع الأطراف الشرقية من العالم الإسلامي كالعراق، وبلاد فارس، والهند، والصين وغيرها، في حين أن الاتصال بين الحجاز وتلك المناطق لم يكن بالمستوى الذي كانت عليه في القرن الأول من الإسلام[١١].

وتتصل مكة بالعراق بطريق بَرِّيٍّ، فقد اتصلت بغداد والكوفة في العراق بمكة والمدينة في الحجاز، وهذه الطرق كانت من أهم الممرات التجارية، خصوصاً أثناء عهد بني العباس، فكانت مهيأة بجميع وسائل الراحة، وذلك بعد ما قام الخلفاء العباسيون ببناء محطات للاستراحة بها، ثم زودوها بالمياه وما يحتاج إليه المسافر من أماكن، للنوم والجلوس وغيرها، بل وولى بعض خلفاء بني العباس عليها بعض المراقبين الذين يعملون على حراستها وحمايتها، بل وصيانتها وإصلاح ما يخرب منها. وهذه الطرق تنطلق من بغداد إلى الكوفة، ثم تسير عبر محطات تجارية تكبر وتصغر حسب أهميتها، وبعد منتصف الطريق بالنسبة للذاهب من العراق إلى الحجاز، تتفرع إلى فرعين في محطة تسمى معدن النَّقرة (انظر الخارطة) ويتجه أحد الفروع من هذه المحطة إلى المدينة، والآخر يستمر إلى مكة[١٢].

ومن أرض العراق هناك طريق آخر يصل ما بين مكة والبصرة، وهذا الطريق لا يقل في أهميتها عن طريق الكوفة إلى مكة، وقد تعرض عدد من الجغرافيين الأوائل لهذه الطريق ذاكرين مستوى نشاطها، وعدد محطاتها، وما بها من مرافق للمسافر عليها ويعد صاحب كتاب «المناسك» أفضل من تعرض لوصف هذا الطريق، حيث أفاض في ذكر محطاتها، ومستوى نشاطها التجاري(١٣). وكانت هذه الطريق أيضاً تتفرع في محطة النباج إلى فرعين، أحدهما يستمر على طوله إلى مكة، والآخر يلتقي مع طريق الكوفة إلى مكة في محطة معدن النقرة ثم يسلك أحد الطريقين السابقي الذكر، للوصول إلى مكة أو المدينة(١٤).

كذلك كان يخرج من البصرة طريق يتجه إلى الجنوب حتى اليمامة، ومن هناك يتصل بطريق البصرة في منطقة ضَرِيَّة، ومنها إلى مكة(١٥).

وتلك الطرق التي تربط مدن العراق بالحجاز، لم تكن تتوقف في البصرة، أو الكوفة أو بغداد، وإنما كانت تربط أجزاء بلاد الشرق الإسلامي جميعاً مع المدن الحجازية، فنجد الحجاج والتجار كانوا يأتون من خراسان وفارس وبلاد ماوراء النهرين عبر طرق عديدة إلى البصرة أو الكوفة، ثم يواصلون السير إمَّا بَرًّا وإمَّا بَحْراً ليصلوا إلى المدن الحجازية(١٦).

أما الطرق البرية التي كانت تربط أجزاء غرب العالم الإسلامي، كالأندلس، وشمال أفريقيا ومصر، مع البلاد الحجازية، فكانت تسلك أيضاً العديد من الممرات في تلك الأجزاء، حتى تتجمع في محطة أَيْلَةَ على الطرف الشمالي لخليج العقبة ثم تتفرع إلى طريقين أحدهما يسلك الأراضي الداخلية حتى يصل إلى المدينة المنورة، والآخر يتجه بمحاذاة ساحل البحر الأحمر حتى ميناء الجار على البحر الأحمر ومن هناك يبقى مستمراً إلى جدة ثم مكة، أو يتجه شرقاً من ميناء الجار إلى المدينة(١٧).

وطريق بَرِّيٌّ آخر يربط بلاد الشام بالحجاز، ويسلك الاتجاه الذي يخرج من دمشق ليلتقي بالطريق الذي يأتي من الأندلس وشمال افريقيا ومصر في محطة أيلة، ثم يواصل السير في أحد الطريقين اللذين يربطان ما بين تلك الجهات والمدن

الحجازية، في حين أن هناك طريق آخر داخلي يخرج من دمشق حتى يلتقي بالطريق الذاهب من أيلة إلى المدينة في محطة تسمى وادي القرى والتي كانت من أشهر المحطات التجارية خلال القرون الإسلامية المبكرة (انظر موقع هذه المحطة على الخريطة)[١٨].

وجميع الطرق البرية ـ السابقة الذكر ـ لم تكن في مستوى واحد من حيث الخدمة والأمن، خلال العهود الإسلامية الأولى، وخصوصاً بعد أن انتقلت دار الخلافة الإسلامية من المدينة إلى دمشق، ثم إلى العراق في عهد بني العباس، فعندما كانت الخلافة في بيت بني أمية، ومقر عاصمتهم بأرض الشام، كانوا حريصين كل الحرص على أن تكون الطرق البرية التي تربط ما بين الحجاز وبلاد الشام ـ بل والأجزاء الغربية من العالم الإسلامي ـ نَشِطَةً، وتحت حماية جيدة، وكان خلفاء بني أمية يبذلون الأموال والجهود في سبيل صيانتها وإصلاحها ومراقبتها، ولتكون هذه الطرق حلقة الاتصال بين المدن المقدسة في الحجاز وعاصمة الخلافة سريعة ونشطة[١٩].

أما بعدما انتقلت الخلافة إلى بني العباس، واتخذوا من بغداد عاصمة لهم، وأصبحت الطرق البرية ما بين بلاد العراق والأجزاء الشرقية من الدولة الإسلامية أقوى في نشاطها واتصالها بالحجاز من تلك الطرق التي تربط مكة والمدينة بالأجزاء الغربية من الدولة الإسلامية، وذالك لما كان يبذله خلفاء بني العباس من جهود في إصلاح الطرق التي تربط العراق بالحجاز، والدارس لبعض المصادر التاريخية المبكرة، وكذلك بعض المراجع الحديثة، يلاحظ ما كان يبذله العباسيون، وخاصة في العصر العباسي الأول، من الجهود والأموال الطائلة لتحسين وتسهيل المواصلات البرية ما بين المدن العراقية والمدن الحجازية[٢٠].

لكن الاهتمام الذي كانت تلقاه طرق العراق إلى الحجاز، لم يدم طويلاً، لأنه بعد أن ضعف خلفاء بني العباس في العصور المتأخرة، وبعد أن تسلط على الخلفاء والخلافة في العراق عناصر غير عربية، كالأتراك، والبويهين، والسلاجقة وغيرهم، مما نتج عنه إصابة الطرق الحجازية العراقية بالإهمال، واستعادت

الطرق التي كانت تربط شمال افريقيا بمصر ومن ثم بالحجاز قوتها، وذلك عندما سيطرت الدولة الفاطمية على مصر، وخصوصاً في القرن الرابع والخامس الهجريين، ثم امتد نفوذها إلى السيطرة على الأماكن المقدسة في الحجاز، وتوليها إمارة الحج التي كانت ترسل من مصر إلى مكة، وهذه الميزات التي كانت قد حصلت عليها الدولة الفاطمية لم تكن إلا سبباً قوياً في تحسين وصيانة الطرق البرية التي تربط الحجاز بعاصمة الدولة الفاطمية في القاهرة[٢١]. ولكنه مع وجود هذا التحول من الشرق إلى الغرب أو العكس، والاهتمام بصيانة وحماية الطرق البرية بصفة عامة، فإنه لم يكن يمنع التدهور في حركة الطرق بين عواصم الدولة الإسلامية والمدن الحجازية، وهذا التدهور والانهيار يعودان أساساً إلى ضعف الخلافة العباسية ووقوع الصراعات السياسية في الدولة الإسلامية، وكذلك تجزؤ العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة ومتصارعة فيما بينها، وهذه الأسباب كلها كان لها أثر في جميع جوانب الحياة سواء سياسية، أو اقتصادية أو اجتماعية أو إدارية وغيرها، وانعكس ذالك بدوره على الطرق التي تربط بين أجزاء الدولة.

وكما أنه كانت هناك شبكة خطوط برية، فإن منطقة الحجاز لم تخل من خطوط بحرية تصل منها أو إليها، وربما لا تقل أهمية عن الطرق البرية، وتعود في أهميتها ونشاطها لوقوعها على البحر الأحمر الذي يربط الشرق بالغرب، حيث كان هناك طريق بحري يأتي من الصين عبر البحر الصيني، ثم يمر من المحيط الهندي عبر البحر العربي، والخليج حتى يصل إلى البحر الأبيض المتوسط، ثم يواصل السير حتى جنوب وغرب أروبا، وهذا الطريق يربط الشرق بالغرب مارًّا بموانئ الحجاز التي تقع على البحر الأحمر، ومن أهم تلك الموانئ خلال القرون الإسلامية الأولى ميناءا جُـدَّة والجار[٢٢].

وميناء جدة يقع على البحر الأحمر، ويبعد عن مكة بنحو أربعين ميلاً، وقد تحدث عدد من المؤرخين عن أول من استخدم جدة ميناء، فأشاروا إلى أن الخليفة الراشد عثمان بن عفان (٢٣/٦٤٣-٣٥/٦٥٦) كان قد ذهب للحج عام ٢٦هـ، وبعد الفراغ من حجه زار مدينة جدة فرآها ملائمة لأن تكون ميناء رئيساً لمكة، بدلاً من ميناء الشّعَيْبة، الذي كان الميناء المستخدم قبل زيارته لجدة[٢٣]. وقد

تعرضت العديد من المصادر والمراجع للوقت الذي بدأت تعرف جدة فيه كميناء ، فمنهم من ذكر استخدامها ميناء قبل ظهور الإسلام، وآخرون قالوا: إنها لم تشتهر إلا بعد تلك الفترة التي أمر فيها الخليفة عثمان بن عفان بأن تكون الميناء الرئيسي في عام ٢٦هـ، وقد أجمل (حوتنق Hawting) وجهات النظر المتعددة حول بداية استخدام هذا الميناء ، في مقالة حول مينائي جدة والشعيبة[٢٤]، ثم خرج في نهاية مقالته، بأنه حتى لو كانت جدة قد عرفت واستخدمت ميناء قبل الإسلام فإن الطرق التجارية البحرية عند عرب الحجاز لم تكن ذات أهمية كبيرة لا في العصور السابقة للإسلام، ولا حتى في العقود الأولى من عصر التاريخ الإسلامي[٢٥] ويتفق الباحث مع (حوتنق) فيما يتعلق بالعهد السابق للإسلام وحتى بعد الرسول ﷺ وكذلك عهد الخلفاء الراشدين، لكنه بعد انتشار الإسلام إلى أماكن عديدة من العالم، حدث نوع من التطور والتغير على أحوال الحجازيين وغيرهم من سكان شبه الجزيرة، إذْ أنهم لم يعودوا يقتصرون على الطرق البرية، ولكن امتد نشاطهم إلى ركوب البحر ، وتحسين الموانئ التجارية، وهكذا أصبحت جدة من أهم الموانئ العالمية التي تربط الشرق بالغرب، فهذا المقدسي يتحدث عن ميناء جدة في القرن الرابع الهجري فيشير إلى أنه كان يربط ما بين أسواق مصر والمغرب العربي، وهذه الأجزاء المتفرقة كانت تأتي منها السلع المتنوعة عبر البحر الأحمر حتى تصل إلى ميناء جدة، لتتم المتاجرة فيها بمكة والطائف وغيرهما من المدن الحجازية، وخاصة أثناء موسم الحج. ويشير أيضاً كل من ناصر خسرو[٢٧]. والإدريسي[٢٨] إلى ما ذكره المقدسي، إلا أنهما يذكران أن السلع التي كانت تأتي إلى أسواق جدة لم تكن مقتصرة على الأقاليم التي أشار إليها المقدسي فقط ، ولكنها كانت تستقبل السلع من جميع أنحاء العالم، ويضيف كل من الفاكهي[٢٩] والحِمْيَرِيُّ[٣٠] إلى أن أغلب تلك السلع الآتية إلى جدة كانت ترسل إلى أسواق مكة والطائف وكذلك المدينة، وبهذا فإن ميناء جدة كان مركز تموين لمكة وغيرها من المدن الحجازية.

والتجار الذين كانوا يرتادون طريق البحر حتى ميناء جدة كانوا من المسلمين وغير المسلمين، فتذكر لنا وثائق (الجنيزة)[٣١]، أن التجار في بلاد الأندلس،

وشمال افريقيا خلال القرن الرابع الهجري ومابعده، كانوا يذهبون بسلعهم المختلفة إلى أسواق مصر وبلاد الشام، فإذا لم يجدوا أسواقاً نشطة ركبوا البحر حتى ميناء جدة ليحضروا موسم الحج ويبيعوا ما لديهم من سلع[٣٢]، في حين أن مراجع أخرى تذكر نشاط الطرق البحرية التي تصل الأندلس بشمال أفريقيا، ومنها إلى المدن الحجازية، وهذا النشاط التجاري بين تلك الأطراف يعود إلى العقود الأولى من الإسلام، ثم إن التجار الذين كانوا ينقلون السلع ما بين الأجزاء الغربية والشرقية من الدولة الإسلامية كانوا خليطاً من التجار المسلمين وغير المسلمين[٣٣]، فابن خرداذبة[٣٤]، خلال القرن الثالث الهجري، يذكر أنه هناك جاليات يهودية تسمى (الراذانية) تقوم بنقل السلع التجارية ما بين الهند والصين، شرقاً وشمال افريقيا والأندلس وأوروبا غرباً، متخذين أثناء مرورهم طريق البحر الأحمر، وميناء جدة الذي كان من أبرز محطاتهم التجارية، التي كانوا ينزلوا بها ويتبادلون السلع التجارية مع الحجازيين.

والطريق البحري المارُّ بميناء جدة كان يستخدمه التجار العرب، سواء في شبه الجزيرة أو خارجها من مناطق العالم الإسلامي، كذلك كان الأفراد والموظفون والخلفاء في كل من الشام والعراق، يرسلون البضائع والأدوات التي يحتاج إليها أهل الحجاز عن طريق البحر، فيذكر أن بعض خلفاء بني أمية وبني العباس قد استخدموا ميناء جدة لإرسال أدوات البناء إلى الحجاز أثناء إجراء بعض الإصلاحات العمرانية في المسجد الحرام وإنشاء بعض المرافق المعمارية الأخرى[٣٥].

أما ميناء الجار فيقع إلى الشمال من ميناء جدة، ويبعد عن المدينة نحو مئة وسبعين كيلاً، ويُعَدُّ الميناء الرئيس للمدينة، وقد يعود استخدامه كميناء إلى ما قبل الإسلام إلا أن شهرته لم تظهر واضحة إلا في أثناء العصور الإسلامية المبكرة، فيذكر البلاذري[٣٦]، واليعقوبي[٣٧] أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، قد استخدمه في استيراد الحبوب من مصر إلى الحجاز، ثم تبع كل من البلاذري واليعقوبي عدد من الجغرافيين المسلمين الأوائل، مشيرين إلى أهمية ميناء الجار ونشاطه، والطريق البحري عبر البحر الأحمر بشكل عام، فابن خرداذبه ذكر

عن ميناء الجار مثلما ذكر عن ميناء جدة، وكيف كان يستخدمه التجار اليهود (الراذانية) كمحطة مهمة من محطاتهم التجارية التي ينزلون بها في طريقهم من الشرق إلى الغرب، وباستراحتهم في هذه المحطة، كانوا أيضاً يتاجرون مع أهل الجار وأهل المناطق المجاورة لهذا الميناء[٣٨]، ويشير كل من عَرَّام السُّلَمي[٣٩]، والبكري[٤٠] وياقوت الحموي[٤١]، إلى أن السفن التجارية كانت تأتي إلى ميناء الجار من الحبشة، ومصر والبحرين، والصين، وهي محملة بأنواع السلع التجارية لكي تصدر إلى المدن الحجازية عن طريق هذا الميناء، ويتحدث أيضاً المقدسيُّ عن مِيناء الجار، بأنه كان نقطة ارتكاز للتجار القادمين من الشرق والغرب، وكان فيه من الأسواق ما يجعله يستقبل كل السلع الواردة إليه، وخصوصاً ما كان يأتي عن طريق مصر من الحبوب والمواد الغذائية المتنوعة[٤٢]، إلا أن ابن بَكَّارٍ أكثر وضوحاً في الإشارة إلى الأهمية الجيدة التي كان يشغلها ميناء الجار التجاري، فيذكر أنه كان هناك ممثلون لتجار المدينة، يقومون بمراقبة أوضاع النشاط التجاري في ذلك الميناء، وبالتالي يزودون التجار المقيمين في المدينة بحركة العمل التجاري، وكذلك بالمواد والسلع التجارية التي يحتاجون إليها[٤٤]. وهذا العمل إنْ دَلَّ على شيء فإنما يدل على النشاط التجاري الجيد في هذا الميناء، والذي عن طريقه يستطيع التاجر في الحجاز معرفة الحركة التجارية ليس في الأقاليم الإسلامية القريبة من الحجاز، ولكن يستطيع أيضاً معرفة ما في الهند والصين والأندلس والمغرب العربي وغيرها من أقاليم العالم الأخرى.

ولِأَهَمِّيَّةِ مينائي الجار وجدة فقد كان الخلفاء الراشدون والأمويون يهتمون بصيانة هذين الميناءين، بل وجلب الحبوب والمواد الغذائية من مصر وبلاد الشام عن طريق كل من جدة والجار، إلا أن ذالك الاتصال بين مناطق متعددة من العالم وبين أرض الحجاز ــ عبر الطريق البحري ـ لم يستمر بالمستوى نفسه في عهد الدولة العباسية، وذلك بسبب انتقال الخلافة من الشام إلى بلاد العراق، إذْ أنه بعد هذا الانتقال، وبعد أن أصبحت بغداد العاصمة بدلاً من دمشق صار النشاط التجاري أقوى وأكثر أهمية في الخليج العربي الذي يربط عاصمة الخلافة العباسية في العراق بكل من الهند والصين وغيرهما، دون أن تعطى أية أهمية للطريق

البحري الذي كان يأتي عبر البحر الأحمر ، والذي كان عليه مينائي جدة والجار ، كما أن الأمر لم يتوقف عند عدم الاهتمام لدى بني العباس فقط ، بل بعض خلفائهم قد استخدم القوة في القضاء على طريق البحر الأحمر ، وإغلاق بعض موانئه، فتشير المصادر الأولى إلى أن الخليفة أبا جعفر المنصور العباسي أمر بإغلاق ميناء الجار وقطع المساعدات التي كانت ترسل من مصر متمثلة في الحبوب والأطعمة عن طريق الجار ، وهذا العمل الذي قام به الخليفة المنصور ليس إلا عقاباً لأهالي الحجاز (وخاصة أهل المدينة) الذين ساعدوا الثوار العلويين بقيادة محمد النفس الزكية، الذي كان يتطلع ويعمل جاهداً إلى انتزاع الخلافة من بني العباس[٤٥]، إلا أن السياسة التي سلكها المنصور لم تستمر طويلاً، لأن الخليفة المهدي (١٥٨/٧٧٤-١٦٩/٧٨٥م)، الذي تولى بعد والده المنصور أعاد فتح ميناء الجار ، كما أعاد الطريق التجاري القديم إلى ما كان عليه، ولكن أوضاع ميناء الجار لم تتحسن خلال القرنين الثاني والثالث من الهجرة، لعدم استتباب الأمن والخلافات بين القبائل الحجازية، مما ساعد على أعمال السلب والنهب التي تعرض لها الميناء ، إلى جانب ظهور ميناء ينبع وبدء استخدامه كميناء للمدينة المنورة ، مما أدى إلى انهيار وخراب ميناء الجار ، في حين أن ميناء جدة وإنْ أصابه بعض الركود ـ خلال العصر العباسي الثاني بسبب الصراعات والثورات المتعددة ـ إلا أن ذالك لم يكن يؤدي إلى اختفائه، كما حدث لميناء الجار كما أنه ما لبث أن استعاد نشاطه في القرون الوسطى من عصر الإسلام[٤٦].

جامعة الملك سعود (كلية التربية) (أبها): د. غيثان بن علي بن جريس

الحواشي:

(١) ابن خرداذبة، «كتاب المسالك والممالك» (ليدن ـ ١٣٠٦/١٨٨٩م) ص: ١٢٩ ـ ١٣١ ، اليعقوبي، كتاب «البلدان» (ليدن، ١٨٩٢م) ص: ٣١٣-٣١٤، «كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة» المنسوب للحربي (الرياض، ١٣٨٩/١٩٦٩م) ص: ٤٢٥-٤٦٨ .

(٢) ابن خرداذبة، ص ١٣٤، الحربي، ص ٦٥٣، ابن رسته «الاعلاق النفسية»، (ليدن، ١٨٩١م) ص ، ١٨٣-١٨٤، ابن قدامه، «كتاب الخراج» (ليدن، ١٨٨٩م) ص: ١٨٧-١٨٨ .

(٣) المناسك، المنسوب للحربي، ص ٦٥٥ ، الطبري، «تاج الرسل والملوك»، جـ ٨ ، (القاهرة، ١٩٦٠-١٩٧١م) ص: ٥٣٩ .

(٤) الحربي، ص: ٦٤٣، ٦٥٣، الطبري، تاريخ، جـ ٧، ص: ٥٥٢ ومابعدها، ابن خلكان، «وفيات الأعيان»، جـ ٣ (بيروت، ١٩٦٨م) ص: ٧١،

H A R. Gibb, art. «Abdallah Ibn Al-Zubayr» EI², Vol. I.P. 57

(٥) انظر بعض المصادر التي تشير إلى وجود اتصال تجاري مابين البوادي والمدن الحجازية في الأزرقي، «أخبار مكة»، جـ ٢ (مكة، ١٤٠٣/١٩٨٣م) ص: ٢٣٩، ابن جبير، «رحلة ابن جبير» (ليدن، ١٨٥٢م) ص: ١٢٠، ١٣٢ ابن المجاور «بلاد اليمن ومكة وبلاد الحجاز المسمى تاريخ المستبصر» جـ ١ (ليدن ١٩٥١-١٩٥٤م) ص ٢٦-٢٧ ، السمهودي: «وفاء الوفا ، باخبار دار المصطفى» جـ ٢ (القاهرة، ١٩٥٤-١٩٥٥م) ص: ٧٥٤ .

(٦) المناسك المنسوب للحربي، ص: ١٣٤-١٣٦، ١٤٨، ٦٤٦، الهمداني «صفة جزيرة العرب» (الرياض، ١٣٩٤/١٩٧٤م) ص: ٣٣٨-٣٤٠، ٣٤١، ابن قدامة، الخراج، ص ١٩٢-١٩٣، المقدسي، «احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» (ليدن، ١٨٧٧م) ص: ١١١-١١٢ .

(٧) انظر الزبيري، كتاب «نسب قريش» (القاهرة، ١٩٥٣م) ص: ٢٤٢، ابن بكار «جمهرة نسب قريش» جـ ١ (القاهرة، ١٣٨١/١٩٦١م) ص: ١٣٠-١٣١، الطبري، تاريخ جـ ٨، ٥٤١، قدامه، ص ١٩٠-١٩٢، الحربي، ٦٤٣-٦٤٥، الهمداني «صفة»، ٣٣٨-٣٤٠ .

(٨) ابن الفقيه، «مختصر كتاب البلدان» (ليدن، ١٣٠٢/١٨٨٥م) ص: ٣٠، المناسك، المنسوب للحربي، ص: ٦٢٠-٦٢٢، الهمداني «صفة»، ٢٨١-٢٨٢ .

A, Al-Wuhaybi. The Northern Hijaz in the writing of the Arab Geographers, 800-1150 (Beirut, 1973) P.91

(٩) ابن خرداذبة، ص: ١٤٧-١٤٨، ابن قدامه، ص: ١٩٢ .

(١٠) انظر المصادر الآتية التي تشير إلى الصلات القوية ما بين تلك الأطراف مع منطقة الحجاز الأزرقي، أخبار ، جـ ٢، ص ١٧٠، وكيع، «أخبار القضاة»، جـ ١ (القاهرة، ١٣٦٦/١٩٤٧م) ص: ٢٠٠، الطبري، تاريخ جـ ٧، ص: ٤٥٨، ٤٦٤، جـ ٨، ص: ٢٧٢، ابن الأثير «الكامل في التاريخ»، جـ ٥ (بيروت، ١٣٨٥/١٩٦٥م) ص: ٤٤٥، ٤٥٤، ابن فهد، «اتحاف الورى بأخبار أم القرى»، جـ ٢ (القاهرة، ١٤٠٤/١٩٨٣م) ص: ١٦٦ ، ١٧١ .

(١١) اليعقوبي، «البلدان»، ص: ٣٣٧ ، الطبري، تاريخ جـ ٧ ، ص: ٦١٧ ، الاصطخري، «كتاب مسالك الممالك» (ليدن، ١٨٧٠م) ص: ٢٥، المقدسي، أحسن، ص: ٨٢، ١٠٥، ١١٩-١٢٠ .

(١٢) «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٥٤٥-٥٤٦، ابن رسته «الاعلاق»، ص: ١٧٤-١٧٧ ، اليعقوبي، «البلدان» ص: ٣١١ ، ابن قدامه «الخراج»، ص: ١٨٥-١٨٧ .

Saad Al-Rashid, Darb Zubaydah: The pilgrim road from Kufa to Mecca (Riyadh, 1980) P. 21ff.

(١٣) «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٥٧٢ ومابعدها.

(١٤) ابن رسته «الاعلاق»، ص: ١٨١-١٨٢، «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٥٨٧، ٦٠٥ ابن قدامه «الخراج»، ص: ١٩٠ .

(١٥) ابن خرداذبة، «المسالك»، ص: ١٥١، ابن رسته، «الاعلاق» ١٨٢، ١٨٤ .

(١٦) أنظر ابن المجاور ، تاريخ جـ ١، ص: ١٣ .

S.M. Imamuddin «Commercial Relatin of Spain with Iraq, Persia, Khurasan, China and India in the

10 the Centuary A C » Islamic Culture, Vol. xxxv (1961) P.177-9

(١٧) ابن خرداذبة، «المسالك» ص: ١٤٩ ، ابن رسته، ١٨٣، «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٦٤٩-٦٥٠، ابن قدامه الخراج ص: ١٩٠

(١٨) انظر ابن رسته، «الاعلاق» ص: ١٨٣ ، ابن خردادبة، المسالك، ص: ١٥٠

Al-Wuhaybi, The Northern Hijaz. R315

(١٩) «المناسك» المنسوب للحربي، ص: ٦٤٣، ٦٤٧، ٦٤٩، ٦٥٣ المقريزي، «الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك» (القاهرة، ١٩٥٥م) ص: ٣٠، صالح أحمد العلي «طرق المواصلات القديمة في بلاد العرب» مجلة «العرب» س ٣ (الرياض ١٣٨٨/١٩٦٨م) ص: ٩٦٣ .

(٢٠) انظر الطبري، تاريخ، جـ٧، ص. ٥٥٧، جـ٩، ص: ١٢٩-١٣٠ ابن فهد اتحاف، جـ٢، ص ١٨٧، ٣٠٠، عبدالجبار الجومرد، «هارون الرشيد، دراسة تاريخية، اجتماعية، سياسية»، جـ ١ (بيروت، ١٩٥٦م) ص: ٣٨-٣٩ .

(٢١) انظر، ابن خرداذبة، «المسالك» ص: ١٥٣-١٥٤ ، حسن إبراهيم حسن «تاريخ الدولة الفاطمية»، جـ ٢١ (القاهرة، ١٩٥٨م) ص: ٢٣٨-٢٣٩، ٦٠٨ ومابعدها، سيدة إسماعيل كاشف «البحر الأحمر والفتح العربي» البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، ١٠/٥ مارس، ١٩٧٩م (القاهرة، ١٩٨٠م) ص: ٩٣-١٠٤ .

(٢٢) انظر عرام السلمي، «أسماء جبال تهامة» (القاهرة، ١٣٩٤/١٩٧٤م) ص: ٣٩٨، اليعقوبي، البلدان، ص: ٣١٧ .

S M. Ahmad «Commercial Relation of India with the Arab World (1000 B.c. up to Moderntimes» Islamic Culture, Vol xxxviii (1964) P. 141-155, R Hartmann (rev P.A. Marr) «Djudda» EI², vol. II, P.572, S.D. Gaiten «letters and Documents on the Indian trade in the Medieval times» Islamic Culture, Vol. xxxvii (1963) P 191, 196-7.

(٢٣) الفاسي، «شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام»، جـ ١ (بيروت، بدون تاريخ) ص: ٨٧-٨٨ ، النهروالي، كتاب «الاعلام باعلام بيت الله الحرام» (بيروت، ١٩٦٤م)، والشعيبة كانت الميناء المستخدم من قبل ظهور الاسلام»، وهي تبعد عن مكة جهة الجنوب بحوالي خمسة وثمانين كيلاً . انظر حمد الجاسر ، «في شمال غرب الجزيرة»، نصوص، مشاهدات، انطباعات (الرياض، ١٣٩٠/١٩٧٠م)، ص: ١٦٧-١٦٨ .

(٢٤) انظر.

G.R. Hawting. «The Origin of Jedda and the problem of Al-Shuayba» Arabica, vol. xxxi (1984) PP. 318-326.

(٢٥) Ibid. P. 326

(٢٦) «احسن التقاسيم»، ص: ٧٩، ٩٧ .

(٢٧) «رحلة ناصر خسرو القبادياني»، ترجمة أحمد خالد البدلي (الرياض، (١٤٠٣-١٩٨٣م) ص: ٣٥.

(٢٨) «جزيرة العرب من نزهة المشتاق «تحقيق إبراهيم شوكت مجلة المجمع العربي العراقي، جـ ٢١ (١٩٧١م) ص: ٢٠ .

(٢٩) «تاريخ مكة، بكتاب المنتقى في اخبار أم القرى» (ليبزج ١٨٥٩م) ص: ٢٦ .

(٣٠) «كتاب الروض المعطار في أخبار الأقطار» (بيروت، ١٩٧٥م) ص: ١٥٧ .

(٣١) «وثائق الجنيزة» The Genıza Documents هي مجموعة من الوثائق التي عُثر عليها في حجرة مظلمة في سيا جوج (معبد اليهود) بالفسطاط على مقربة من القاهرة، أيضاً مجموعة وثائق أخرى وجدت في مقبرة البساتين على مقربة من مدينة القاهرة، وقد وجد هذه الوثائق بعض الأساتذة الغربيين الذين نقلوها إلى الجامعات الغربية، ولم يكن نقلها تم بأن جمعت في مكان واحد وإنما تناثرت في أكثر من مكان، وقد يزيد عددها على عشرة آلاف وثيقة في أماكن متعددة من العالم الغربي.
انظر عن هذه الوثائق:في حسنين محمد ربيع «وثائق الجنيزة وأهميتها لدراسة التاريخ الاقتصادي «دراسات تاريخ الجزيرة العربية»، الكتاب الأول، جـ ٢، الندوة العالمية لدراسات تاريخ الجزيرة العربية (الرياض ١٣٩٧/١٩٧٩م) ص: ١٣٢

S.D Goıtein Studies in Islamic History and Institution (Leıdon, 1966) P.279-280, idem «The Cairo Genıza as asource of the History of Muslim Civilizatıon» Studia Islamica Vol-III (1955) PP. 75ff.

(٣٢) ربيع، «وثائق الجنيزة» ص: ١٣٥

S.D Goıtein, A Mediterranean Society, Vol I (Berkeley, 1967) P.214.

(٣٣) محمد زغروت «العلاقات التجارية الدولية ودور المغرب الإسلامي فيها خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين» مجلة «الدارة»، مجلد ١١، جـ ١ (١٤٠٥/١٩٨٥م) ص: ١١٣-١٢٨ .

(٣٤) «المسالك»، ص: ١٥٣-١٥٤ .

(٣٥) انظر الأزرقي، أخبار، جـ ٢، ص: ٧٦ ، ٨٠ ، الفاكهي، كتاب «أخبار مكة»، رسالة دكتوراه، بجامعة اكستر، تحقيق فواز الدهاس (١٩٨٣م) ص: ٣٢٣، ٣٢٧، طاهر العميد «التوسعات القديمة والحديثة في عمارة المسجد الحرام» مجلة كلية الآداب ببغداد، جـ ١٤ (١٩٧٠-١٩٧١م) ص: ٥٠٨ ومابعدها.

(٣٦) «فتوح البلدان» (بيروت، ١٤٠٣/١٩٨٣م) ص: ٢١٧-٢١٨ .

(٣٧) تاريخ اليعقوبي، جـ ٢ (ليدن، ١٨٨٣م) ص: ١٧٧ .

(٣٨) ابن خرداذبة، «المسالك»، ص: ١٥٣-١٥٤ .

(٣٩) اسماء، ص: ٣٩٨-٣٩٩ .

(٤٠) «معجم ما استعجم» ج ١ (القاهرة ١٣٦٤/١٩٤٥م) ص ٣٣٥ .

(٤١) «معجم البلدان» جـ ٢ (بيروت، ١٣٧٤/١٩٥٥م) ص: ٩٢-٩٣

(٤٢) المقدسي، احسن، ص: ٩٧ .

(٤٣) ابن بكار، «أخبار الموفقيات» (بغداد، ١٣٩٢/١٩٧٢م) ص: ١٤٦، جمهرة، جـ ١، ص: ٤٨٧ ، اليعقوبي، تاريخ، جـ ٢ ، ص: ١٧٧ .

(٤٤) ابن بكار، جمهرة، جـ ١ ، ص: ٤٨٧ .

(٤٥) انظر ابن بكار، اخبار، ص: ٣٣٩، الطبري، تاريخ، جـ ٧ ، ص: ٦٠٣ ،

J. Lassner, The Shapping of Abbasid Rule (princeton, 1980) P. 70-72, F. Omar, Some Aspects of the Abbasid-Husaynid Relations during the Early Abbasid Period 132-193 A.H. 750-809 A D. «Arabica, Vol xxii (1975) P 17off.

(٤٦) انظر الطبري، تاريخ، جـ ٧ ، ص: ٦٠٣ ، جـ ٩ ، ص: ١٢٩-١٣٠ ، ابن تغري بردي، «النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة»، جـ ٢ (القاهرة، بدون تاريخ)، ص: ٢٦٢،

S Ameer Ali A short History of the Saracens, (London, 1899) P.229, R. Hartmann «Djudda» (rev. P A Marr), EI², Vol II, P.571-3.

من وثائق التاريخ الاجتماعي لمنطقة عسير

على الرغم من أن دراسة وثائق التاريخ الاجتماعي تعجُّ دائماً بالكثير من الظواهر المتميزة التي تفوق معظم مصادر التاريخ الأخرى، فإنها لم تَلْقَ العناية الكافية من المؤرخين المسلمين بعامة، ومؤرخي الجزيرة العربية بخاصة.

وترجع أهمية هذه الوثائق إلى أنها لم تكتب أصلاً بهدف التأليف التاريخي مما ينفي عنها الأهواء الذاتية، يضاف إلى ذالك أنها تجسيد حيٌّ للمجتمع بنظمه، وعاداته، وتقاليده. كما أنها مرآة يمكن أن نرى بها صورة واضحة لحياة الناس، خلال قيامهم بالبيع والشراء ، وتنظيم شؤونهم الداخلية، وأفراحهم وأتراحهم، ومشاكلهم وقضاياهم، وعاداتهم وتقاليدهم وفيما يلي نعرض لإحدى هذه الوثائق.

أولاً : الوثيقة التي بين أيدينا تعرض لما كانت تعانيه منطقة عسير قبيل الفتح السعودي لها من خلافات ومشاكل ومنازعات، وتوضح مدى السلطة التي كان يتمتع بها القاضي بين الناس. فقد كان نظام القضاء في عسير ـ خلال الفترة ـ التي تتحدث عنها الوثيقة وهي القرن الثالث عشر الهجري، التاسع عشر الميلادي ـ وبالتحديد في عام ١٢٧٤هـ ـ كان مُهَاباً من الجميع، فالقاضي ـ كان يتوسط المجلس وفي يده عصا رفيعة، ويجلس أمامه المتقاضيان، ومن ورائهما المستمعون، يجلسون القرفصاء بشكل دائرة كاملة تقريباً، فيشير القاضي بالعصا إلى المدَّعي ليشرح دعواه، فينهض المدعي واقفاً فيصلي على النبي ﷺ ، ثم يذكر دعواه، وبعد أن ينتهي يشير إليه القاضي بالجلوس، ثم ينهض المدَّعَى عليه بإشارة من القاضي، فيذكر دفاعه، ثم يتقدم بالشهود، ويعرض البيانات، وإذا كان بين السامعيْن شاهد يشير بيده اليمنى، ويمد سبَّابتها مصلياً على النبي ﷺ ، فيدعوه القاضي إلى أداء الشهادة فيؤديها، فإذا اكتفى القاضي بأقواله أشار إليه بأن يجلس، ثم يصدر القاضي حكمه في الحال، وإذا كان للمدَّعينَ أو لأحدهما أو لغيرهما

اعتراض على الحكم يصغي إليه القاضي، ويجيب عليه، وإن أصبح الحُكْمُ قطعيًّا يبلغ المحكوم عليه.

وقد كان من العار لدى القبائل أن يقول الرجل الكذب أو يدعى ماليس له، أو ينكر أمراً واقعاً، لذالك كان من النادر أن يحيد أحد المتقاضين عن الحقيقة في تقرير دعواه، كما.كان حكم القاضي مطاعاً من الجميع، ولا يحتاج إلى قوة إجرائية لتنفيذه[1]. وتوضح هذه الوثيقة مَدَى شدة النزاع على الحدود بين قبيلة خثعم، وأحد فروعها من البدو، وهم بنو واس.

ثم تدخُّلُ الأمير محمد بن عائض في الأمر بإرسال أحد القضاة لإصلاح ذات البين بينهما، وقيام كل من الطرفين المتنازعين بتوكيل أحد الأشخاص الموثوق فيهم لعرض وجهة نظر الطرف الذي وكَّله، وإبراز الدلائل والبينات التي تساعد القاضي على تبيين الحقيقة، وانتهاء الأمر بحدوث التراضي والصلح بين الطرفين المتخاصمين بحضور القاضي، ومن المعروف أنه بعد أن صَهَرَ الملكُ عبدالعزيز آل سعود القسم الأكبر من الجزيرة العربية في بوتقة واحدة، وتوصل إلى إقرار السلم، والوحدة بين القبائل، انتهت مثل هذه المنازعات تقريباً، وتولد بين الناس شعور بالتّضامن، سَـمَا على المنازعات القبلية، والعصبيات العشائرية، وكان نتاج ذلك تولد روح المحبة، وإزالة الحزازات والإحن وإصلاح ذات البين، وبخاصة بعد تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بأمانة وعدالة.

ثانياً: أهم المواضع والقبائل المذكورة في الوثيقة:

١ ــ **خَثْعَـمُ**: قبيلة من القحطانية تنسب إلى خثعم بن أنمار، أقامت في جبال السراة وما والاها حتى مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سَبَإ، فقاتلوا خثعماً وأجلوهم عن منازلهم، ونزلت خثعم مابين بيشة وتُرَبَة، ومنازلها الآن بين شمران في الشمال والغرب وبَلْقَرْن في الجنوب والشرق للتفاصيل انظر. البكري الأندلسي: «معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع» جـ ١ ـ تحقيق مصطفى السقا ـ بيروت عالم الكتب، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م ص ٦٣ وفؤاد حمزة: «قلب جزيرة العرب» القاهرة، المطبعة السلفية، ١٣٥٢هـ/١٩٣٣م وأيضاً

عمر رضا كحالة: «معجم قبائل العرب القديمة والحديثة» دمشق، المكتبة الهاشمية ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م.

٢ ــ **بنو وَاس**: من فروع خثعم، وهم من البدو انظر. فؤاد حمزة: «في بلاد عسير» الرياض الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م ص ٦١.

٣ ــ **وادي شُواص**: أحد الأودية التي تتصل بِرَنْية، وفي شرقه يوجد معدن الذهب انظر. حمد الجاسر: «في سراة غامد وزهران» دار اليمامة، ١٣٩٧هـ ص ٣٨، ٣٦٧.

ثالثاً: أبرز الشخصيات المذكورة في الوثيقة:

١ ــ **محمد بن عائض**: تولى حكم عسير في الفترة من ١٢٧٣ ـ ١٢٨٩هـ. وقد اكتسب هذا الأمير مَجْداً في قومه نتيجة انتصارات والده عائض بن مرعي على الأتراك، وصدهم عن بلاده، وفي عهده ازدهرت علاقات عسير بنجد للتفاصيل انظر كتابنا: «ارتباط عسير بالدعوة الإصلاحية منذ الدولة السعودية الأولى» دار جرش، خميس مشيط، ١٤١٠هـ ص ٣٣.

٢ ــ **آل غُشَيَّان**: من أهل العارض، لهم مواقف كريمة وشجاعة وفروسية منهم فهد وحمد اللذان قتلا مع عبدالله بن فيصل في معركة أم العصافير في عام ١٣٠١هـ، ومنهم ناصر بن غشيان الذي كان من رجال الملك عبدالعزيز الذين يعتمد عليهم، وكان منهم العلماء والقضاة أيضاً. للتفاصيل انظر. عبدالله بن خميس «معجم اليمامة» جـ١، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م ص ٥٠٢.

رابعاً: أثر اللهجة المحلية في اللغة الفصحى للوثيقة:

على الرغم من أن أهل عسير السراة كانوا أفصح وأصحَّ نطقاً من غيرهم من أهالي المناطق المجاورة لهم، فإن لهجتهم تغيرت مع مرور الزمن نظراً لاختلاطهم بالوافدين عليهم، وتأثرهم بكلامهم، فأصبحوا يقلبون الضاد ظاءً، والظاء ضاداً، ويقلبون الجيم ياءً، ولا يفرقون بين التاء المفتوحة والتاء المربوطة وقد أثرت هذه اللهجات على طريقة كتابتهم كما يتضح من نص الوثيقة[٢].

خامساً: تدلنا هذه الوثيقة على أنه كان يوجد في الجزيرة العربية منذ القدم علماء وقضاة خلفوا مجموعة كبيرة من الوثائق التي يمكن أن تكشف جوانب هامة من تاريخنا الاجتماعي لو وجدت من يعنى بدراستها. وفيما يلي نعرض لنص الوثيقة.

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه من المسلمين أنه قد حصلت مشاجرة[٢ب] بين خثعم وبني واس في بلاد بين القرى[٣] والبدو وهي[٤] وادي شواص ووادي كرم فلما اشتد نزاعهم بلغ الجواب إمام الزمان محمد بن[٥] عايض حفظه[٦] الله فأمر أمير البلاد وهو سعد بن محمد بن ساهر أن يأخذ قاضياً[٧] ويصلحها من طرفها بوجه الحق، واستحضر[٧] القاضي عايض بن راشد ونزلوا بالبلاد المذكورة، واستحضروا من كبار خثعم مقبل بن البيدان، وجار الله، وسلوم بن سفر، ومسفر بن ناصر ومسفر ابن عبدالرحمن، وعبدالله بن عدلان، وعصيّد، وهادى بن حمدان، ومساعد بن عوض، وسعد بن حويزب وشاهر بن عليوا، وعبدالله بن مدهش، وحضر من كبار بني واس مسفر بن سعد وسعد بن دهبش وفايز بن محمد، وسعد بن مثيب، وعوضه بن سلوم، وبخّان، وسعد بن عتيق، وواقي، وسعد بن قَطَنْ، ومجدول وتداعوا المذكورين[٩]، وقد وكلوا خثعماً[١٠] خثعم على دعواهم مقبل بن البيدان، ووكلت[١١] بنو[١٢] واس على دعواهم سعد بن دهبش، وادعى[١٣] مقبل بن البيدان أن حد بلادنا يا خثعم من أوطاننا إلى بير حضيرى وانه قد حكم بيننا ابن غشيان قاضي ابن سعود، وحكم بالبلاد لنا من بير حضيرى إلى أوطاننا في أمر سعود، وأنكر وكيل بني واس وهو سعد بن دهبش دعوى وكيل خثعم، وان الحد بين خثعم وبني[١٤] واس ربطة المشرّق وأنه ما لخثعم[١٥] منها، وشرق علينا وجه يابني واس فقدم الشرع المدعى بالبينة[١٦] فلم يثبت عند الشرع من البينات شيء[١٧] ثم أن الخصماء تراضوا[١٨] على صلح في الديرة بنظر سعد بن محمد بن ساهر، وبحضور[١٩] القاضي، وجعلوا بينهم ربطاً[٢٠] تقرع[٢١] البدوي عن الحضري وتقرع الحضري عن البدوي فجعلوا ربطه في ريع الحجون الأعلى وهي في الضرب الأحمر على قطر الماء[٢٢] من يمن[٢٣] ثم يناظرها طرف المطردات من

بسم الله الرحمن الرحيم

يعلم من يراه من المسلمين انه قد حصل مشاجرة بين خثعم وبني واس في بلاد
بين القرا والبدو وهو وادي شواص ووادي كرم فلما اشتد تزاحمهم
بلغ الجواب إمام الزمان محمد ابن عايض حفظه الله فامر على امير البلاد
وهو سعود بن محمد بن سعدان يأخذ قاضي ويصلحها من طرفها بوجه الحق
والستحظر القاضي عايض ابن راشد ونزلوا بالبلاد المذكوره واستحضروا
من كبار خثعم مقبل ابن البيدان وجار الله وسلوم ابن سعوي وسعوي ابن ناصر و
مسفر ابن عبد الرحمن وعبد الله ابن عدكان وعصيد وهادي ابن شملان
ومساعد ابن عوض وسعد ابن هوزاب ومشاجر ابن سليمان وعبد الله ابن عيش
وحضر من كبار بني واس مسفر ابن سعد وسعد ابن دهيش وفايز ابن سعد وابن
وسعد ابن مثيب وعوضة ابن سلوم وابخات وسعد ابن عتيق
وسعد ابن قعلن ومجدول وتداعوا المذكورين وقد وكلوا خثعم
على دعواهم مقبل ابن البيدان ووكلوا بني واس على دعواهم سعد ابن
دهيش والدعا مقبل ابن البيدان ان حد بلادنا يا خثعم من أوطامنا الى
بير حضيري وانه قد حكم بيننا ابن غثيمان قاضي ابن سعود وحكم
بالبلاد لنا من بير حضيري الى أوطامنا في أسر سعود وكل بني
واس وهو سعد ابن دهيش دعوى وكيل خثعم وان الحد بين خثعم وبينه
بني واس ربطت المثرق وانه مال خثعم منها وشرق عايشة يا بني واس
فقدم الشرع المدعي بالبينه فلم يثبت لعند الشرع من البينات شيء ثم
انهم تراضوا الخصمان واصلح في الدرع بنصر سعد ابن محمد ابن سالم وبحضرت
القاضي وجعلوا البينهم ربط تقرع البدو من الحضري وتقرع الحضري
على البدو فجعلوا ربطه في ربع الجون الأعلى وهي في الضرب الأخمس
على اقطر الما من بين ثم يناظرها طرف المطرات من اخرهن اقطرها في يمين
جنب المشي ثم من لهذا الربط وبجر ترفع خثعم عن بني واس واما ما يربح
الجون الأعلى فهم شركا فيه وهذا الصلح بين خثعم وبين بني واس
على رضا واختيار وحضر هذا الصلح الدائم من خلته ابن حسين وعايض ابن صالح
وسعوي ابن مساعد وعازب ابن رماد ابن صالح وفالح ابن حسن وسعوي ابن عزيز
وضيف الله ابن فايز ومسعود ابن عبيهد وسليم ومنصور ابن مثيب وسعد ابن عزيز
وهادي ابن ملايف وعلي ابن هاشل وفيصل ومطر ابن جاسر ومسفر ابن
وظافر ابن صالح وغيرهم من اهل حبته ومزرع من اهل وفات وفايز من الزرع
وجمع كثير فيه مقدار ربع مئة رجل خير ما ذكر ابن وكان هذا الصلح
يوم الثلاث ثنا من عشرين شهر ذي القعده الحرام في سنة الربع وثلاثين
ثنين الف من الهجرة النبويه على صاحبها افضل الصلاة

[illegible] ذي القعده الحرام في عام ١٣٤

بحر[٢٤] ثم أقطرها من يمن جنب المشى ثم من هذا الرّبط ، وبحر ترفع خثعم عن بني واس، واما ماء ريع الحجون الأعلى فهم شركاء فيه، وهذا الصلح بين خثعم وبين بني واس على رضا واختيار ، وحضر هذا الصلح الله ، ثم من خلقه محمد بن محيي ، وعايض بن صالح وسفر بن مسافر ، وغازي وهادي بن صالح ، وفالح بن حسن ومسفر بن محمد ، وضيف الله بن شانف ، ومستور بن عبيد وسيحم، ومنصور بن مثيب، وسعد بن مجزع، وهادي ابن ضايف[٢٥] وعلي بن هاشل وفيصل ومطر بن جاسر ومسفر بن مسفّر ، وظافر بن صافي، وشلوه من آل حبه ومزعزع من الحلافات، وظافي من الفزع، وجمع كثير فيه مقدار أربع مئة والله خير الحاضرين[٢٦].

وكان تحرير الخط يوم الثلوث ثامن عشر من شهر ذي القعدة الحرام في سنة أربع وسبعين ومئتين وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة، والسلام.

١٨ في شهر ذي القعدة الحرام في سنة ١٢٧٤هـ ـ ختم ـ

كلية اللغة العربية ـ أبها: د. عبدالمنعم بن إبراهيم الجميعي

الهوامش:

(١) للتفاصيل انظر مذكرات سليمان شفيق باشا متصرف عسير ـ تحقيق محمد العقيلي ـ نادي أبها الأدبي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/١٩٨٦م ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

(٢) للمزيد من التفاصيل حول لهجات أهل عسير انظر. فؤاد حمزة: في بلاد عسير ، القاهرة ، دار الكاتب العربي، ١٩٥١ ص ١٣٠ .

(٢ ب) في الأصل حصل مشاجر والصواب ما أثبتناه.

(٣) في الأصل القرا. (٤) في الأصل وهو.

(٥) في الأصل ابن، ومن المعلوم أن الألف بين علمين متصلين لا تكتب إلا إذا جاء ابن في أول السطر ، ونظراً لتكرار ذلك الخطأ في كتابة كل الأسماء الموجودة في الوثيقة فقد قمنا بتصحيحها دون الإشارة إلى ذلك في مكانه مَنْعاً للتكرار .

(٦) في الأصل حفضه. (٧) في الأصل قاضي.

(٨) في الأصل واستحظر .

(٩) بمعنى وادعى كل منهما على الآخر .

←

حضرموت: بلادها وسكانها

لعالم حضرموت ومؤرخها عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف

(١٣٠٠ / ١٣٧٥هـ)

ـ ٢ ـ

بـــــروم :

هي مرسى حصين من عواصف الرياح، أحصن من مرسى الْـمُكَلَّا على حصانته، فإليه تأوي السفن عند اضطراب الأمواج، وهيجان البحر ، وهو واقع بين ميفع والـمُكَلَّا ، قال الطيب باَمَخْرَمَة: بروم بلدةٌ بين الشِّحْرِ ومَيْفَع ، على ساحل البحر ، كانت بلدة قديمة، من أعمال فوه يجلب إليها الصبرُ الصُّقُطْرِيُّ ، وكان بها قلعة تسمى عُرْفَةَ ـ بضم العين المهملة وسكون الراء ـ وهي ردية الماء ، وأكثر أهلها المتقدمين صيادون انتهى وفيه شاهد لأَنَّ الـمُكَلَّا لم تكن إذْ ذاك شيئًا مذكورًا وإلَّا لأشار إليها ، وإلى بَرُوْمُ ينسب السيد حسن بن محمد بن علوي بن عبدالله بن علي بن عبدالله باعلوي، وقد ترجم في «الـمَشْرَع» لابنه أحمد بن حسن، وذكر أنه هو الذي عمر مسجد آل جديد بِتَرِيْم ، وأنشأ له بركة في سنة ←

→ (١٠) في الأصل خثعم . (١١) في الأصل ووكلو.
(١٢) في الأصل بنى. (١٣) في الأصل والدّعا.
(١٤) في الأصل وبين بني واس ولما كانت بين لا تتكرر بين اسمين ظاهرين فقد حذفنا الثانية.
(١٥) في الأصل مال خثعم.
(١٦) بمعنى البينة على من ادعى، واليمين على من أنكر .
(١٧) في الأصل شي. (١٨) في الأصل أنهم تراضوا الخصما.
(١٩) في الأصل وبحضرت.
(٢٠) في الأصل ربط والمقصود به عهد أوحد.
(٢١) بمعنى تمتع أو تفصل.
(٢٢) في الأصل الماء . (٢٣) يقصد جهة الجنوب.
(٢٤) يقصد الغرب. (٢٥) في الأصل ظايف. (٢٦) في الأصل الحاظرين.

← ٩١٩ فنسب إليه، فهو اليوم يعرف بمسجد بروم، وترجم في «الْـمَشْرِعِ» أيضاً لابن حفيده وهو عبدالله بن محمد بن أحمد بن حسن بروم المتوفى سنة ١٠٣٩ ، ولبروم هذه ذكر كثير في الحروب الواقعة بين الكسادِي والقُعَيْطِي، وهي أول مارست بها سفائن النجدة التركية في سنة ١٢٦٧ التي كان على رأسها شيخ السادة بمكة، السيد إسحاق بن عَقيل بن يحيى، ومن أعيان بروم في القرن الثامن العارف بالله الشيخ مزاحم بن أحمد باجابر ، أخذ عنه سيدنا الإمام الكبير الشيخ عبدالرحمن السقاف، المتوفى بتريم سنة ٨١٩ ، وفي الحكاية (٣٠٤) من «الجوهر» للخطيب عن عبدالله بن نافع بن أبي منذر قال: لما وقعت الفتنةُ في بلادي الهَجْرَيْنِ سرت إلى بروم عند الشيخ الكبير مزاحم بن أحمد باجابر ، فَأَحَبَّنِي، وسار بي إلى أحور ، وكانت مع الشيخ خيمة من سلطان اليمن فلما وصلنا أحور نصبنا تلك الخيمة، ومضى الشيخ مزاحم لبعض شأنه، فسألني بعض السادة عن حالي في بروم ، فقلت له: مارأيت أنجَس منها ولا من ساحل بَرْبَرَة انتهى. أما الذي أهدى الخيمة للشيخ مزاحم من ملوك اليمن فيحتمل أن يكون الأفضل عباس بن المجاهد علي، لأنه كما في «التاج» استولى على الملك في سنة ٧٦٤ ومات في سنة ٧٧٨ أو الأشرف إسماعيل بن الأفضل، وكان تولى بعد أبيه إلى أن مات سنة ٨٠٣ ، أو ابن الأشرف الذي بقي على اليمن كما في «صبح الأعشى» إلى سنة ٨١٢ وأقرب مايكون الأشرف إسماعيل، لأنه كان مُحِبًّا للعلم والعلماء . وفي الحكاية (٤٤) من «جوهر الخطيب» عن السيد أحمد بن الشيخ علي بن أحمد باجابر قال: كنت إذا اجتمعت بعمِّي الشيخ مزاحم يثني على السيد عبدالرحمن السقاف، ويقول: إنه القطب[1] وكان ذالك قبل سنة ٨٠٥ وقال السيد علي بن حسن العطاس في «سفينه البضائع»: وفي سنة ٨٨٧ توفي الشيخ الأجل، ذو الأخلاق الرضيةَ أبو الغيث عبدالرحمن بن مزاحم ببروم، وسيأتي في عَنْدل من أطراف وادي عَمَد التعريفُ بنسب الشيخ مزاحم لأنه هو وآل جابر أصحاب عندل من قبيلة واحدة، وسيأتي في الشِّحْرِ ذكر أحد علماء آل مزاحم باجابر ، وهو الشيخ محمد بن عبدالرحيم .

الـمُـكَـلَّا :

هو اسم دالٌّ على مسمَّاه إذْ جاء في مادة (كلأ) من «التاج»: وأصله أن الْكَلَاء كَكَتَّانٍ مَرْفَأُ السفن، وهو عند سيبويه فَعَّالٌ مثل جَبَّار ، لأنه يَكْلَأُ السفن من الريح ، وساحل كُلِّ نَهْرٍ كَالْكَلَإِ مَهْمُوز مقصور . انتهى باختصار ومنه تعرف أنه عربي فصيح ، لم تتصرف فيه العامَّة على ممر السنين إلَّا بالشيء اليسير ، وكانت الْـمُكَلَّا خيصةٍ صغيرة لبني حسن والعكابرة، وملجأ تعوذ به سفائن أهل الشحر والواردين إليه من الآفاق، عندما يهتاج البحر في أيام الخريف، لتَأْمَنَ به من عواصف الرياح، لأنه مَصُوْنٌ بالجبال، بخلاف ساحل الشِّحْرِ فإنه مكشوف، وقد اتخذ الصيادون به أكواخاً، ففرضت عليهم العكابرة ضريبة خفيفة، إزاء استيطانهم بها، لأنها من حدود أرضهم، ثم ازدادت الأكواخ، واستوطنها كثير من العكابرة أنفسهم، وناس من أهل رزكب، ويقال: إن آل الجدياني وهم من يافع مَرُّوْا بها في أواخر سنة ٩٨٠ مجتازين فأعجبتهم، فاستوطنوها، وصار أمر أهل تلك الخيصة إلى رئيسهم يشاورونه في أمورهم، حتى صار أميرًا عليهم، وكان كبير آل كساد ـ واسمه سالم ـ موجوداً بالْمُكَلَّا إذْ ذاك، فاغتال الجدياني، واستقل بأمر الْمُكَلَّا، ثم جاء سالم بن أحمد بن بحجم الكسادي، ومعه ولده صلاح وأخوه مقبل، فاغتالوا سالمَ الكساديَّ في البِيْر المعروفة إلى اليوم ببير بشهر ، واستولى سالم ابن أحمد بن بحجم على البلاد، وحكمها سنة ثم مات، وخلفه عليها ابنه صلاح ثم مات، وله ثلاثة أولاد عبدالرب وعبدالحبيب وعبدالنبي[٢]، وكان النفوذ لعبدالحبيب، لأنه الأكبر، ولما مات خلفه أخوه عبدالرب، وبقي بحكم الـمُكَلَّا إلى أن توفي سنة ١١٤٢، وخلفه عليها ابنه صلاح، فأخذ محمد بن عبدالحبيب ينازعه حتى اتفقوا على تحكيم صاحب عَدَنٍ، فركبوا إليها فقضى بها لمحمد بن عبدالحبيب، فسافر صلاح وأخوه مطلق وعمهم عبدالنبي[٢] إلى السواحل الإفريقية، وبقي محمد عبدالحبيب يحكم المكلا، وفي أيامه بُنِيَتْ حافَةُ الْعَبِيد، وسميت بذالك، لأن أول ما بُنِي بها بيت لِعَبِيد آل كساد، ولما مات محمد عبدالحبيب في سنة ١٢٠٧ قام من بعده ولده صلاح بن محمد بن عبدالحبيب، وكان عمه عبدالله بن عبدالحبيب ينازعه الإمارة، ولكنه تغلب عليه بمساعدة عمه

علي بن عبدالحبيب، وبقى على حكم المكلا إلى أن مات في سنة ١٢٩٠، وقام بعده ولده عمر بن صلاح وكان صلاح في أيامه استدان مئة ألف ريالاً من عوض ابن عمر القُعَيطي في سنة ١٢٨٥ وهي حِصَّتُهُ في نفقة غزوة المحائل عَامَئِذ، وبأثر موته وصل عوض من الهند إلى الشحر ، وأقام بها شهراً ، ثم سار إلى المكلا بهيئة التعزية، وبعد أن اجتمع له بها من عسكره نحو ثلاث مئة دخلوا أرسالاً، طالَب بذالك الدين، فسفر الناس بين عمر صلاح والقعيطي على أن يحتل القعيطي ناصفَة المُكَلاَّ إلى أن يستوفي ماله من الدين، ولكن عمر بن صلاح استدعى عسكره من كل ناحية، وأذكى نار الحرب، وعندما أحسَّ القعيطيُّ بالهزيمة استوقف الحرب، ونجا بنفسه، هذه إحدى الروايات في إمارة آل كساد على المكلا، والأخرى أن في أواخر القرن الحادي عشر أو أوائل الثاني عشر ورد المُكَلاَّ أحد آل ذي ناخب، وهو جد آل كساد، وبمجرد ما استقرت قدمه بالمكلا اتجهت همته للتجارة والمضاربة مع أهل السفن، ثم اتفق هو وإياهم على شَيْءٍ يدفعونه إليه، برسم الحراسة، يعطي العكابرة وبني حسن بعضه، ويستاثر بالباقي إلى أن استقوى أمره، وضعف أمر أولئك، وانشق رأيهم، فمازال يتدرَّجُ حتى صار أمير المُكَلاَّ ، والثالثة عن الشيخ المعمر أحمد بن مرعي بن بن علي بن ناجي الثاني، أن صلاح بن سالم الكسادي كان بِغَيْلِ ابن يمين، فكثر شَرُّهُ فَطرده اليافعيون الشناظير، فالتجأ إلى علي ناجي الأول بن بريك بالشِّحْرِ ، فأجاره هو وأولاده عبدالحبيب وعبدالرب وعبدالنبي، وكانت لصلاح بنت تدعى عائشة، جميلة الطلعة، استهوت قلب علي ناجي، فطلب يدها، واستاء آل بريك من بنائه عليها، لما يعلمون من شيطنة صلاح، وخافوا أن يستولي بواسطة بنته على خاطر السلطان علي ناجي، فيتَنَمَّرَ لهم، فبيتوا قتل صلاح بن سالم الكسادي، فغدر بهم علي ناجي، فذهب به إلى المكلا، وهي إذ ذاك خيصة للعكابرة، وبني حسن، فبنى بها السلطان علي ناجي حصنا على ساحل البحر، سماه حصن عبدالنبي، احتفاظاً بالاسم لولده، وعاهد أهلَ الـمُكَلاَّ لعمه صلاح بن سالم، وأجلسه بها مع عائلته انتهى. وقد نزع الشيطان آخِراً بين علي ناجي وعبدالرب ابن صلاح بن سالم الكسادي، وجاء في «تاريخ باحسن الشحري» أن علي ناجي نفى آل همام إلى الـمُكَلاَّ ، فاستنجدوا بعبدالرب بن صلاح، صاحب المكلا.

فجهَّز قوماً التقوا بعسكر علي ناجي في الْـحَدَبةِ، وقتل محسن بن جابر بن همام، وانكسر عسكر الكسادي، وغنم آل بريك جميع مامعهم، وسيأتي في تَرِيْـم أن الكسادي لم يجيءْ إلى المكلا إلاَّ بعد سنة ١١١٧ ، وفي أواخر سنة ١١٦٣ ، غزا ناجي بن بريك المكلا بسبع مئة من الحموم وغيرهم ، فلاقاهم آل كساد إلى رأس الجبل، فهزموهم، وقتلوا منهم نحو العشرين، ومن آل كساد أربعة، ولاتزال قبورهم ظاهرةً برأس الجبل، ولما مات صلاح بن سالم ـ على هذه الرواية ـ خلفه على المكلا ولده عبدالرب بن صلاح، ثم أخوه عبدالحبيب، وكان شهماً صارماً حازماً ، ثم تولى بعده ولده محمد، وفي أيامه أخذ آل عبدالرب بن صلاح يدبرون المكايد لاغتياله، فأحسَّ بذالك، فَوَطَّأَ لهم كَنَفَه، وكان ذالك في اقتبال رمضان، فأظهر النسك، واشتغل بالعبادة، فخفَّ حقدهم عليه، وهو يعمل عمله ليتغدَّاهُم قبل أن يَتَعَشَّوْهُ ، وفي الليلة السابعة والعشرين من رمضان هجم عليهم وهم غارُّوْنَ نائمون، بعد أن اشترى ذِمَمَ عَبِيدهم، ففتحوا له الباب، فأباد خَضْرَاءَهم، وقتل منهم ومن حاشيتهم ثلاثة عشر رجلاً في ساعة واحدة، وهرب من بقي منهم بخيط رقبته إلى السواحل الإفريقية، ولما مات محمد بن عبدالحبيب وقعت عصابته على ابنه صلاح بن محمد بن عبدالحبيب، وكانت له محاسن وعدل تام، وشدة قاسية على أهل الفساد، ولم يزل على ذالك إلى أن توفي في ربيع الثاني من سنة ١٢٩٠ وخلفه ولده عمر بن صلاح، وجرت بينه وبين السلطان عوض ابن عمر القُعَيْطي خطوْبٌ انهزم في أولها القعيطي، ثم استعان بحكومة عدن، فاستدعت عمر بن صلاح، وخَيَّرَتْهُ ـ بعد أن أخذت التحكيم من الطرفين ـ بين أن يدفع المئة ألف حالاً أو يتسلم مئة ألف ريال من القعيطي ويترك له البلاد، وبين أن يتسلم بروماً من القعيطي، وقدراً دون الأول من الريالات، فلم يقبل فأجبروه على الجلاء من المكلا فذهب إلى السواحل الإفريقية حسبما فصلناه بالأصل، واحتفظوا لأنفسهم مِنَّةً كبرى على القعيطي بهذا الصنيع، وكان ليوم سفر النقيب من المكلا رَنَّةُ حُزْنٍ في جميع الديار ، لأنهم كانوا متفانِيْنَ في محبته:

سَـارَتْ سَفَـائِنُهُمْ وَالنَّـوْحُ يَتْبَـعُهَـا كَـأَنَّهَا إِبِـلٌ يَحْـدُوْ بِهَـا الْـحَـادِي
وَالنَّـاسُ قَدْ مَلَؤُا الْعِبْـرَيْنِ وَاعْتَبَـرُوْا وَأَرْسَلُوا الـدَّمْعَ حَتَّى سَـالَ بِالْـوَادِي

كَمْ سَالَ فِي البَحْرِ مِنْ دَمْعٍ وَكَمْ حَمَلَتْ تِلْكَ الْقَطَائِعِ مِنْ أَفْلاَذِ أَكْبَادِ

وزعم بعضهم أن صاحب زنجبار لذالك العهد، وهو السلطان سعيد بن سلطان، منع السلطان عمر بن صلاح من النزول ببلاده لما سبق من فَعْلَةِ جَدِّهِ الشنعاءِ بأقاربه، وكاد يرجع أَدْرَاجَهُ، ولكن بقايا الموتورين من آل عبدالرب أضأرتهم الرحم عليه، فشفعوا إلى سلطان زنجبار في قبوله، فقبل نزوله، ولاتزال الدراهم مرصدةً له بأرباحها في خزينة عدن، كذا يقول بعضهم، ويزعم آخرون أن الحكومة اختلقت مُبَرِّرًا لحرمانه منها والله أعلم. ومن ذالك اليوم صَفَتِ الْمُكَلاً لآل القعيطي، يتداول حكمها بين السلطان عوض وأخيه عبدالله بن عمر إلىً أن مات الثاني في سنة ١٣٠٦، عن ولدين، كان لهما مع عمهما عوض نبأٌ يأتي ذكره في الشحر.

وفي سنة ١٨٨٨ ميلادية ـ ولعلها مرافقة سنة ١٣٠٥ هجرية ـ انعقدتْ معاهدة بين الحكومة الانجليزية والحكومة القعيطية هذا نصها: المادة الأولى تلبية لرغبة الموقع أدناه عبدالله بن عمر القعيطي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخيه عوض، تتعهد الحكومة البريطانية بأن تَمُدَّ إلى المكلا والشحر ومتعلقاتها التي في دائرة تفويضها وحكمها المنةَ السامية. وحماية صاحبة الجلالة الملك الامبراطوره. المادة الثانية: يرتضي ويتعهد عبدالله بن عمر القعيطي بالأصالة عن نفسه وبالنيابة عن أخيه عوض وورثائهما وحلفائهما بأن يتجنب الدخول في مكاتبات أو اتفاقيات أو معاهدات مع أي شعبْ أو دولة أجنبية إلاَّ بعلم وموافقة الحكومة البريطانية، ويتعهد أيضاً بأن يقدم إعلاماً سريعاً لوالي عدن، أو لضابط بريطاني آخر، عند محاولة أيَّةِ دولة أُخرى في التدخل في شؤون المكلا والشحر ومتعلقاتها. المادة الثالثة: يسري مفعول هذه المعاهدة من هذا التاريخ، وشهادة على ذالك فقد وضع الموقعون أدناه إمضاءاتهم أو ختوماتهم في الشحر باليوم من شهر مايو سنة ١٨٨٨هـ. وكنت أتوهم هذه أول معاهدة بين القعيطي والانكليز، ولكن رأيت قبلها أخرى بواسطة (جايمس بلار) والي عدن بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٨٨٢ و ١٢ رجب سنة ١٢٩٩ جاء فيها مايوافق التي قبلها، مع زيادات: الأولى أن عبدالله بن

عمر وأخاه عوض بن عمر تمكنا بواسطة المساعدة لهما من الحكومة البريطانية من الاستيلاء على مرفأيْ بروم والـمُكَلاَّ في اكتوبر سنة ١٨٨١ ، وعلى الأراضي التي كان يحتلها النقيب، وبما أن الحكومة قد أَسْدَت إليهما مساعداتٍ ومِنناً أُخرى فقد وافقوا على المعاهدة الآتية، والزيادة الثانية هي: بما أن الممتلكات التي كانت سابقاً في قبضة النقيب عمر بن صلاح قد انتقلت إلى يد عبدالله بن عمر القعيطي، وهو قد دفع مئة ألف ريال للوالي في عدن، لقاء نفقات النقيب عمر بن صلاح، فإن هذا المبلغ سيصرف بنظر الوالي في عدن عن النقيب عمر بن صلاح المذكور ، والزيادة الثالثة هي: تعهد الحكومة البريطانية بمعاش سنوي لآل القعيطي قدره ثلاث مئة وستون رُبِيَّةً ، ماداموا قائمين بشروط هذه المعاهدة انتهى. ولكن آل القعيطي ترفعوا عن ذالك المعاش الزهيد، ولم يقبضوا منه شيئاً من يوم المعاهدة إلى اليوم.

ومقدم تربة الـمُكَلاَّ هو الشيخ يعقوب بن يوسف باوزير ، وهو آخر من وصل إليه العلم من أجداده المشايخ آل باوزير ، وكانت وفاته بالمكلا في سنة ٥٥٣ وقال السيد علوي بن حسن مدهر : آل باوزير ويرجعون إلى الشيخ حسن الطرفي، المقبور بجزيرة كمران، وقال الشيخ عبدالله بن عمر بامخرمة: إن آل باوزير ينسبون إلى قرية يقال لها وزرية من شرعب باليمن، على مقربة من تَعِزَّ ، بينهما مرحلة تطل على تهامة، وقد اجتمعت بالفاضل السيد محمد بن محمد بن عبدالله بن المتوكل فحدثني عن وزْرِيَّة هذه، وقال: انها الوزيرة لاوزرية، وهي مابين شرعب والعين، بلاد خِصْبَة جدًّا، يمر فيها غيل غزير ، لاتزال به خضراء صيفاً وشتاءً ، وزعم قوم أن الشيخ يعقوب بن يوسف مِنْ آل الْـجَيْلَاني.

ولِلْـمُكَلاَّ ذكر كثير في أخبار بدر (أبوطويرق) الكثيري المتوفى سنة ٩٧٧ بسيئون، وشيء من ذالك لا ينافي كونها خيصة صغيرة لذالك العهد، لم تعمر إلاَّ في أيام الكسادي، لأنه لاينكر وجودها من زمن متقدم وصغرها لا يمنع ذكرها، فمن ذكرها فقد نَظَر بمجرد وجودها، ومن لم يذكرها فلحقارتها، ولأنها لاتستحق الذكر إذْ ذَاك، إلاَّ أنه يشكل على ذالك شَيْآنِ أحدهما أن الشيخ عمر بن صالح

هرهره(؟) لم يذكرها في رحلته التي استولى فيها على حضرموت والشحر ، ولقد ذكر فيها أنه أقام بالشِّحْرِ ثلاثة أشهر وأن ماجبا منها في هذه المدة خمسة وثلاثون ألف ريال، مع أنه متأخر الزمان في سنة ١١١٧ ، فإنَّ هذا يدل على فرط تأَخُّرِها إلَّا أَنْ يقال: إن الشيخ عمر بن صالح احترمها لمكان إخوانه اليافعيين فيها، ولكنه لا يصلح إلَّا جواباً عن الغزو لاعن الذكر ، وثانيتهما: أن كثرة المقابر بها يدل على عمران قديم، وقد يجاب بأنها ربما كانت كلها مقبرة للعكابرة وبني حسن ومن داناهم، حرصاً على مجاورة الشيخ يعقوب، كما هي عادة أهل البلاد وأهل البادية وأكثر الناس حرصاً على مثل ذالك، وقد عُمِرَ كثير من تلك المقابر ، بعد دثورها مساكن ومساجد ، وكنت اشتد في إنكار ذالك ، حتى رأيت كلام «التحفة» و «الايعاب» في ذالك وحاصل مافيهما: أن الموات المعتاد للدفن بلا مانع يدخل في قسم السُّبُل، ويجوز زرعه وبناؤه متى تيقن بلاء من دُفِن به لاسيما إذا أعرض أهل البلد عن الدفن فيه حالاً واستقبالاً ، وإنما يمتنع الإحياء والتصرف فيما تيقن وقفها، أو أن مالِكاً سَبَّلَها. وقال العيني ـ وهو من الحنفية ـ: ذكر أصحابنا أن المقبرة إذا دثرت تعود لأربابها، فإن لم يُعْرف أربابها كانت لبيت المال انتهى. وفي شروح «المنهاج» مايوافقه، وقال ابن القاسم من المالكية: لو أن مقبرة عَفَتْ فبنى عليها قومٌ مسجداً لم أر بذالك بأساً انتهى. وهذا شامل لما تحقق وقفها أو تسيل مسيل لها، أَمَّا مَالم يتحقق فيه ذالك فنحن وإياهم على اتفاق في جواز إحيائه والتصرف فيه، وقال بعض الحنابلة: إذا صار الميت رميماً جازت زراعة المقبرة والبناء عليها.

ثم إنه لم يكن للعلم شَأْنٌ يُذْكَرُ بالمُكَلَّا ونواحيها، لانصراف وزير الحكومة القعيطية السيد حسين بن حامد المحضار إذْ ذاك عن هذه الناحية، بل كان ـ رحمه الله ـ يتعمد ذالك، لأن في العلم والمدارس تنبيه الأفكار وهو يكره وجود النابغين، لئلا يزاحموه أو يغلبوه على السلطان، أو يطالبون بحقوقهم، وإنما كان يوجد فيها بحكم الفلتات، كالشيخ عوض بن سعيد بن محمد بن ثعلب، الذي تولَّى القضاء بها فيما قبل سنة ١٣١٣ وكالشيخ عبدالله بن عوض باحشران، والشيخ سعيد بن مبارك باعامر ، في قليل من أمثالهم، لاتحضرني أسماؤهم ، وبأثر وصول السادة

آل الدباغ إلى المُكَلاَّ في حدود سنة ١٣٤٣ فتحوا المدارس، واحسنوا التعليم، وكان (حزب الأحرار الحجازي)[٣] يغدق عليهم الأموال فكانوا يضمرون عن التعليم غير مايظهرون، وحاولوا تربية الأولاد على الطريقة الحربية ليعدوهم لغزو الحجاز ، واستمالوا رؤوساء يافع ، وكان لهم إذْ ذَاك أكبر النفوذ في المكلا ، وربما تركوا صندوق الذهب مفتوحاً يرونه عندما يزورونهم وبالآخرة طالبوهم بعسكر على أن يدفعوا إليهم مرتبات ضخمة، فالتزموا لهم بخمسة وأربعين ألفاً، ولكن آل الدباغ تأخروا بعد ذالك لِمُؤَثِّرٍ إما من الحجاز وإما من العراق، وحاولوا إثارة حفيظة ملك العراق، لغزو المكلا وحضرموت، وفيما كانت فرقة الكشافة مارَّةً بسوق المُكَلاَّ ترفرف عليها الأعلام العراقية تكدر لذالك الشيخ الأديب عبدالله أحمد الناخبي، وكان شريكهم في التعليم، ولكنه لم يصبر على هذا التطرف، فنبه الوزير، ولكنه خاف من يافع، وكان خَوَّاراً ، فسكت على مضض، حتى قدم الفاضل السيد طاهر الدباغ، فعرف تَهَوُّرَ أصحابه فقذعهم، ولكنه بارح المكلا وشيكا، فعادت القضية إلى أسوأ مما كانت، إلاَّ أن المسألة انحلت بطبيعة الحال، إذْ سافر علي الدباغ إلى جازان، لتدبير الثورة، فغرق هناك وكان آخر العهد به واما حسين فلم يزل مُصِرًّا على رأيه من الانتقام من الحكومة السعودية، وكانت خاتمة أمره أن نزل الحالمين من بلاد يافع، فمنعه أهلها آل مفلح، فلم يقدر عليه أحد، ثم نشبت بينهم وبين جيرانهم من يافع أيضاً فتنة، ولما علموا أنه السبب فيها اعتزموا قتله، فغدر بهم فهرب، كما فعل الكميت في زِيِّ امرأة، وذهب إلى الحمراء في آخر حدود يافع، فأَذْكَى شرًّا بينهم وبين آل القويمة من الزيدية، وكثرت بينهم القتلى ولما أحس بالفشل هرب إلى القطيب، وهي إحدى المحميات، فألقى هناك ضابطاً انقليزياً فأغرى به بَدَوِيًّا فقتله بِجُعْلٍ جعله له فطلبتُه حكومة عدن فحماه حسن بن علي القطيني(؟) وأبى أن يخيس بجواره وذِمَّتِهِ، وبعد أَن قام لديه مدة خطر له أَنْ خرج متنكراً إلى حضرموت، وكانت الحكومة الانجليزية جعلت أربعة آلاف رُبِّية لمن يلقي القبض عليه، فلما انتهى إلى الهجرين أمسك عليه عاملها، وهو الشيخ محمد بن عوض النقيب، وكان أحد تلاميذه بمدرسة النجاح بالْمُكَلاَّ ، وهناك أخذه الضابط السياسي (انجرامس) وهو يصيح ويستثير

حفائظ المسلمين، ولا مجيب، ولما وصلوا به إلى عدن طلبه ملك الحجاز، وأمر بإنزاله مكرماً في جيزان، وأعلن له عاملها عفو الملك عنه، وأنه حُرٌّ في نفسه، تحت حراسة عسكر، بمثابة خدم له، حتى يعرف سلوكه، فلم يزل يخاطب رؤوساء العشائر، ويعمل أعمالاً لا تنطبق مع المنطق، وكان ذالك أثر مرضٍ لم يزل يَتَزَايدُ بهِ حتى توفي، وهو مشمول بإكرام الحكومة السعودية وسماحها، فمن حين فتح آل الدباغ المدارس بدأت المعارف تتقدم بِخُطاً قصيرة، حتى لقد عنيت مدارس المكلا بما ذكرته في مقدمة كتابي «النجم المضِـيء، في نقد عبقرية الرضي» إلَّا أنَّ السلطان الحالي لما كان من جملة العلماء أخذ يناصر المدارس، وأغدق عليها الأموال، حتى لقد قيل لي: إنما ينفقه عليها سنوياً أكثر من ثلاث مئة ألف ربية، عبارة عما يقارب رَبْع إيراد المكلا، وقد استجلب لها ناظراً خبيراً محنكاً من السودان، هو الفاضل الشيخ سعيد القدال، فأدارها أحسن إدارة وظهر الأثر، ونبع الثمر فالمكلا بل وسائر الموانئ اليوم في المعارف وغيرها بالأمس، إلَّا أنني اقترحت على السلطان يوم كان بمنزلي في سنة ١٣٦٥ أنه يهتم بإيجاد مدرسة تحضيرية لتربية التلاميذ على الأخلاق الفاضلة، فإن الهمم قد سقطتْ، والذمم قد خَربت، ولن تعود سيرتها الأولى، إلَّا بمدرسة تأخذ بطريق التربية الصوفية[٤] أو قريب منها مع الابتعاد عن الخلطة، لِأن أكبر المؤثرات على الصبيان المشاهدة، فلن ينفعهم مايسمعون إذَا خالفه ما ينظرون، إذْ المنظور لا ينمحي من الذاكرة، بخلاف المسموع، فإنه لا يبقى إلَّا عند صدق التوجه، فلا مطمع في إصلاح نَشءٍ مع اختلاطه بمن لاتحمد سيرته البته، ولذا لم يكن لبني إسرائيل علاج من أمراضهم الأخلاقية إلا بإهلاك الجيل الفاسد في التِّيْهِ، وتكوين ناشئة لم تتأثر بهم، وفي «الصحيح»: «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يُهَوِّدَانِهِ أو يُمَجِّسَانِه» فنحن بحاجة ماسَّةٍ إلى إيجاد البشرية الصحيحة قبل العالمية، ومعلوم أن التخلية مقدمة على التَّحْلِية، والتلاميذ ظِلُّ آبائِهِم وأمهاتهم ومعلميهم، إنْ خيراً فخيراً وإن شراً فشَرًّا، وكثيراً ما أُذَكِّرُ المعلمين بخاتمة قصيدة جَزْلَةٍ لي، في الموضوع وتلك الخاتمة هي قولي:

وفوا الْكَلَامَ، وكُوْنُوا في الذِّمَامِ وَفي خَوْفِ الْـمَلَامِ عَلَى مَاكَانَتِ الْعَرَبُ

وفي المُكَلاَّ ديوان للحكومة، وإدارة للكهرباء ووزارة المالية، وليس للسلطان إلاَّ مرتَّبٌ مخصوص، قدره عشرة آلاف ربية، مع إضافات معينة لايتجاوزها، وفيها إدارة للقضاء ، ومجلس عالٍ لكن ذالك المجلس العالي هو أَكْبَرُ حِجَار الْعِثَار في طريق العدالة، فالحقوق مهضومة، والحقائق مكتومة، وطالما رُفِعَتْ إليَّ أحكامُ ذالك المجلس فإذا بها شرٌّ مما نتألم منه بسيئون، وذالك أن السلطان جعل كلمة ذالك المجلس النهائية لا معقب لها بحال، فسقطت عنه مُؤنة التحفظ ، ولم يحتج إلى مراجعة الكتب إذْ هو في أمان من النقض، والشعب مَيِّتٌ، والخاصة نفعيُّوْن، وإلا فلو احتجوا لدى السلطان لَعَدَّلَ الأَمْرَ، لأنه يكره الجور ، أما الآن فإن المجلس يفعل مايشاء بدون رقيب، فبعد أن ينشق الخصوم انشاق الخردل يَصُكُّهُم بتلك الأحكام المضحكة المبكية، صَكَّ الجَنْدَل، ولله دَرُّ الْعَبْسِيّ في قوله:

إنَّ الْـمُحَكَّمَ مَالَمْ يَرْتَقِبْ حَسَبًا أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْحَدَّ الْقَنَا جَنَفا

ودفاتر التسجيل شاهدة بصدق ما أقول، فلينظرها من له أنس بالفقه، وفي الحفظ عن «جمع الجوامع» أنه لم يقع أن قيل لنبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم: احكم بما شئْتَ ففيه الصواب، وإنما الاختلاف في الجواز ، غير أن الحفظ يخون، والعهد بعيد، ولكن المجلس العالي بالمُكَلاَّ وقع من السلطان على مالم تحصل عليه الأنبياء من ربِّها، وسيأتي في الظاهرة من أرض الكسر مايستخرج العجب العجاب، ويستلفت أنظار طالبي الحقيقة في هذا الباب.

وسكان المُكَلاَّ اليوم يزيدون عن خمسة وعشرين ألفاً، وفيها عدة مساجد، أشهرها الجامع القديم، ومسجد الروضة بناه صاحب الأحوال الغريبة السيد عمر المشهور ببو علامة بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي بن الشيخ أبي بكر بن سالم المتوفى في شبام سنة ١٢٧٨، وجامع السلطان عمر ، وهو أنزه مسجد رأيت، ومسجد النور ، ومسجد باحليوة، ومسجد السلطان غالب بن عوض وغيرها، وبها كانت وفاة العلامة الجليل الصادع بالحق، الناطق بالصدق، السيد شيخان ابن علي بن هاشم السقاف العلوي، وكان رباؤه بالغرفة، ثم تنقل في القرى، ثم سار إلى جاوا ، ثم إلى الرهط ولحج ، وكان له جاه عند سلاطينها عظيم ، ثم عاد

إلى الشِّحْر ، وجرت بينه وبين السيد عبدالله عديد أمور ، ثم سار إلى المكلا وبها توفي سنة ١٣١٣ ، وترك أولاداً أحدهم محمد بلحج ، والثاني جعفر بسربايا من أرض جاوا ، والثالث عبدالله توفي ، والرابع وهو أكبرهم علوي بالمكلا ، وله أولاد فتحوا بها مدرسة أهلية منذ عشر سنوات ، والخامس عمر ، وهو أصغرهم بالمكلا أيضاً .

ولئن قلَّ العلم بالمكلا في الأزمنة السابقة فقد كانت مَلآى بفحول الرجال ، ولقد أخبرني الثقة أن وسط البقعة المسماة بالحارة منها كان مزدانا في حدود سنة ١٣٢٨ برجال لم تعوض عنهم ، كالسيد حسين بن حامد ، وأخيه عبدالرحمن ، وسعيد وأحمد وعوض آل بُوْ سبعة ، وعلي باختار وأولاده ، وآل زياد من يافع ، وسعيد باعامر ، وعوض بن ثعلب السابق ذكرهما ، وعمر وأحمد آل معلم من شبام ، وعبدالرحمن لَعْجَم ، وعقيل بَلْرَبِيعة منها أيضاً ، وبوبكر وعبدالصمد وعبدالكريم آل بَفْلَح ، وسالم وعمر وعوض عمر آل قديمان(؟) والشيخ عمر بن عبدالله عباد ، والشيخ حسن بن عبدالرحمن عباد ، وأحمد محمد وسعيد آل مسلم ، وعمر الجرو ، وولداه عبدالله وعلي ، وسالم وسعيد آل بشير ، والشيخ عبدالله بارحيم ، وآل غَزِّيْ وآل غريب وغيرهم ، هاؤلاء كلهم من نقطة صغيرة من الحارة ، دع ماسواها ، كانت العيون بقربهم تَقِر والنفوس بجوارهم تستبشر ، فتواتر نعيهم ، واشتدت الواعية بهم :

فَلَوْ قِيْلَ هَاتُوا فِيْكُمُ الْيَوْمَ مِثْلَهُمْ لَعَزَّ عَلَيْكُمْ أَن تَجِيْئُوا بِوَاحِدِ

وفي غربي المكلا قرية يقال لها شرح باسالم ، وفي شمالها بستان مسور يسمى القرية ، وذالك أن كثيراً من الأيتام نجعوا من المنطقة الكثيرية بحضرموت ، في أيام المجاعة التي ابتدأت في سنة ١١٦٠ إلى المُكَلاَّ ، فأدركهم عطف السلطان ، وتصدق عليهم بذالك البستان ، وَبَنَوْا لهم فيه بِنايات تؤويهم ، فأنقذوهم من المجاعة وعلموهم من الجهالة ، وقد نيَّفَ عددهم على المئتين والخمسين ، ولكن كل من اشتد ساعده وعرف أهله رجع إليهم ، والباقون بها اليوم ، يزيدون على المئة ، في عيش رغيد ، وتعليم نافع ، وحال مشكور .

وفي شمالها البقرينُ(؟) والديس ثم الخربة والحرشيات، وثلة عضد، وهذه هي ضواحي المكلا ومخترفات أهاليها، وفي شرقي المكلا على الساحل روكب، وفيها جامع ثم بويس تبعد عن الساحل وفيها عيون ماء جارية ومزارع.

شحيـــــر :

كانت بلدة لابأس بها، ولكنها خربت من سابق الزمان، ولهذا قلَّ ذكرها ويقال: إن البرتغال جاؤوا إليها فهزمهم أهلها، وقتل منهم في هذه الوقعة خلق كثير، فخافوا أن يعودُوا إليها بتجهيز أقوى فهجروها، ولم يبق بها إلَّا العوابثة وعندما تولى بدر بو طريرق على الشِّحْر استرضَى قبائلها على خُمْسِ الْوَزِيْفِ الذي يأتي به الصيادون، واشترط عليهم أَنْ يقاتلوا معه، فرضوا بذالك، وكان يقال للشيخ عبدالرحمن الملقب بالعكضة بن أحمد بن عبدالرحيم مولى الدعامة باوزير صاحب شحير، ولايبعد أن يكون هو أول من اخْتَطَّها، فإن البرتغاليين الذين حاربوا أهلها إنما كانوا أثناء القرن العاشر، وقد توفي جده عبدالرحيم سنة ٧٤٧ فالأمر مُحْتَمِلٌ جِدًّا، وفي حدود سنة ١٢٥٥ استولى علي ناجي على شحير، وولى عليها رجلاً من آل البطاطي كان معه، ولاتزال أطلال حصنه قائمةً إلى الآن، وبقيت تحت أيدي آل بريك، حتى انتهت دولتهم بالكثيري، ثم استولى عليها عوض بن عمر بعد أن اشترط عليه قبائلها الإعفاء من الضرائب، وإبقاء عوائدهم، وسكانها نحو الألف نسمة.

(للبحث صلة)

الحواشـــي:

(١) القطب ـ بمدلول الصوفية ـ يقصد به الذي يتصرف بأمور لا يقدر على التصرف بها سوى الله سبحانه وتعالى وهي صفة لاتليق بمخلوق.

(٢) التعبيد لغير الله لا يجوز إذ الخلق كلهم عباد الله، والعبادة حقٌّ خالص له لا يجوز أن يشرك معه مخلوق كما قال جل ذكره: ﴿ وَاعْبُدُوْا الله ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾.

(٣) هو حزب ألفه بعض من غادروا الحجاز عند استيلاء الدولة السعودية سنة ١٣٤٣هـ، وقد حظى أولئك ـ بعد أن عادوا ـ برعاية الملك عبدالعزيز رحمه الله بتعيينهم في وظائف عالية في الدولة، ومنهم السيد محمد طاهر الدباغ، وعبدالحميد الخطيب، وعبدالرؤوف الصبان، ومحمد صادق.

(٤) لعله يقصد (الصوفية) المتمشية على النهج الصحيح، وهو طريق المصطفى عليه الصلاة والسلام وأصحابه والسلف الصالح من أمته.

قضايا لغوية

ظهرت مصنفاتٌ تحمل عنواناتٍ تدور حول الأخطاءِ اللغوية والنحوية، وقد جنح مؤلفوها لتخطئة ماهو صواب، كما أنه نُشرت كتبٌ مفيدة، وفيها جهد طيب، ولكنها لا تخلو من الأخطاء اللغوية والنحوية. وأنا أتوقع أن ذلك يعود لأخطاء الطبع، أو إلى طغيان القلم وزلته (أما الكتب غير المفيدة ـ وما أكثرها ! ـ فلا شأن لنا بها) فرأيت من الخدمة للغة العربية والنصح لها أَنْ أُنَوِّهَ بصحة تلك الأساليب التي حُكِمَ عليها بالخطإ، لأن تخطئةَ الصواب تماثل في الضرر عَدَّ الخطإ صواباً إنْ لم تكن أكثر ضرراً منه، وأن أُشِيْرَ لبيان الوجه الصحيح من خطإ الطبع، وزلة القلم.

وهدف هذا اللون من البحث اللغوي والنحوي التي وَاكَبَتْ نشأَةَ النحو نتيجة فُشُوِّ اللحن هو الحِفاظ على اللغة العربية، لغة (القرآن الكريم) المنزل على صفوة الخلق محمد ﷺ بلسانٍ عربي مبين.

والحق ـ سبحانه وتعالى ـ أَخَذَ على نفسه أن يحفظ كتابه من الضياع، فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُوْنَ ﴾ (الحجر : ٩)، وبِحِفْظِهِ تُحْفَظُ العربية.

وسأتناول في هذه الأسطر القليلة ما يلي: إعراب كلمة (وَحْدَه)، وضبطَ الكلمات الآتية: باء (بِلَّة)، وظاء (منظَر) ولام (تدلِف). وحكم الأسلوبين الآتيين: (نفس الشيء) و(كان البعض منهم) من حيث الخطأ والصواب.

إعراب كلمة (وَحْدَهُ):

كلمة (وَحْدَهُ) منصوبةٌ أَبَداً ، إلاَّ في ثلاثة مواضع، وهي: نَسِيْجُ وَحْدِهِ، وعُيَيْرُ وَحْدِهِ، وجُحَيْشُ وَحْدِهِ.

وتكون الحال نكرةً غالباً ، ومعرفة مؤولة بنكرة، فأما كلمة (وَحْدَه) فلا تتعرف بالإضافة، كـ (غير) و (مثل)، فيكون معناها: مُتَوَحِّداً أَوْ مُنْفَرِداً .

فـ(وَحْدَهُ) في نحو: (جاء محمدٌ وحدَه) حالٌ منصوبٌ.

وبالعودة إلى كتاب الله ـ تعالى ـ نجدُ كلمة (وحدَه) فيه منصوبة في الأحوال الثلاثة. قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللهَ وَحْدَه ﴾ (الأعراف: ٧٠). وقال ـ جل ذكرُه ـ: ﴿ وإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ ﴾ (الإسراء: ٤٦)، وقال ـ سبحانه ـ: ﴿ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللهُ وَحْدَهُ ﴾ (غافر: ١٢).

● و(نَسِيْج وحدِه) أسلوب في المدح، وأصله: أنَّ الثوب إذَا كان رفيعاً فلا ينسج على منواله معه غيره، فكأنه قال: نسيج أفراده، يقال للرجل إذا أفرد بالفضل.

● و(عُيَيْرُ وَحْدِه) و(جُحَيْشُ وَحْدِهِ) تصغير: (عُيَيْر) و(جُحَيْش). و(عَيْر) بفتح العين، هو الحمار الوحشي، أو الأهلي. ولا يصح كسرُ العين هنا؛ لأَنَّ (العِير) بالكسر، هي: الإبل التي تحمِل الْـمِيْرَة. أو هي القافلة. كما في «القاموس المحيط». فيتغير المعنى بتغير الحركة. وكل ماجاء في التنزيل هو بكسر العين على المعنى الثاني، وفي سورة يوسف فقط. قال ـ سبحانه ـ: ﴿ ثُـمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾ (آية: ٧٠)، ﴿ وَاسْأَلِ القَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيْها وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيْهَا ﴾ (آية: ٨٢)، ﴿ وَلَـمَّا فَصَلَتِ الْعِيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّيْ لَأَجِدُ رِيْحَ يُوسُفَ ﴾ (آية: ٩٤).

● و(جُحَيْشُ وَحْدِه) هو ولد الحمار، وهو أسلوب في الذم، يقال للرجل المعجب برأيه الذي لا يخالط أحداً في رأْيٍ، ولا يدخل في معونة أحد.

● المراجع: «الكتاب» لسيبويه (١ : ٣٧٧) طـ هارون، و«الفاخر» للمفضل ابن سلمة (ص: ٤٠) و«شرح المفصل» لابن يعيش (٢ : ٦٣) و«التصريح» للشيخ خالد الأزهري (١ : ٣٧٣).

ضبط باء (بِلَّة):

(زادَ الطيبَ بَلَّة) صوابُه: (زادَ الطينَ بِلَّة) (بكسر الباء)؛ لأَنَّ الفعل (بَلَّ) مصدره: بَلاًّ، وبِلَّةً. من بَلَّ الطينَ يَبُلُّهُ: بِلَّةً، وبَلاًّ. والبِلَّةُ بالكسر: النداوة.

وأما فتح باء (البَلَّة) فمسموع ولكن لمعنى آخر غير ما نحن بصدده.

قالت العرب: (جاءنا فلانٌ فلم يأتِنَا بِهَلَّةٍ ولا بَلَّةٍ)، فالهَلَّة من الفرح والاستهلال، والبَلَّةُ من البلل والخير.

وقالت العرب أيضاً: ما أصابَ هلَّةً ولا بَلَّةً، أي: شيئاً.

● المراجع: «الصحاح» (بلل ٤: ١٦٣٨) و«معجم الأخطاء الشائعة» (ص: ٤٢).

ضبط ظاء (منظَر):

(لا تطيق الناس مَنْظِرَ التَّوابِيتِ) صوابُه: (مَنْظَر)، لأنه مصدر ميمي، وهو يصاغ على وزن، (مَفْعَل) بفتح الميم والعين وسكون الفاء، إن لم يكن مثالاً صحيح اللام، نحو: مَنْصَر، ومَضْرَب.

● انظر «شذا العرف» (ص: ٧٦).

ضبط لام (تَدْلِف):

(فهاهي الأمة تَدْلُفُ..) صوابُه: (تَدْلِفُ) بكسر اللام. قال علماء اللغة: دَلَفَ يَدْلِفُ: دَلْفاً، ودُلُوفاً، ودَلَفَاناً، ودَلِيفاً: مَشَى رُوَيْداً، وقاربَ الخَطْوَ. يقال: دَلَفَ الشيخُ، ودلف الحامل بِحِمْله - وإليه: أقبل عليه.

وقد استعملت العرب هذه الكلمة ثلاثية، ورباعية، وخماسية.

فقالوا: دَلَفَ، وأَدْلَفَ، وانْدَلَفَ، وتَدَلَّفَ.

● المراجع: «لسان العرب» (٩: ١٠٦) و«المعجم الوسيط» (١: ٢٩٣).

● **حكم الأسلوب: (نفس الشيء) و (نفس المحل):**

يُنَبِّه بعضُ الباحثين على أن هذا الاستعمال خطأ، وأن الصواب أن يتقدم المؤكَّدَ على لفظ المؤكِّدِ، فيقال: (الشيء نفسه) و(المحل نفسه). اهـ. أجل. ورد في «معجم الأخطاء الشائعة» (ص: ٣٥٢) مايلي: يقولون: (جاء نفسُ الرجلِ)،

والصواب: (جاء الرجلُ نفسُه) لأن كلمتي (نفس) و(عَيْن) إذا كانتا للتوكيد وَجَبَ أن يسبقهما المؤكَّدُ، وأن تكونا مِثْلَهُ في الضبط الإعرابيِّ، وأن تضافَ كلُّ واحدة منهما إلى ضمير مذكورٍ حتماً، يُطَابق هذا المؤكَّدِ في التذكير والتأنيث، والإفراد والتثنية والجمع.

كما ورد في كتاب «الكتابة الصحيحة» (ص: ٣٦٩): (سأفعل نفس الشيء) خطأ، و(سأفعل الشيءَ نفسَه) صواب.

● أقول ـ وبالله التوفيق ـ: كلمة (نفس) إذا أردنا أن يكون إعرابها توكيداً فتؤخر عن المؤكَّد وجوباً، ولا يمتنع تقديمها إن أُعْرِبَتْ بحسب موقعها الإعرابي.

وبالرجوع إلى «الكتاب» لسيبويه (٢ : ٣٧٩) نقرأ فيه النص التالي: (ولما كانت نفسُك يُتَكَلَّمُ بها مبتدأةً، وتُحْمَلُ على ما يُجَرُّ ويُنْصَبُ ويُرْفَعُ، شبهوها بما يشرك المُضْمَرَ، وذلك قولك: (نزلتُ بنفسِ الجبلِ)، و(نفسُ الجبل مقابلي) ونحو ذالك).

ونقرأ في «لسان العرب» (نفس ٦ : ٢٣٦) ما يلي: (ونفس الشيء: ذاته، ومنه ما حكاه سيبويه من قولهم: (نزلت بنفس الجبل) و(نفس الجبل مقابلي)..)

ونقرأ في «شرح الأشموني»:

وإنْ تُؤَكِّدِ الضَّمِيْرَ المُتَّصِل بالنَّفْسِ والْعَيْنِ فَبَعْدَ المُنْفَصِل

نحو: (قم أنت نفسُك) أو (عَيْنُك) و(قوموا أنتم أنفسُكم) أو (أعينكم) وعَلَّقَ الصبان في «حاشيته على شرح الأشموني» (٣: ٧٩) على قول ابن مالك المتقدم بقوله: (بالنفس والعين): إنما اختص هذا الحكم بهما لقوة استقلالهما، فإنهما يستعملان في (غير المؤكَّد) كثيراً، نحو: (علمت مافي نفسك) و(عينُ زيد حسنةٌ)، بخلاف بقية ألفاظ التوكيد، فلم يكن لها من قوة الاستقلال ما لـ(النفس) و(العين)...).

واستناداً على النصوص المتقدمة أقطعُ بصحة العبَارَتَيْنِ أُسْلوباً، وليستا من قبيل الخطإ الشائع. والله الملهم للصواب.

● **حكم الأسلوب: (وكان البعضُ منهم):**

يؤكِّد بعضُ الباحثين على أن هذا الأسلوب خطأ ، وأن الصواب (وكان بعضهم)، لأن الألف واللام زائدتان، ولا مسوّغ لهما هنا.

أقول ـ وبالله التوفيق ـ: استعمل سيبويه والأخفش، والزجاجي وابنُ المقفع، وغالب النحويين (بعضاً) و(كلاًّ) بالألف واللام.

قال الأزهريُّ: النحويون أجازوا الألف واللام في (بعض) و(كل)، وإن أَبَاهُ الأصمعي كما في «لسان العرب» (بعض ١١٩/٧).

وأجاز الجوهريُّ دخول (أل) عليهما، كما في «الصحاح» (كل ٥ : ١٨١٢)، وَوَافَقَهُ على ذلك، ابنُ منظور في «لسان العرب» (كلل ١١ : ٥٩١).

وإذا أنعمنا النظر في كتب النحو واللغة وجدنا هذا الاستعمال دارجاً، يقولون: بدل الكل من الكلِّ، وبدل البعض من الكل.

قال الخضريُّ في «حاشيته على شرح ابن عقيل» في (باب البدل) (٢ : ٦٩): (وإدخال (أَلْ) على (كل) و(بعض) خطأ ؛ لملازمتهما الإضافة لفظاً أو نية ، كـ (قبل) و (بعض) و (أي)، لكن جوَّزه بعضهم لعدم ملاحظة إضافة أصلاً).

وعن (كل) و (بعض) من ناحية تعريفهما أو تنكيرهما إذا انقطعا عن الإضافة، بأن حُذف المضاف إليه، جاء في «التصريح» (٢ : ٣٥): (ذهب سيبويه والجمهور إلى أنهما مَعْرِفتان بنية الإضافة، ولذلك يأتي الحال منهما، فتقول: (مررت بكلٍّ قائماً) و(ببعضٍ جالساً)، والأصل في صاحب الحال التعريفُ.

وذهب الفارسيُّ إلى أنهما نكرتان، وألزم من قال بتعريفهما أن يقول: إن نصفاً ، وسدساً ، وثلثاً ، وربعاً ، ونحوها... معارف ؛ لأنها في المعنى مضافات، وهي إذ تعرب حالاً نكرات بالإجماع ؛ لوقوعها أحوالاً .

وردَّ بأنَّ العرب تحذف المضاف إليه وتريده، وأحياناً لا تريده، ودلَّ مجيء الحال بعد (كلّ) و (بعض) على إرادته) اهـ .

وعقَّبَ الأستاذ عباس حسن في «النحو الوافي» (٣ : ٧٢) على النصِّ المتقدم بقوله: وبناء على رأي سيبويه والجمهور لا يصح إدخال (أل) التي للتعريف على (كل) و(بعض) المعرَّفَتَيْنِ في تلك الصورة.

ويصح عند الفارسي ومن مَعَهُ. وفي رأيه تيسير، وله أنصار من قدامى النحاة واللغويين.

وفي «معجم الخطأ والصواب في اللغة» (ص: ٩٣): : قد ورد (بعض) مقترنة بـ(أل) في قول مجنون ليلى:

لا يذكر البعض من ديني فينكره ولا يحدثني أن سوف يقضيني

كذلك وردت كلمة (كل) معرفة بـ(أل) في قول سحيم:

رأيتُ الغنيَّ والفقيرَ كليهما إلى الموتِ يأتي الموتُ للكلّ معمداً

وفي «المصباح المنير» (بعض ٥٤)، و«لسان العرب» (بعض ٧: ١١٩): كان ابنُ المقفع يقول: (العلم كثيرٌ، ولكن أَخْذُ البعض خيرٌ من ترك الكلِّ).

وفي «تهذيب الأسماء واللغات» (٢ : ٦٥) (القسم الثاني): قال الإمام أبو نزار الحسن بن أبي الحسن النحوي في كتابه «المسائل السفرية»: مَنَعَ قوم دخولَ الألف واللام على (غير) و(كل) و(بعض)، وقالوا: هذه كما لا تتعرف بالإضافة لا تتعرف بالألف واللام.

قال: وعندي أنه تدخل اللام على (غير) و(كل) و(بعض)، فيقال: فعل الغير ذلك، والكلُّ خير من البعض، وهذا لأن الألف واللام هنا ليستا للتعريف، ولكنها المعاقبة للإضافة، نحو قول الشاعر (هو: منظور بن مرثد الأسدي):

كأنَّ بينَ فكِّها والْفكِّ فأْرَةَ مِسْكٍ ذُبِحَتْ في سَكِّ

إنما هو كأن بين فكّها وفكّها.

ثم أن (الغير) يحمل على الضد، و(الكلّ) يحمل على الجملة، و(البعض) يحمل على الجزء، فصلح دخول الألف واللام أيضاً من هذا الوجه) اهـ. ←

شِعْرُ الأَحْوَصِ الأَنْصَارِيِّ

لِتَوَسُّمِ مواقع المواضع المذكورة فيه

ـ ٢ ـ

١ ـ الأَبْـرق: (٢٠٦)

شَـأَتْـكَ الْـمَنَـازِل بِـالْأَبْـرَقِ دَوَارِسَ كَـالْعَـيْنِ فِـي الْـمُهْـرَق

(. . . الأَبْرَق: البُرْقَةُ ـ وقد مضى شرحها: ق ١ ـ ٦ ـ ويُضاف إلى أماكن كثيرة، ولكنه بغير إضافة من منازل بني عمرو بن ربيعة). ←

→ يعني أنها تعرف على طريق حمل النظير على النظير، فإن الغير نظير الضد، والكلّ نظير الجملة، والبعض نظير الجزء ، وحمل النظير على النظير سائغ شائع في لسان العرب، كحمل الضدِّ على الضدِّ، كما لا يخفى على من تتبَّع كلامهم. وقد نصَّ الزمخشريُّ على وقوع هذين الحملين، وشيوعهما في لسانهم، كما في «رد المحتار» (٢ : ٢٣٥).

وتَحَصَّلَ أن في مسألة دخول (أَلْ) على (بعض) و(كل) رأيين: رأيٌّ يمنع دخولها عليهما، ورأي يجيز ذالك.

ومادام في الأسلوب رأيان فلا يحسن أن نَدْعُوَ إلى الرأي المتشدد والمخطِّيء ، ونهملَ الرأيَ الآخر الذي فيه التصويب والتسهيل. وبخاصة نحن في عصرٍ كثرت فيه النداءات إلى تيسير اللغة وتسهيلها، ونبذ الخلافات.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

د. محمود فجال
أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ الأحساء

← القول بأن الأبرقَ من منازل بني عمرو بن ربيعة لياقوت في «معجم البلدان» ونقله صاحب «التاج» وأرى صواب اسم القبيلة (عمرو بن عامر بن ربيعة) وربيعة بن عامر بن صعصعة، ومن هاؤلاء الْعَمْرِيُّ من عَمْرِو بْنِ عامِرٍ، رَوَى عنه الهجريُّ «التعليقات والنوادر» ـ المخطوطة المصرية ـ ١٠ ـ وبلاد هاؤلاء في جنوب نجد، ولا صلة للشاعر الأحوص بها، ولاشك أنه أراد أحد الأبارق التي في بلاده في نواحي المدينة.

٢ ــ ذو الأثل: (١٥٣/١٦٦/٢٤٦)

أول ما يتبادر إلى الذهن عند قراءة الأبيات الثلاثة التي ورد فيها ذكر (الأثل) أَنَّ الشاعر قصد الشجر المعروف، أو أراد مكاناً ينبت فيه هذا النوع من الشجر من الأمكنة الكثيرة فقوله:

تِلْكَ بَيْنَ الرِّيَاضِ وَالْأَثْلِ وَالْبَانَا ... تِ مِنَّا وَمِنْ سَلَامَةَ نَارُ

واضح أنه لا يقصد مكاناً بعينه.

أما قوله: ـ في البيت الذي قبله ـ:

ضَوْءُ نَارٍ بَدَا لِعَيْنَيْكَ أَمْ شَبَّـ ... ـتْ بِذِيْ الأَثْلِ مَنْ سَلَامَةَ نَارُ؟

فقد عَرَّف المكان الذي شبَّتْ فيه نار سلامة بـ(ذي الأثل).

وكذا قوله:

فَالآنَ لما حَلَّ(؟) ذُوْ الْأَثْلِ دُوْنَهَا ... نَدِمَتْ وَلَمْ تَنْدَمْ هُنَالِكَ مَنْدَمَا

فهل (ذُو الأثل) في البيتين وَصْفٌ أَوْ عَلَمٌ ؟! لو كان الشاعر يتحدث عن واحدة من صويحباته بالأبيات الثلاثة لأمكن القول بأنه أراد موضعاً بعينه، ولكنه في حديثه عن اثنتين، سلامة ـ التي صرح باسمها في البيتين الأولين، ولعلها سلامة القس المغنية المدنيَّة التي تحدث عن صلة الشاعر بها محقق الديوان في المقدمة ـ ٤٦ ـ والثانية مَيٌّ التي وردت في مطلع القصيدة الميمية ـ ٢٤٥ ـ:

أَمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ عَلَى الْقِدَمِ اسْلَمَا فَقَدْ هِجْتُمَا لِلشَّوْقِ قَلْباً مُتَيَّمَا

فالأولى حجازية مدنية، والأخرى عراقية:

عِرَاقِيَّةٌ شَطَّتْ وَأَصْبَحَ نَفْعُهَا رَجَاءً وَظَنًّا بِالْمَغِيْبِ مُرَجَّمَا

أَخْلُصُ من هذا لِأَصِلَ إلى القول بأن الشاعر لم يقصد مكاناً بعينه ـ لكي نحاول تحديده كما فعل المحقق الكريم بإيراد تحديدين لموضعين أحدهما في شرق الجزيرة، والآخر في غربها، فقال عن ذي الأثل المقرون بذكر سلامة المدنية الحجازية: ذو الأثل في بلاد تيم الله بن ثعلبة كانت لهم بها وقعة بني أسد ـ ١٥٣ ـ [صواب الجملة: ذات الأثل ـ الخ كما في «معجم البلدان»].

وبصرف النظر عن مدى انطباق ماذكر على الموضع الوارد في الشعر ، فأية صلة لسلامة ببلاد تيم الله المتصلة ببلاد بني أسد وتلك في أسافل الجزيرة حيث تتصل بسواد العراق ؟

وعرَّف المحقق الفاضل ذَا ٱلْأَثْل الذي (حال) لا حَلَّ ـ دون صاحبة الشاعر الأخرى ميٍّ بأنه موضع بِودَّان، وهو واد قريب من مكة ـ ٢٤٦ ـ مع أن الشاعر وصفها بأنها (عراقية) نأت (وأتى خوف الطواعين دونها) ولعله يشير بهذا إلى وقوع (الجزيرة الفراتية) المضروب بها المثل بكثرة الطواعين ـ انظر (طواعين الجزيرة) في كتاب «ثمار القلوب» ـ وإن لم يتفق هذا مع تفسير المحقق للبيت. فكيف يحول موضع يقع غرب مكان الشاعر دون صاحبته التي تحل العراق شرقه ؟ ثم مادامت هذه المحبوبة (عراقية) فكيف يستقيم هذا مع قوله ـ قبل ذالك ـ ١٤٥ ـ:

فَإِنِّي إِذَا حَلَّتْ بِبَيْشٍ مُقِيْمَةً وَحَلَّ بِوَجٍّ سَالِماً أَوْ تَتَهَّمَا

(لعل الصواب: فأَنَّى) إذْ (بيش) في أقصى الجنوب، والعراق في الشمال، وبيش بالنسبة للمُتْهِمِ قريبٌ، فهو من أودية تهامة سيأتي تحديد موقعه.

لم يكن لتداعي هذه الخواطر في تفكيري سوى التأكيد بأن مجرد الاعتماد في فهم النصوص من أشعار القدماء وأَخْبارهم على مافي «المعاجم» قد يفضي بالباحث إلى

متاهات في الرأي، وما أرى الشاعر بذكر (ذي الأثل) عنَى موضعاً مُحَدَّدًا ، ولكنه اسم عرض له ، أو تخيله، وليس بدعاً في ذالك بين شعراء عصره ، فعمارة بن عقيل ـ حفيد الشاعر جرير ـ حين سمع مَنْ يفسر قول جده:

أمَّـا لِقَلْبِـكَ لَايَـزَالُ مُـوَكِّـلاً بِهَـوَى جُمَانَـة أَوْ بِـرَيَّـا الْعَـاقِـرِ

بأنَّ جُمانة ورَيَّا العاقر امرأتاه ـ ضحك وقال: ما هما والله إلَّا رملتانِ عن يمين بيت جرير وشماله ـ «معجم البلدان»: جمانة ـ فكأن عمارةَ بقوله هذا يلمح إلى أن الشاعر قد يذكر في شعره اسمَ موضع لا أهمية له، فيتمحَّلُ شارحو ذالك الشعر ويبالغون في محاولة معرفة ذالك الموضع، وكأنَّ الشاعر المتنبي عناهم بقوله:

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُوْ بِلِحْيَةِ أَحْمَقِ أَرَاهُ غُبارِي ثُـمَّ قَالَ لَهُ الْحَق!!

٣ ــ أَرْثَـدُ: (٢٣٥)

أَيَا صَاحِبَ النَّخْلَاتِ مِنْ بَطْنِ أَرْثَدِ إِلَى النَّخْلِ مِنْ وَدَّانَ مَافَعَلَتْ نُعْمُ؟

(. . . أرثد: واد بين مكة والمدينة، في دار الأبواء. ووَدَّان: قرية جامعة بين مكة والمدينة من نواحي الفُرْع، بينها وبَيْنَ هَرْشَا ستة أميال، وبينها وبين الأبواء نحو من ثمانية أميال).

١ ــ (دار الأبواء): الصواب: (وادي الأبواء) كما في «معجم البلدان».

٢ ــ حقًّا الأبواء بين مكة والمدينة، ولكن ما أوسع مابينهما، والأبواء واد طويل، يتكون من فَرْعَيْنِ طويلين، هما وادي الفُرْع (وادي النخل) ووادي القاحَة، فإذا اجتمعا سُمِّي مجراهما وادي الأبواء، ويعرف الآن باسم (وادي الخريبة) يمتد نحو سبعين كيلاً غرباً صوب البحر على مقربة من قرية مستورة.

٣ ــ قرية ودَّان درستْ، ولكنها كانت واقعة في أسفل وادي الأبواء (الخريبة) قبل أن ينحسر عن سلسلة الجبال نحو مستورة بما يقارب عشرة أكيال.

٤ ــ أَرْثَدُ: يقع في أسفل وادي الأَبْواءِ، بحيثُ أنَّ بعض المتقدمين كالحازمي في كتابِ «البلدان» قال: هو وادي الأبواء ـ «العرب» س ١٤/٥٣١ ـ إذْ أَرْثَدُ من

فروع الأبواءِ المنحدرة من جبل ثافل (جبل صبح) وكثيراً مايسمى الوادي بأحد فروعه، بل قد يطلق على الوادي أسماء متعددة بأسماء فروعه، كوادي الأبواء، فرعه الأيمن يدعى وادي الفرع، والأيسر يدعى القاحة، وأسفله يدعى وادي ودّان. وفي شعر نبيه بن الحجاج يرثي العاصي بن وائل وكان دفن بالأبواء:

يَـارُبَّ زِقٍّ كَـالْـحِمَـارِ وَجَفْنَـةٍ دُفِنَتْ خِلَافَ الرَّكْب مَدْفَعَ أَرْنَد

ـ «معجم ما استعجم» إذنْ فوادي أرثد هو أسفل وادي الأبواء حيث يدفع من جبل ثافل في أسفل الوادي عند قرية الأبواء الواقعة في أسفل الوادي، وأوضح مايحدد مكان أرثد قبر السيدة آمنة بنت وهب أم المصطفى عليه الصلاة والسلام الذي لايزال معروفاً في سفح الجبل، وأرثد، هو يرثد ـ مثل الملم ويلملم. وأثقب ويثقب. قال عَرَّامٌ: وفي ثافِل آبار في بطن واد يقال له يَرْثد ـ «نوادر المخطوطات» ـ ٢/٤٠١ ـ وثافل سلسلة من الجبال تحف بوادي الأبواء غرباً (بين خطي الطول ٥٥َ/٣٨° و ١٠َ/٣٩° وخطي العرض: ٥َ/٢٣° و ٤٢َ/٢٣°) والطرف الجنوبي من هذه السلسلة كان يعرف بثافل الأصغر، ويدعى الآن جبل بني أيوب (بنيوب) والطرف الشمالي هو ثافل الأكبر ـ ومنه يسيل يرثد ـ ويدعى جبل صبح.

٥ ــ الأسماء التي لا يدرك العامة معناها أو يصعب عليهم نطقها يغيّرونها إلى أسماء حديثة ومنها أرثد (يرثد) فليس معروفاً، على حدّ علمي، فقد حاولت معرفته حين قمت برحلة إلى المدينة مُتَرَسِّماً طريق الهجرة ـ «العرب» ـ السنة الأولى ـ وفروع الأبواء المنحدرة من جبل ثافل (جبل صبح) متعددة، ولكنها محددة من حيث الموقع.

٤ ــ أَسْقُـــفُ: (١٦٩)

لِغَـانِيَـةَ تَحِـلُّ هِضَـاب خَـاخٍ فَـأَسْقُفَ فَالـدَّوَافِـعِ مِنْ حَصِـيْرِ

(. . . أسقف: موضع بالبادية. . . وحَصير: مضى ذكره ـ ق ٦٣ هامش: ٧ ـ أما حضير ـ وهي رواية «وفاء الوفاء» فقاع فيه آبار ومزارع يفيض عليها سيل النقيع ثم ينتهي إلى مُزْجٍ، خضير: و «معجم البلدان» (خاخ) خطأ).

هما ملاحظتان هنا أولاهما: عدم جَدْوى قول (موضع بالبادية) وخاصَّة مادام الموضع قد ورد تحديده عن المتقدمين ـ كالبكري في «معجم ما استعجم» والسمهودي في «وفاء الوفاء» وأصل التحديد من كلام الهجري كما يفهم من كلام السمهودي، فَسَيْلُ وادي العقيق يفضي من حضير إلى غدير يقال له الـمُزْج، في شق بين جبلين يَمُرُّ به سيل الوادي فيحفره لضيق مسلكه، وهذا الجبل المنفلق الذي يَمُرُّ به السيل يقال له أُسْقف ـ انظر «أبو علي الهجري» ـ ٢٩١/٢٩٢ ـ.

والملاحظة الثانية: مادام صاحب «وفاء الوفاء» عَرَّفَ حَضِيْرا ـ بالضاد المعجمة ـ التعريف المتقدم، كما عرَّف الهجريُّ أُسْقُفَ بأَنَّ سَيْل وادي الْعَقِيق يُفْضِي إليه من حَضِيْرٍ فقد وَضَحَ مَوْقِعُ أسْقُفَ، واتَّضح أنَّ صواب الاسم في شعر الأحوص حَضِير ـ بالضاد المعجمة ـ كما في «وفاء الوفاء» ١١٩٢/١٠٤٠ ـ ومؤلف «وفاء الوفاء» أورد الاسم عن معرفةٍ، فبعدَ أَنْ نقل قول الهجري: العقيقُ يبتديءُ أوله من حَضِير. وقوله: إنَّ حضيراً آخر النقيع وأول العقيق، أضاف السمهوديُّ ـ مؤلف «وفاء الوفاء»: حِضِير مزارع معروفة بقرب النقيع، على أزيد من يوم من المدينة. إذَنْ الموضع كان معروفاً في عهد السمهودي ـ القرن التاسع ـ وأنه بالضاد، بَلْ قَدْ نَصَّ المتقدمون كنصر والحازمي على ذالك مع ذكر التفريق بين حضير وحصير، ففي كتاب «البلدان» للحازمي: (بَابُ حَصِير وحَضِير: أمَّا الأول ـ بفتح الحاءِ وكسر الصاد المهملة، وآخره راء ـ: حِصْنٌ بِالْيَمَن وأيضاً جبل في بلاد غَطَفان، وأما الثاني ـ بالضاد المعجمة والباقي نحو الأول ـ: قاع فيه آبارٌ يفيض عليها سيل النَّقِيع، وبين النَّقِيع وبَيْنَ الْـمَدِيْنَة عشرونَ فَرْسَخاً) ومِثْلُ كَلَام الحازِمِيِّ في كتاب نصر بن عبدالرحمن الاسكندري، وهو أصله ـ أنظر «العرب» س ٢٤/٦٩٩ ـ وللبكري في «معجم ما استعجم» ـ رسم النقيع ـ وَصْفٌ لحضير هذا فيه تفصيل، ولكن الاسم ورد عنده بالصاد المهملة مصحفاً، كما ورد (أَسْقُف): (سقف) خطأ، وما أكثر التصحيف عند البكري! ـ وقد نبَّه الدكتور السامرائي عند ذكر بيت الأحوص على أن الصواب حضِير؛ بالضاد المعجمة ـ وعلى خطإ صاحب «معجم ما استعجم» وعوَّل على ماورد في «وفاء الوفاء» و«معجم البلدان» ويقع حضير بقرب خط الطول: ٣٠/٣٩° وخط العرض

٢٤/٠٠° ـ في سفح جبل وَرِقان شرْقاً .

٥ ــ الأَصَافِر : (١٤٨)

وَلَمْ أرَ ضَوْءَ النَّارِ حَتَّى رَأَيْتُهَا بَدَا مُنْشِدٌ في ضَوْئِهَا وَالْأَصَافِرُ

(منشد: مضى ذكره ـ ق: ٢٥ هامش: ٢ ـ والأصافِرُ ثنايا سلكها رسول الله ﷺ في طريقه إلى بدر). أما مُنشد ـ على ماذكر المحقق الكريم ـ ١١٧ ـ عند قول الأحوص:

نظرت رجاء بالموقر أن أرى أكارِيْسَ يحتلون خاخاً ومنشداً

قال: (منشد: جبل من حمراء المدينة على ثمانية أميال من طريق الفرع) والقول لياقوت. والحمراء هذه هي حمراء الأسد الواردة في خبر غزوة أحد وغيره، قال الهجري ـ فيما نقل عنه السمهودي في ذكر سيل العقيق بعد اجتماعه بسيل النقيع: ثم يفضي ذالك إلى حمراء الأسد. . . وفي شقّ الحمراء الأَيْسَرِ مُنْشِد، وفي شقها الأيمن أيضاً شرقياً خاخ. وأضاف السمهودي: وعلى يسار المصعد من ذي الحُلَيْفة جبل يعرف بحمراء نملة والظاهر أنه منشد. انتهى ولايزال جبل حمراء نملة معروفاً يشاهده المقبل على المدينة مع الطريق الحديث يمينه. وإذَنْ فَمُنْشِدُ يقع يمين الطريق للقادم إلى المدينة، وعلى يسار الذاهب منها إلى مكة أي بقرب الطريق منها إلى الفُرَع، والرسول عليه الصلاة والسلام سلك في مسيره إلى بَدْرٍ طريقَ مكة، فمرَّ بالأصافر، وهذه جبال بين الصفراء والبحر، تبعد عن منشد مسافة تقارب مسيرة ثلاثة أيام للإبل، فكيف يَبْدُو فيها ضوءُ نارٍ بَدَا في مُنْشِد الأصَافِرُ ـ جمع أصْفَر ـ من لَوْنِ الصُّفْرَةِ أو كما في «معجم البلدان». الأصافِرُ جبال مجموعة تسمى بهذا لصفرها أي خُلُوِّهَا. انتهى وما أكثر الجبال التي تدعى الأصافر، ومن أشهرها الواردة في شعر كُثَيِّر.

عَفَا رَابِغٌ مِنْ أَهْلِهِ فَالظَّوَاهِرُ فَأَكْنَافُ هَرْشَى قَدْ عَفَتْ فَالْأَصَافِرُ

وقد ورد ذكرها في حديث نقله البكري في «معجم ما استعجم» أنَّ النبيَّ ﷺ قال لِعَمْرِو بن أُمَيَّةَ الضَّمْرِي وَقَدْ صَحِبَهُ رجُلٌ: « إذا هبطتَّ بلاد قومه فَاحْذَرْهُ»

وقد قال القائل: أخوك البَكْرِيُّ فلا تأمنه قال: فخرجنا حتى إذا كُنَّا بالأبواء قال: إني أريد حاجة إلى قومـي بِوَدَّان، فَتَلَبَّثْ لِـي، فقُلْتُ: راشِدًا. فلـمَّا وَلَّى ذَكَرْتُ قول النبي ﷺ، فَشَدَدْتُ على بعيري أَوْضِعُهُ، حتى إذا كنتُ بالأصافِر إذا هو يعارضني في رهط قال: وأوضعْتُ فسبقْتُه. قال: فلما رآني قَدْ فُتُّهُ انصرفُوا ـ رواه أبو داوود في كتاب الأدب، في باب الحذر من الناس. وهذه الأصافر التي ذكرها كُثَيِّرُ مع هَرْشَى ورابغ لاتزال معروفة مررتُ بها في رحلتي إلى المدينة مترسماً طريق الهجرة سنة ١٣٨٥هـ فتحدثتُ عنها في «العرب» في سنتها الأولى ـ بعنوان (رحلة إلى طيبة) والأصافر هذه هي التي ذكر السمهودي أنها هضبات على جبلين من هَرْشَى «وفاء الوفاء» وهي آكام حمر يخالط لونها بياضٌ فتبدُوْ وكأنها صفر، تبعد عن رابغ ٢٤ كيلاً للمتوجه إلى المدينة بالطريق القديم، وتقع قبل هَرْشى بستة أكيال (بقرب خط الطول: ٥/٣٩° وخط العرض: ١/٢٣°).

أما ٱلأَصافِرُ الوارِدَةُ في شعر الأَحْوَصِ فقد تكون جِبالاً صُفْراً في ناحية خَاخ ومُنْشِدٍ، وما أكثر الجبال الصفر في تلك الجهة !!

٦ ــ أضــاخ : (٨٨)

وَلَهَـا مَـرْبَـعٌ بِبُـرْقَـةِ خَـاخٍ وَمَصِيْفٌ بِـالْقَصْرِ قَصْرِ قُبَـاءِ

أورد المحقق ماجاء في «مروج الذهب»: فلها مربع بجنب أجاج وقال: (هذا ولعله أضاخ، من أعمال المدينة). ولماذا العدول عن الرواية الصحيحة التي ورد فيها اسم الموضع الذي تكرر في شعره نحو عشر مرات مقروناً بأمكنة هي من مرابع الشاعر.

والقول بأَنَّ أُضاخاً من أعمال المدينة قد يصح في فترة من الزمن قصيرة كانت فيها بلاد نجد مضافةً إلى والي المدينة، إذ أُضاخ في نجد، يبعد عن المدينة مئات الأميال وهو بلدة لاتزال معروفة كانتْ في العهد الأمويِّ معدودة من أعمال المدينة من حيث الإدارة، لا لقربها.

٧ ــ إِضَــمُ : (٢٥٤)

يَا مُوْقِدَ النَّارِ بِالْعَلْيَاءِ مِنْ إِضَـمِ أَوْقِدْ فَقَدْ هِجْتَ شَوْقًا غَيْرَ مُنْصَرِمِ

(. . وإضم: واد بجبال تهامة وهو الوادي الذي فيه المدينة، ويسمى من عند المدينة القناة، ومن أعلى منها عند السدّ الشظاة، ومن عند الشظاة إلى أسفل يسمى إضم إلى البحر). هذا القول نسبه صاحبُ «معجم البلدان» للسيد عُلَيٍّ ـ وهو ابن وَهَّاسٍ الحسني المكي شيخ الزمخشري، ولعله ورد في كتابه.

ولكنْ أَدَقُّ منه وَصْفاً وتعريفاً قول الهجري الذي نقله السمهودي في «وفاء الوفاء» منسوباً إليه والبكريُّ في «معجم ما استعجم» ـ رسم النقيع ـ غير منسوب ـ ومنه: مجتمع سيول المدينة بزُغَابة، وذالك أعْلَى إضَـم ـ وقوله: أوَّلُ إضم مجتمع الأسيال، وإيَّاه عنى الأحوصُ ـ وأورد البيتَ ـ وأضاف: وبإضْـمٍ أموالٌ رِغَابٌ، وإنَّما سُمِّـيَ إضم لإيضام السيول به، واجتماعها فيه، وقوله: وَتَجْتمع سيولُ العقيق وبَطِحان وقناة بالزُّغابة، ثم يفضي ذالك إلى إضم، وبإضم أموال رغاب. . . ثم يفضي ذالك إلى سافلة المدينة، الغابة وعين الصُّوْرَيْنِ ـ الخ ـ.

فالقول بأنَّ إضـمَ هو الوادي الذي فيه المدينة، غير صحيح، فالذي يَخْترق المدينة بَطِحان ومَهْزُوْر، ويحفُّها من الجنوب العقيقُ، ومن الشرق وادي قَناة، ثم تجتمع كل الأودية أسفل المدينة، فإذا اجتمعت سُمِّـي مُجْتَمَعُها إضم. وقد نَبَّهَ إلى خطإ القول بأنه الوادي الذي فيه المدينة، السمهودي في «وفاء الوفاء» رسم (إضم) وبعد أن أورده منسوباً للمجد ـ مجدالدين الفيروزآبادي صاحب «المغانم المطابة» أضاف: والصواب فيه ما تقدم في خاتمة الفصل الخامس في الأودية، ثم أورد قول الهجري: أوَّلُ إضم مجتمع السيول الخ.

٨ ــ أَمَــــجُ : (٤٦)

أَمْ كَيْفَ أَنْسَى مَسِيْـرَنَا حُـرُمـاً يَـوْمَ حَلَلْنَا بِـالنَّخْلِ مِنْ أَمَـجِ

قال الدكتور السامرَّائي: أَمَجُ من أعراض المدينة. انتهى وهذا قول صاحب «معجم البلدان» ولكنه غير صحيح، فأَمَجُ وَادٍ عظيم من أعراضِ مكة، يبعد

عنها شمالاً نحو مئة كِيْلٍ، بينما يبعد عن المدينة جنوباً مايزيد على ثلاث مئة كيل، ويجزع الطريق بين المدينتين أسفله، وهو ينحدر من غربي حرة رهاط متجهاً غرباً بين وادِيَـيْ غُرَان جنوبه، وقُدَيْدٍ شماله مارًّا بِخُلَيْصٍ نَحْوَ سَاحِلِ البَحْرِ عند قرية تُوَل، ولمنعرجات الوادي مُسَمَّيَاتٌ منها سَايَةُ وهي أعلاه، وأسفلُ منها الْـخُوَارُ، وأسفله خُلَيْص، وفي كلٍّ من هذه المسميات قُرى وأمكنة مأهُولَة (ينحدر من حرة رهاط وحرة بني سليم قديماً بقرب خط الطول: ٥/٤٠° وخط العرض: ٣٠/٢٢° متجهاً صوب الجنوب الغربي حتى خليص بقرب خط الطول ١٥/٣٩°، ثم يتجه غرباً صوب تُولَ، على ساحل البحر بقرب خط الطول ٢٠/٣٩° وخط العرض: ١٨/٢٠°).

٩ ــ البـراق: (٩٧)

فَذُوْ السَّرْحِ أَقْوَى فَالْبِرَاقُ كَأَنَّها بِحَـوْرَةَ لَمْ يَحْلُلْ بِهِنَّ عَـرِيْبُ

(ذُو السَّرْح: وَادٍ بَيْنَ مكة والمدينة، قرب مَلَلٍ. فَذُو المرخ: «التاج» ـ بِراقُ حَوْرَةَ: موضع من ناحية القَبَلِيَّةِ).

لعل اسم الموضع هنا هو حَوْرَة ـ أَمَّا البراق ـ جمع بُرْقَةٍ ـ فليس عَلَـماً بل وصف للأرض الغليظة المختلطة بحجارة ورَمْل، والقول بأن بِرَاقُ حَوْرَةَ موضع من ناحِيَةِ القَبَلِيَّة لياقوت، وهو يَقْصُدُ حَوْرَة كما يتضح فيما نقل عن تحديد موقعها عن السيِّد عُلَيِّ بن وَهَّاسٍ شيخ الزمخشري، وسيأتي تحديد الموضع مفصَّلاً في مَحَلِّهِ.

١٠ ــ بُرْقَـــان: (٢٠٥)

ورد هذا الاسم عَرَضاً في تعريف (ذاتِ الجيش) وهو تصحيفٌ سَيِّءٌ لِـ(تُرْبَان) كما سيأتي إيضاح هذا في الكلام على (ذات الجيش).

١١ ــ بِـرْكُ الْغِمَـاد: (٩٢)

وَقَدْ شَاقَهَا مِنْ نَظْرَةٍ طَرَّحَتْ بِهَا وَمِنْ دُوْنِهَا بِرْكُ الْغِمَادِ فَعُلْيَبُ

(. . وَبِرْكُ الْغِمَادِ: موضع وراءَ مكة بِخَمْس ليالٍ، مما يلي البر، وفي حديث الهجرة: لو أُمِرْنَا أَن نَبْلغَ معك بِهَا برك الغماد).

١ ــ تعريف البِرْكِ من «معجم البلدان» إلا أن كلمة (البر) صوابها كما في «المعجم»: (البحر).

٢ ــ الجهاتُ وراءَ مكة تختلف باختلاف مكان المتحدث، وكان ينبغي أن يقال: (جنوب مكة مما يلي اليمن).

٣ ــ أما جملة: (وفي حديث الهجرة: لو أُمِرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد). فهذه تحتاج إلى وَقْفَةٍ طويلة، ويظهر أَنَّ المحقق الفاضل رجع فيها إلى «لسان العرب» ونصه في رسم (برك): (وفي حديث الهجرة: لو أمرتها أن تبلغ بها برك الغماد) كذا في مطبوعة «اللسان» ولكن مصدره وهو في الغالب «النِّهاية في غريب الحديث» لابن الأَثير نَصُّهَا: (وفي حديث الهجرة: لو أمرتنا أن نبلغ معك بها برك الغماد).

لنبحث عن برك الغماد أَوَّلاً، ثم العودة لمحاولة تصحيح هذه الجملة. بِرْك الْغُمَاد ـ تفتح الباء وتكسر وتضم الغين وتكسر كما قال ابن الأَثير في «النهاية» وغيره.

وللمتقدمين في تعريف هذا الموضع أقوال كثيرة متضاربة منها: ـ

١ ــ قول الواقديِّ في «المغازي» ـ ٤٨ ـ: برك الغماد من وراء مكة بخمس ليال، من وراء الساحل مما يلي البحر، وهو على ثمان ليال من مكة إلى اليمن ـ كذا قال ـ.

٢ ــ وقال ابن جرير عن برك الغماد: مدينة الحبشة ـ «تاريخ ابن جرير» ٢/٤٣٤ ـ طبعة دار المعارف. وأشار إلى هذا القول في «فتح الباري» ـ ٧/٢٨٨ ـ بقوله: وذكر السهيليُّ أنه رأى في بعض الكتب أنها من أرض الحبشة، وكأنه أخذه من قصة أبي بكر مع ابن الدِّغْنَةِ فإنَّ فيها: أنه لقيه ذاهباً إلى الحبشة ببرك الغماد فأجاره. ويُجْمَعُ بأنها من جهة اليمن تقابل الحبشة وبينهما عرض البحر.

٣ ــ وقال إبراهيم الحربيُّ فيما نقل عنه النووي في «شرح صحيح مسلم» ـ ١٢٥/١٢ ـ: برك الغماد وسعفات هجر كناية يقال فيما تباعد.

٤ ــ وقال ابن حَجَرٍ في «فتح الباري» ٢٣٢/٧ : وحكى الهَمْدَانيُّ في أنساب اليمن: هو في أقصى اليمن، وقد نقل قبله عن ابن فارس: موضع على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن.

أما قول الهمداني فقد ورد مفصلاً في كتاب «صفة جزيرة العرب» إذ قال ص ٣٦٦ نشر دار اليمامة ـ في ذكر المواضع المضروب بها المثل من الجزيرة على حَدِّ الاستبعاد: ويقولون ولو بلغ برك الغماد. ثم أورد الخبر الوارد في غزوة بَدْرٍ، وقولاً لأبي الدرداء: لو أَعْيَتْنِي آيةٌ من كتاب الله فلم أجدْ أحَداً يفتحها عليَّ إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه وهو أقصى حجر باليمن. وأضاف: ذكر برك الغماد ثم ذكر موضعه من قصور اليمن. قال أبو محمد: قد ذكر برك الغماد محمد بن أبان ابن جرير الخنفريُّ وهو في بلد الخنفريين بناحية حِنْوَيْ مَنْعِج فقال:

فَدَعْ عنْكَ مَنْ أَمْسَى بِغَوْرٍ مَحَلُّهَا ... بِبَرْكِ الْغِمَادِ فَوْقَ هَضْبَةِ بَارِحِ

هذه مواضعُ في منقطع الدمينة وعزازة من سُفْلى المعافر، البرك حجارة مثل حجارة الحرة خشنة وَعْثَةٌ متعَاضَّةٌ، يصعب المسلك فيها.

٥ ــ ونقل الحافظ ابن حجر عن أبي عُمَرَ غلام ثعلب: موضع باليمن عند بئر بَرَهُوت، الذي يقال: إن أرواح الكفار تكون بها. ـ «فتح الباري» ٢٣٢/٧ ـ.

٦ ــ ونقل أيضاً عن ابن دريد: هو بقعة في جهنم. ولكنه أضاف: واستبعد بعض المتأخرين ماذكره ابن دريد فقال: القول بأنه موضع باليمن أنسبُ لأن النبي ﷺ لا يدعوهم إلى جهنّم، وخفي عليهم أنَّ هذا بطريق المبالغة، فلا يراد به الحقيقة، فيحمل قوله (جهنم) على مجاز المجاورة، بناءً على القول بأن بَرَهُوتَ مأْوَى أَرْوَاح الكفار، وهم أهل النار.

٧ ــ وقال البكري في «معجم ما استعجم»: برك: وهو في أقاصي هَجْرٍ، هو برك الغماد الذي ورد في الحديث. ولعل البكري نقل هذا عن القاضي عياض

الذي نقل عنه هذا القول النووي في «شرح صحيح مسلم».

٨ ــ وقال الحازمي في «المؤتلف والمختلف في أسماء الأماكن» في (باب الغِماد والعِماد والغِمار) ما نصه عن الغماد ـ: هو بكسر الغين ويقال بِضَمِّها ـ إلى أن قالَ: وهو موضع من وراء مكة بخمس ليال بناحية الساحل، وقيل بلد يَمَانٍ انتهى فجاء فيما نقل النووي في «شرح صحيح مسلم»: ١٢/١٢٥ ـ: . . . وقيل بلدتان ـ خطأ.

٩ ــ وقال ياقوت في «معجم البلدان»: هو موضع وراء مكة مما يلي البحر. وقيل: بلدٌ باليمن، دُفِنَ عندَهُ عبدُ الله بنُ جُدْعَان التيميُّ القرشي، قال الشاعر:

سَقَى ٱلْأَمْطَارُ قَبْرَ أَبِي زُهَيْرٍ إِلَى سَقْفٍ إِلَى بِرْكَ الْغِمَاد

١٠ ــ وقال ياقوت أيضاً: بِرْكُ ـ بوزن قِرْدٍ ـ ناحيةٌ باليمن، وهو بَيْنَ ذَهْبَانَ وحَلْي، وهي نصفُ الطريق بين حَلْيٍ وَمَكَّة، وإيَّاها أرادَ أبو دَهْبَل الجمحي بقوله يصف ناقته ـ ثم أورد قصيدته الميمية التي ذكر فيها مكة فَيَلَمْلَمَ فاللَّيْث فَالْبَزْوَاء، فَعُلَيْبَ، فَدَوْقَةَ فوادِي الْبِرْك.

أمامنا الآن أقوالٌ:

١ ــ بقعة في جهنم عند ابن دريد.

٢ ــ مدينة الحبشة عند ابن جرير.

٣ ــ كناية عن المكان البعيد عند الحربي.

٤ ــ أقصى هجر عند القاضي عياض والبكري.

٥ ــ في أقصى اليمن عند الهمداني.

٦ ــ على خمس ليال من مكة إلى جهة اليمن مما يلي الساحل عند الواقدي، وابن فارس، والحازِمي، وابن الأثير، مزجت أقوال بعضهم ببعض.

٧ ــ على ثمان ليال من مكة إلى اليمن. قول ثان للواقدي.

٨ ــ بلد باليمن كما في «معجم البلدان» لياقوت.

٩ ــ تحديد ياقوت بأنه ناحية باليمن بين ذهبان وحلي.

أما الأقوال الأربعة الأولى فغير معقولة لمخالفتها النصوص والأخبار التي ورد فيها اسم الموضع.

وأما قول الهمدانيِّ بأنه في أقصى اليمن في سُفلى بلاد المعافر وهي المعروفة الآن باسم (الـحُجَرِيَّة) ـ «معجم البلدان والقبائل اليمنية» ٦٣٦ ـ الواقعة في الجنوب من مدينة تَعِزّ، فقد يكون هناك موضع بهذا الاسم ـ وأنه المراد بخبر أبي الدرداء إذَا صَحَّ قوله وهو: أقصى حجر باليمن، وليس من قول أحدِ رُواة الخبر. إذِ الهمداني من أعلم المتقدمين بمواقع اليمن.

أما الأقوال الباقية فيمكن التوفيق بينها فكل ماهو جنوب مكة يدعى يَمَناً، والسائر إلى تهامة ليجوز البحر إلى الحبشة أَوْ لِيَذْهَبَ إلى اليمن يتجه من مكة إلى اليمن حتى يبلغ البِرْك الواقع على ساحل البحر، ويختلف قطع المسافة بينه وبين مكة بحسب قدر السير، فالمسرع قد يبلغ بلدةَ حَلْيٍ بعد خمس ليال من مكة بسير الإبل، وقد تزيد المدة مع تباطيء السير، وتحديد ياقوت له بأنه بين ذَهْبَان وحَلْيٍ صحيح، أما القول بأنه نصف الطَّريق بين حَلْيٍ ومكة فخطأٌ، إذْ هو يقع جنوب حلي وقبل ذَهْبَان (يقع بقرب خط الطول ٤١/٣١° وخط العرض ١٨/١٤°) ويقع بينه وبين مكة أودية من أشهرها: عَمْقٌ وحَلْيٌ وَيَبَةُ وَقَنَوْنَا وَدَوْقَة وعُلَيْبُ وَالْأَحْسُبَة وحَلْيَة (الشاقَّة الشمالية) واللِّيْثُ والْـخَضْرَاء.

والبِرْكُ هذا هو البلدة التي وصفها الشيخ عبدالوهاب النجار ـ رحمه الله ـ في حواشيه على «الكامل» لابن الأثير بما نصه: هي على ساحل البحر الأحمر على مرحلتين من القنفذة جنوباً على جبل مرتفع، فيها مسجدان وسوق، ويسكنها بنو هلال، وحاكمها الآن الشيخ علي بن عبدة الهلالي، وسكانها نحو ألفي نفس يتعبدون على مذهب الشافعي، وعاداتهم وأحوالهم كعادة العرب قديماً وينطقون بها بِرك ـ بكسر الباء ـ نزل بها السيد عبدالله بن محمد بن حامد السقاف في سنة

١٣٣٤هـ وهو الذي أفادني ذالك، وهم الآن لا يضيفون إليها لفظ الغِماد ، ولعل الاسم متعدد. انتهى ماذكره الشيخ عبدالوهاب في حواشي ص ٨٣ ج ٢ من «الكامل».

وقد تغيرت البلدة الآن فزاد عمرانها وكثر سكانها.

ومن أوضح الأَدِلَّةِ على أنَّ البِرْك هذا هو المقصود بقول الأحوص أنه قرنه بوادِي عُلَيْبَ ، الوادي الواقع جنوبه فيما بينه وبين اللِّيْث، وكذا قول أَبي دَهْبَلٍ الجُمَحِيِّ في قصيدته التي أوردها ياقوت في «معجم البلدان» ـ رسم البرك ـ منها:

خَرَجْتُ بِهَا مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ بَعْدَمَا أَصَاتَ الْمُنَادِيْ لِلصَّلَاةِ وَأَعْتَمَا

ثم ذكر بطن الليث والبزواء وقال:

فَمَا ذَرَّ قَرْنُ الشَّمْسِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ بِعُلَيْبَ نَخْلاً مُشْرِفاً وَمُخَيَّمَا
وَمَرَّتْ عَلَى أَشْطَانِ دَوْقَةَ بِالضُّحَى فَمَا خَزَرَتْ لِلْمَاءِ عَيْناً وَلَا فَمَا
وَمَا شَرِبَتْ حَتَّى ثَنَيْتُ زِمَامَهَا وَخِفْتُ عَلَيْهَا أَنْ تَخِرَّ وَتُكْلَمَا
فَقُلْتُ لَهَا: قَدْ بِنْتِ غَيْرَ ذَمِيْمَةٍ وَأَصْبَحَ وَادِيْ الْبِرْكِ غَيْثاً مُدَيِّمَا

فقد ذكر في هذه القصيدة: عُلَيْبَ فَدَوْقَةَ ثم بعدها ذكر البِرْكَ، وهكذا فإنَّ موقع البرك يقع جنوباً من واديَيْ عُلَيْبَ وَدَوْقَةَ.

(وانظر قصيدة أبي دهبل في «الأغاني»: ٧/ طبع الثقافة، وانظر معارضاتها في «سلافة العصر» ـ ٢٥٠ ـ.

وجاء في شعر كثير:

بِوَجْهِ أَخِي بَنِي أَسَدٍ قَنَوْنَا إِلَى يَبَةٍ إِلَى بِرْكِ الْغِمَادِ

فقد ذكر قَنَوْنَا وَيَبَةَ وهما واديَانِ لايزالانِ معروفينِ، يقعان جنوب البِرْكِ، بينهما وبينه مدينة حَلْيٍ المعروفة.

ووقفة قصيرةٌ عند إيراد المحقق للجملة الواردة في كتاب «النهاية» لابن الأَثير، ثم نقلها صاحب «اللسان».

وبصرف النظر عما وقع من الاختلاف في النَّصَّيْنِ إلَّا أنَّ الذي يستدعي الوقوفَ هو القول بأن (في حديث الهجرة) ثم إيراد جملة (لو أمرنا أن نبلغ معك بها برك الغماد) إلى آخرها.

لقد تتبعت مابين يديَّ من كتب الحديث والتاريخ فلم أَجِدْ هذه الجملة فيما اطلعتُ عليه من المراجع، والذي اطلعت عليه هو:

١ ــ ورد في «صحيح البخاري» في كتاب الكفالة في الباب الرابع الحديث الـ (٢٢٩٧) عن عائشة رضي الله عنها من حديث طويل: فلما ابتُلِيَ المسلمون خرج أبُو بكرٍ مهاجِراً قِبَلَ الحبشة، حتى إذَا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدِّغْنَةِ وهو سَيِّدُ القارة ـ ثم خبر رجوعه بجوار ابن الدِّغْنَةِ إلى مكة ـ انظر «فتح الباري» ٤/٤٧٥ ـ.

ثم كرّر البخاري الحديث في كتاب مناقب الأنصار الحديث الـ (٣٩٠٥) ـ «فتح الباري» ٧/٢٣٠ ـ.

٢ ــ وأورد الواقديُّ في «المغازي» ـ ٤٨ ـ أن عمر بن الخطاب قال: لو سرت بنا إلى برك الغماد لَسِرْنَا معك. ثم نسب هذا القول مرة أخرى ـ ٥٨١ ـ للمقداد ابن الأَسْود وكذا أَوْرَده ابنُ هشام في «السيرة النبوية» ١/٦١٥ طبعة الحلبي بمصر.

ولما ساق الحافظُ ابنُ حَجَرٍ ما أورده البخاري في «صحيحه» عن ابن مسعود يقول: شهدتُّ من المقداد بن الأسود مشهداً لأَنْ أكون صاحبه أحبَّ إليَّ مما عُدِلَ به: أَتَى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال: لا نقول كما قال قوم موسى: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا ﴾ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك، وبين يدك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشرقَ وجهُه وسَرَّه يعني قولَه). ولـمَّا شرح الحديث أضاف: وأخرج ابن مَرْدَوَيْه نحوه لكن فيه أن سعد بن معاذ قال: لو سِرْتَ بنا حتى تَبْلُغَ برْكُ الغماد لَسِرْنَا معك. كذا ذكره موسى بن عقبة وعند ابن عائذ في حديث عروة: فقال سعد بن معاذ: لو سِرْتَ بنا حتى تبلغ الْبِرْكَ من غِمْدِ ذِي يَمَنٍ. انتهى.

إِذَنْ هُما خبران أحدهما يتعلق بهجرة أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبلوغه برك الغماد ورجوعه بجوار ابن الدِّغْنَةِ سَيِّدِ القارة إلى مكة.

والخبر الثاني: ورد في غزوة بَدْرٍ حين استشار الرسول ﷺ المسلمين لما فاتته الْعِيرُ أَيُقْدِمُ لملاقاة قريش أم لا ؟ فكان مما قيل له عليه الصلاة والسلام: لو أمرتنا أن نبلغ معك بركَ الغماد لفعلنا. ولعل ابنَ الأثير صاحب «النهاية» سَبَقَتْ إلى ذهنه الجملة التي قِيلَتْ في غزوة بدر فأوردها ظانًّا أنها قيلت في الهجرة، وقد رجعتُ إلى بعض المهتمين بدراسة الحدث النبوي من علمائنا فرأيتهم يميلون إلى هذا الرأي، وينفون عِلْمَهُمْ بورود تلك الجملة في خبر الهجرة.

١٢ ــ بِـرْمَـة: (٢٢١)

سُفُن الْفُـرَاتِ مُـرَفَّـعٌ أَقْـلاَعُهَـا أَوْ نَخْـلُ بِرْمَـةَ زَانَهَا التَّـذْلِيـلُ

(.. بِرْمَةُ من قُرى السواد، والتذليل تسهيل اجتناء ثمرة النخلة وإِدْنَاؤُها من قاطعها).

القول بأنَّ بِرْمَةَ من السواد من كلام البكري في «معجم ما استعجم» ولكن أَيُّ سوادٍ هذا؟ فهو عند الإطلاق سوادُ العِراق، وقد يراد سواد البلقاء ـ لسواد حجارة أرضها ـ ولم يُرِدِ البكريُّ واحداً منهما. لقد أوضح هذا الدكتور عبدالله الوهيبي في «العرب» ٤/١٠٠٣ إذ قال: ورد في «الإصابة» أنَّ عمرو بن سعيد بن العاص يوم مات الرسول ﷺ كان وَالِياً على سَوَادِ خَيْبَرَ ـ أي المناطق الزراعية المجاورة لخيبر ـ وهذه الصفة تنطبق على بِرْمَةَ وبَلاَكِثَ وشَبَكَةِ الدَّوْمِ وذِي خُشُبٍ بل إنَّ البكري يصفُ بِرْمَة بأنَّها من السواد..

وبِرْمَةُ هٰذه بلدةٌ ذاتُ نَخْل، فقد ورد في كتاب «الجيم» ـ ٢/٢٣٦ ـ: والعُقْدَةُ حائط من نَخْل، والْجمع عِقَادٌ، والقرية الواحدة بنخلها الْعُقْدَةُ، تقول: مِنْ أَيِّ الْعِقَادِ امْتَرْتَ، أَمِنْ خَيْبَرَ أَمْ مِنْ بِرْمَة ؟

وجاء في كتاب «المغازي» للواقدي ـ ٢/٧٠٩ ـ في ذكر خبر انصراف الرسول ﷺ من خيبر بعد فتحها: فلما أتى رسول الله ﷺ الصَّهْباءَ سَلَكَ بِرْمَةَ حتى انتهى

إلى وَادي القُرَى ، يريد من بها من اليهود. وذكر ابن حبيب في «المحبر» ـ ١١٥ ـ أنَّ في سنة سبع خرج رسول الله ﷺ إلى خيبر ، فحاصرهم بضعة عشر يوماً ، وارتحل منها إلى (قُرَى عَرَبِيَّة) فلم يلق كيداً.

ويفهم من النصين أنَّ برمة في المنطقة المعروفة في العهد النبوي باسم (قُرَى عَرَبِيَّةَ).

وقال السمهودي في «وفاء الوفاء»: بِرْمَةُ ـ بكسر أوله ـ من أعراضِ المدينة قرب بلاكِث، بين خيبر ووادِي القُرى، به عيون ونخل لقريش ويقال له: ذُو الْبَيْضَة، كما سبق في مجتمع أَوْدية المدينة ومغايِضِها، وذكر أَنَّ بَلاَكِثَ بجانبِ بِرْمَةَ، ونقل عن يعقوب: بلكثة قارة عظيمة ببطن إِضِمٍ وبين ذِي خُشُبٍ وذِي الْـمَرْوَةِ، وَنَقَلَ في ذكرِ مجتمعِ أَوْدِية المدينة ومغايضها عن الزبير بن بكار ـ «الوفاء» ١٠٨١ ـ: ثم تَمْضِي في وادِي إِضَمٍ حتى يلقاها وادِي بِرْمَةَ الَّذِيْ يقال لَهُ ذُوْ الْبَيْضَة، من الشام، ويلقاها وَادِي تُرْعَةَ مِنَ القبلة ثم يلتقي هو ووادي الْعِيْصِ من القبلة، ثم يلقاه دوافع وادي الْـحِجْرِ ، ووادي الْـحِزْلِ الذي فيه السُّقْيَا والرَّحْبَةِ، في نخل ذي المروة مغرباً.

ومنطقة (قرى عربية) التي تقع برمة فيها قد وفَّاها بحثاً وتحقيقاً أستاذان جليلان هما الأستاذ محمود شاكر في بحثه الممتع (قرى عربية) ـ «العرب» ٢/٧٦٩ ـ والأستاذ الدكتور عبدالله الناصر الوهيبي في بحث مستفيض عمقاً وتفصيلاً بعنوان (قرى عربية وعلاقتها بكلمة عرب) ـ «العرب» ٤/٩٨٣ ـ وفي هذا البحث الأخير معلومات قيمة عن موقع بِرْمة رجعت إليه في هذا البحث.

ولبرمة شهرة في القرن الأول الهجري، فقد تكرر ذكرها في الأشعار ومنها قول كُثَيِّر ـ ديوانه ٤٥٨/٣١٤ ـ:

رَجَعْتُ بِهَا عَنِّيْ عَشِيَّةَ بِـرْمَةٍ شَمَـاتَـةَ أَعْـدَاءٍ شُهُـوْدٍ وَغُيَّبِ

وقال:

نَظَرْتُ وَقَدْ حَالَتْ بَلاَكِثُ دُوْنَهُمْ وَبُـطْنَانُ وَادِيْ بِـرْمَةٍ وظَهُـوْرُهَـا

إنَّ بِرْمةَ لاتزالُ معروفةً، ويظهر أنها أدركها الخراب في عهد متقدم، ثم أُحْيِيَتْ حديثاً أحياها أناسٌ من عنزة من الطَّوالعة ـ واحدهم طويلعي ـ انظر «معجم قبائل المملكة العربية السعودية» ٤١٦ ـ وهي تقع في الطرف الغربي من حرة تدعى (حرة الكورة) تنحدر سيولها في وادٍ يدعى وادي الطَّبق ـ في المصور الجغرافي ورد اسمه: وادي طبجه ـ وهو وادٍ بعد أن يجوز الْـحَرَّةَ يتجه إلى الجنوب، حتى يتجاوز محطة هَدِيَّةَ إحدى محطات سكة حديد الحجاز بقرب خط الطول: ٤٥/٣٨° ثم ينحرف نحو الغرب نسبياً حتى يجتمع بوادي الحمض عند بئر السَّليلة ـ في المصور الجغرافي: أم سليلة ـ شرق موقع ذات المروة (أم زرب في المصور) بنحو عشرين كيلاً عن خط العرض: ٣١/٣٨° وعند خط الطول: ٣٠/٢٥° ، وهذا يتفق مع ما نقله السمهودي عن الزبير في ذكر مغايض الأودية، فوادي تُرْعَة ووادي الْعِيْصِ ووادي الْـحِجْرِ ووادي الْـجِزْل، كلها معروفة، ووادي بِرْمَةَ الذي سماه السمهودي ذَا الْبَيْضَة، وهو المعروف الآن باسم وادي الطبق يفيض في وادِي إضم (وادي الحمض) على مقربة من مفيض وادي تُرْعَةَ، ووادِي الْعِيْص، ويلتقي بها بعد ذالك واديا الْحِجْرِ والْجِزْل وما حولها، ونقطة التقائها قريب من موقع ذِي المروة كما نقل السمهودي. أما مَوْقِع بِرْمة فهو في أعلى وادي الطبق بقرب خط الطول: ٤٥/٣٨° وخط العرض: ٤٠/٢٥° ، ولا أستبعد أن يكون موقع بلاكث هو هدية ولا يتسع المقام لتفصيل هذا.

و(الكورة) التي تضاف إليها الحرة بقية اسم روماني قديم عرف في صدر الإسلام باسم (قرى عربية) كما حقق ذالك الأستاذ الدكتور عبدالله الوهيبي في بحثه عن (قرى عربية وكورة عربية) ـ «العرب» ٤/٩٩٧ ـ.

١٣ ـ البُوَيْـــب: (١٠٦)

وَلَوْلَا الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَكَ لَـمْ تَجُبْ مَسَـافَةَ مَـابَـيْنَ الْبُـوَيْبِ ويَثْـرِبَ

(البويب: نهر كان بالعراق موضع الكوفة، فمه عند دار الرزق يأخذ من الفرات كان عنده وقعة أيام الفتوح بين المسلمين والفرس في أيام أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان مجراه إلى موضع دار صالح بن علي، ومصبه في الجوف العتيق.

وأيضاً هو مدخل أهل الحجاز إلى مصر).

١ ــ لم أر ما يدعو لإيراد هذا الكلام الطويل عن البويب النهر الذي في العراق، فالشاعر يريد موضعاً آخر غيره وهو: مَدْخلُ أهلِ الحجاز إلى مصر، لأنه كان مدح عبدالعزيز بن مروان أمير حلوان ولاشك أنه هو المخاطب بهذا الشعر.

٢ ــ البُوَيْبُ الواقع في مدخل مصر، يقع في الصحراء الواقعة بين القاهرة وبين قناة السويس، فقد كان مُوَدِّعُوا الحجاج من القاهرة ومُسْتَقْبلُوهُم يصلونه، وهو في أثناء المرحلة الأولى من البركة التي بها يجتمع الحجاج بقرب القاهرة ـ وقد يكون العمران في هذا العهد بلغها ـ ولِلْبُوَيْبِ هذا ذكر كثير في كتب الرحلات، فقد جاء في «رحلة ابن عبدالسلام الدرعي الكبرى» ما ملخصه: ثم ارتحلنا من البِرْكة وقد مضى من النهار ثلاث ساعات، وودع الناس أقاربهم، وذهب معهم من المودعين إلى البويب وهو في الحقيقة باب الدَّرب ومبتدأه، ومررنا بوادي المنصرف والقباب حتى نزلنا الدار الحمراء، بعد مضي النصف من الليل، ومنها وقد مضى من النهار ست ساعات ونصف ولم ننزل عُجْرُوْدَ إلا بعد طلوع الفجر، وقال: الظاهر من كلام «الروض المعطار» أن السويس هو بئر عجرود، فنسبت المدينة التي على البحر له، فقال: الناس مدينة سُوَيْس، وقال الجزيري في «الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة» ـ ص ١٣١٨ ـ: وكان الرحيل من البركة وقت طلوع الشمس، فسار إلى القرب من طريق البُوَيْب فكان مسيره قبل الظهر، وأما صِفةُ البُوَيْب فهو مَضِيقٌ بين جبلين صغيرين، وشرفة وتلُّ رَمْلٍ مستطيل يميناً، وباب الشيء أَوَّلُهُ، وهو ما يُتَوَصَّلُ منه إليه، وعند المترددين على هذا الطريق أَنَّ له بَابَيْنْ، هذا، وبابٌ آخر مناخُ عَقَبَة أَيْلَةَ، وهو بناءٌ على قُبَّة(؟) جبل، في أول دَوَّار حَقْلٍ، كأنَّه شارة إلى أنَّ هذا أول المفازة من حد مصر. انتهى.

مما تقدم يتضح أن البويب على أقل من مرحلة من مدينة القاهرة فيما بينها وبين السُّويس.

١٤ ــ بَـيْـش: (١٣١/٩٢)

أَمِنْ آلِ سَلْمَى الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ إِلَيَّ وَبِيْشٌ دُوْنَ سَلْمَى وَكَبْكَبُ

١ ــ (.. بِيْش: من بلاد اليمن، قرب دهلك، وقد استنتج ياقوت أنه أيضاً مكان بين مكة ومصر، وهو الأشبه هاهنا... ورواه البكري في معجمه: وبيْشٌ دُونَ سَلْمَى وَجَبْجَبُ فعلق شيخنا العلامة محمود شاكر بقوله: وكأنه الصواب، فإن ظاهر الشعر يدل على أنه في ديار بني عامر بن صعصعة أو قريب منها... و(بيش) ضبطت في المخطوطة بكسر الباء والصواب فتحها، وهو بإزَاءِ عُنٍّ ـ بضم العين وتشديد النون ـ اسم جبل، وهما جبلان أحدهما الْقَفَا والآخر بَيْشٌ، وهما لبني هلال بن عامر بن صعصعة «معجم ما استعجم» ـ الستار ـ والأمر كله محتاج إلى تحقيق دقيق (ابن سلام): ٦٦٥) ـ ٩٢ ـ.

٢ ــ (بيش: واد من أودية تهامة، وذكره البكري في مادة بِيْشَةَ ونَصَّ على أن الأحوص حذف الهاء من بِيْشَةَ وأتى به على التذكير) ـ ١٣١ ـ.

٣ ــ ٢٤٥ ـ:

فَـإِنِّي إذا حَلَّتْ بِبِيْشٍ مُقيمـةً وحَـلَّ بِـوَجٍّ سـالِـمـاً أَوْ تَتَهَّـمَا

(بيش ـ انظر ما مضى ـ وقال محققو «الأغاني» ١/٢٩٨ ـ هامش: لم نضبطه لأنا لا ندري أهو بَيش بفتح أوله وسكون ثانيه. وقد ذكره ياقوت وقال: أحد مخاليف اليمن وفيه عدة معادن، أما بيش ـ بكسر أوله ـ من بلاد اليمن أيضاً قرب دهلك أقول: رواية «الأغاني» للبيت الرابع: يمانية شطت.. تقوّي ذالك..) انتهى ما أورده محقق الديوان عن بَيْش، ويلاحظ على هذا أمور:

الأمْرُ الأَوَّلُ: ضَبْطُ اسم بَيْش، هَلْ هو بفتح الْبَاء أو كَسْرِهَا، فأكثر المتقدمين من العلماء نَصُّوا عَلَى الكَسْرِ، ولكنَّ بَعْضَهُم أورد الضَّبْطَيْنِ وغايَرَ بينهما، كالحازميِّ في كتاب «البلدان». فقد قالَ: (بَابُ بِيْشٍ وبَيْشٍ وتَيْس وقَيس: أمّا الأول بكسر الباء بعدها ياءٌ تحتها نقطتان وآخره شينٌ معجمة: من بلاد الْيَمَن قرب دَهْلَكَ، له ذكر في الشعر، وأمّا الثاني بفتح الباء منْ مخالِيف مكّة إلى آخر

ما ذكر وما أرى المعدود من بلاد اليمن سوى الذي هو من مخاليف مكة، فَبَيْشَ من مخاليفها اليمنية، وهو الواقع في طريق المتجه إلى جزيرة دَهْلك، بطريق تهامة، ويظهر أنَّ الأحوصَ حين نُفِي إلى دهلك سلك هذا الطريق. ولهذا ذكر بَيشاً في شِعْرِهِ، وبَيْشُ هذا بفتح البَاءِ كما ينطقه سكان تلك الجهة الآن، وكَمَا يلحظ من كلام الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٢٦٩ ـ طبع دار اليمامة إذ قال: وإنّما تريد العرب أسود بَيْش، ويزيدون فيه الهاء فيقولون بَيْشَةَ بفتح الباء، وهي مواضع الأُسْدِ، وبِيْشة بُعْطان بكسر الباء ـ إلى آخر ماذكر وسيأتي إيضاحه.

الأمر الثاني: استنتاج ياقوت بأن بَيْشاً مكان بين مكة ومصر، وقول محقق الديوان: وهو الأشبه هاهنا، يتّضح مافيه من ضعف من إيراد كلام ياقوت بنصه، قال: بَيْش ـ بالشين المعجمة ـ: من مخاليف اليمن فيه عدة معادن، وهو وادٍ فيه مدينة يقال لها أبو تراب ـ الخ ـ ثم قال: بِيْشُ ـ بكسر أوله: من بلاد اليمن قرب دهلك له ذكر في الشعر، قال أبو دَهْبل:

اسْلَمي أُمَّ دَهْبَلٍ قَبْلَ هَجْرِ ... وتَفَصَّيْ مِنَ الزَّمانِ ودَهْرِ
واذْكُرِي كَرَّ الْمَطِيِّ إليْكُمْ ... بَعْدَما قَدْ تَوَجَّهَتْ نَحْوَ مِصْرِ
لا تخَالِي أنِّي نَسِيْتُكَ لِمَّا ... حَالَ بَيْشٌ ومَنْ بِه خَلْفَ ظهري

وهذا الشعر يَدُلُّ على أنَّ بَيْشاً موضعٌ بين مكة ومِصْرَ، أو تكون صاحبته المذكورة في اليمن. انتهى فأنت ترى ضعف استنتاج ياقوت إذ الشعر ليس صريحاً بوقوع بيش بين مكة ومصر، بل ولا يفهم منه هذا، وإنما يفهم منه أن الشاعر رجع إلى صاحبته وكان توجه إلى مصر، فهو لم يَنْسَها وإن حال بينهما بيش، فكيف ـ مع هذا ـ يصح القول أنه الأشبه بالنسبة لشعر الأحوص، وما استشهد به ياقوت من شعر أبي دَهْبل، ولا شاهد له فيه.

الأمر الثالث: ما أورده محقق شعر الأحوص عن أستاذنا الجليل أبي فِهْرٍ محمود شاكر من أَنَّ بَيْشاً بإزَاءِ عُنٍّ ـ إلى آخر ما أورد مما هو منقول من «معجم ما استعجم» ـ الستار ـ فَبَيْشُ هنا تصحيف (بُسّ) وكُلُّ ما أورده البكري في رسم السِّتار مما ذكره عَرَّام في رسالته «أسماء جبال تهامة وسكانها» ـ ٤٣٦ ـ «نوادر

المخطوطات» ولم ينسبه البكري كعادته في كثير من النصوص الطويلة كالكلام على حمى ضرية ـ وأصله للهجري ـ والتصحيف في «معجم ما استعجم» مما لا يتّسع المجال لذكره.

الأمر الرابع: لا شَكَّ أن الأحوص حين يذكر بَيْشاً فإنَّما يعني المخلاف الواقع في تهامة، وهو واد طويل عريض فيه قرى وسكان كثيرون، ولا يتسع المجال لإيراد نصوص المتقدمين عنه ـ وانظر «مقاطعة جازان» من «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» ووادي بَيْش تنحدر فروعه العليا الشرقية من سراة قحطان (سراة جنب قديماً) في الجنوب الشرقي من مدينة أبْهَا، فتتّجهُ نحو الجنوب الغربي مخترقة تهامة حتى تَصبُّ في البحر الأحمر شمال وادي ضَمدٍ على مقربة من جازان جَنوب واديي بَيْضٍ وعِتْوَد، ووادي بيش من أطول الأودية التِّهاميّة وأعظمها وعلى ضفته قرى كثيرةً (يقع بين خطي الطول: ٤٢/٣٠° و ٤٣/٠٠° وخطي العرض: ١٦/٥٠° و ١٨/٠٠° ـ وماغَرَّب من سيول سراة قحطان ينحدر في بَيْشٍ، وما شَرَّق ينحدر في وادي بِيْشَةَ الذي يبتلع سيول أكثر الأودية المنحدرة من تلك السراة، وما يقع شمالها من السروات الأخرى إلى سراة غامد ـ هذا مما سبق أن ذكرته عن بيش في «العرب» ١٥/٦٣ ـ.

١٥ ــ بِيشــة: (٢١٤)

حَتَّى كَأَنَّكَ يُتَّقَى بِكَ دُوْنَهُمْ مِنْ أُسْدِ بِيْشَةَ خَادِرٌ مُتَبَسِّلُ

(بيشة: هي بِيْشَةُ السَّمَاوَةِ، مَأْسَدَةٌ).

أصل هذا في «معجم ما استعجم» فبعد القول بأنَّ بِيْشَةَ وادٍ من أودية تهامة وإيراد بعض الشواهد الشعرية والنُّصوص ورد فيه: وبِيْشَةٌ أخرى وهي بيشة السماوة وهي مأسدة، وأورد خبراً عن خالد بن صفوان ذكر فيه بيشة السماوة، ثم أتبعه بقول: ولما قدم جرير بن عبدالله على النبي ﷺ قال له: « أين منزلك »؟ قال: بأكناف بِيشة، يعني بيشة السَّماوة ـ ثم أورد عن ابن قتيبة أن رسول الله ﷺ سأل جرير عن منزله ببيشة ـ ثم ساق كلامه الذي أورده ابن قتيبة في «غريب

الحديث» كاملاً مشروحاً ـ ١/٥٤٢ ـ.

والملاحظ على هذا:

١ ــ قد يكون في السماوة موضع يُسَمَّى بِيْشَة، إذا لم يكن الاسم محرفاً أو مصحفاً في خبر خالد بن صفوان.

٢ ــ بِيشةُ الَّتي تُضاف إليها الأُسد هي بيشة التي هي عِرْضٌ من أعراض نَجْدٍ العظيمة ـ كما قال الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ـ ٤٣٠ ـ وليستْ من أودية تهامة، كما سيأتي تعيين موقعها ـ وفي «صفة جزيرة العرب» ـ ٢٦٨ ـ طبع دار اليمامة في الكلام على مواضع الأسد في الجزيرة ـ: وأُسْدُ تبالة وأُسْد تَرْج وأُسْد بِيْشَة وأُسْدُ عِتْوَدَ، فأما تبالة وترج وبيشة فهي من أعراض نَجْدٍ ولا يكون بهذا أُسْدٌ، ولم يكن، وإنما تريد العرب أُسْدَ بَيْشٍ، ويزيدون فيه الهاء فيقولون بيشةُ ـ بفتح الباء وهي مواضع الأسد، وبِيْشة بَعْطان فهي بكسر الباء، وقيل: بل أرادوا بِيْشَةَ نَجْدٍ، وأَنَّ رُؤوسَ هذه الأعراض من أعلى السراة، منها ما ينحدر إلى نجد، ومنها ما ينحدر إلى تهامة، فما انحدر إلى تهامة فالأُسْدُ فيه، ولهذا الجوار نسبوها إلى هذه الأعراض وقد رُبَما طلع منها الواحد إلى أرض نجد قاطِعاً من بلده فعاث فيها، فلعل أول من نسب الأسد إلى هذه المواضع عاين منها الواحد والزوج في بعض هذه الأودية انتهى وما أرى تعليل أبي محمد الهمداني سَدِيْداً هنا، فَعِرْضُ بِيشة تكثر فيه الغياض وغابات الأشجار، وتلك مَأْلَفُ الحيوانات المفترسة والبكري الذي نَسَبَ الأسد إلى بيشَة السماوة لم يلاحظ خلوها من الغياض والآجام والغابات، بل فاته أكثرُ من هذا وهو أنه قال في رسم (تَرْج):

قال أبو حاتِم عن الأصمعي:

هو موضع بِبِيْشة مأسَدَة، وهو من بلاد خثعم، وأنشد لأوس بن حَجَر:

وَمَا خَلِيْجٌ مِنَ الْـمَـرُّوْتِ ذُوْ حَدَبٍ يَرْمِـي الضَّرِيْرَ بِخُشْبِ الطَّلحِ والضَّالِ
يَـوْمـاً بِـأَجْـوَدَ مِنْـهُ حِـيْنَ تَسْـأَلُـهُ وَلَا مُـغِـبٌّ بِـتَـرْجٍ بَـيْنَ أَشْبَـالِ

وتَرْج ـ وادٍ لايزال معروفاً وهو مأهول، وهو من أعظم روافد وادي بِيْشة، هو

وجِنْدُف والبَهِيْمُ تأتي من الجنوب منحدرة من السراة.

٣ ــ ليس جرير بن عبدالله البجلي مِنْ بِيْشَةِ السَّرَاة، بَلْ مِنْ بِيْشَة التي هي أحد أعراض نَجْدٍ، حيث كانت بَجِيْلَةُ وخَثْعَمُ تَحلُّ السراة المعروفة باسم سراة بجيلة الواقعة شمال سراة الأزد، وتنساح في الأودية المنحدرة من السراة صَوْبَ منطقة بِيْشَة ومن أشهرها وادي تَبَالَةَ أحد روافد وادي بِيْشَة، ولهذا ندب رسول الله ﷺ جَرِيْراً لِهَدْمِ صَنَمِ ذِي الْـخَلَصَة الذي كانَ في تَبَالَة، فهدمه، ولاتزال سراة بَجِيلة تُعْرَف بسراة بني مالك ـ وهاؤلاء هم الفرع الذي منهم جرير بن عبدالله المالكي البجلي، وقد مات في بلادهم، وقبره معروف عندهم في قرية تدعى (القضاة) ـ وانظر كتاب «في سراة غامد وزهران» عن بجيلة وبلادها.

٤ ــ اسم بِيْشة يشمل منطقة واسعة، يخترقها واد عظيم ذو روافد كثيرة أشهرها هِرْجَابُ وتَرْجُ، ووادي تَبَالَة. تنحدر فروع هذا الوادي من السفوح الجنوبية من سراة عَبِيدَةَ (سراة جَنْب قديماً) متجهاً صوب الْغَرْب، وتنتشر القرى على ضفاف الوادي، حتى يبلغ بلدة الرَّوشن قاعدة المنطقة، فينحرف مجراه نحو الشمال ثم الشمال الشرقي حيث يجتمع معه وادي رَنْيَة فتَبْتَلِعُهما أرضٌ رملية تُدْعى الفرشة، في أرض واسعة تدعى المهمل، متوسطة بين منطقة رنية غرباً ومنطقة بيشة جنوباً، ومنطقة وادي الدواسر شرقاً (تبتدئ فروع وادي بيشة من قرب خط العرض ١٨/٠٠° ويتجه على مقربة من خط الطول: ٤٢/١٠° ـ حتى قرب خط العرض ٢١/١٥° ـ وهو من أطول أودية الجزيرة، وأكثرها سكاناً.

١٦ ــ ثـبـيـــر: (١٥٧)

وَقَدْ عَلِمَتْ أنْ لَا أُطِيْعَ بِصَرْفِها مَقَـالـةَ وَاشٍ، مَـا أَقَـامَ ثَبِـيْرُ

(ثبير: من أعظم جبال مكة، بينها وبين عرفة، وكان المشركون يفيضون منه. فيقولون إذا أرادوا الإفاضة: (أشرق ثبير، كيما نغير) ونغير: نسرع ـ ولعظم الجبل وتقديسهم له قالوا: لا أفعل كذا ما أقام ثبير، وما أشرق ثبير، لأن الشمس كانت تشرق من ناحيته، وكان يسدُّها ويحجبها عند أول طلوعها، لعظمه

وضخامته، فيحول دون شروقها، لذا نسبوا الشروق إلى الجبل توسُّعاً، كما في قوله عز وجل: ﴿ هُوَ الَّذِيْ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوْا فِيْهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً ﴾ أي تبصرون فيه). انتهى كلام المحقق.

١ ــ اسم ثبير يطلق على عدد من جبال مكة وقربها وعلى ماء في بلاد مُزَينة في نواحي المدينة.

٢ ــ ليس ثبير الذي من أعظم جبال مكة واقعاً بينها وبين عرفة، بل هو في أعلاها في شرقيها، وقد بلغه عمرانها الآن، وهو المعروف الآن بجبل الرخَم، كما سيأتي ذكره، على مقربة من جبل حِرَاءٍ.

٣ ــ ثبير الوارد فيه قول أهل الجاهلية: أشرق ثبير كيما نُغَيْرُ، هو جبل مزدلفة ـ أحد الأثبرة ـ كما سيأتي، وكان المشركون لا يدفعون من مُزْدَلِفَةَ يوم النَّحْرِ حتَّى تُشرق عليه الشمس، فخالفهم رسول الله ﷺ فدفع قبل طلوع الشمس إلى منى.

٤ ــ جملة (ما أقام ثبير) لا يفهم منها تقديس الجبل أو تعظيمه، فهي كقول امرئ القيس:

أجـارَتَنَـا إنَّ الْخُـطُوبَ تَنُـوْبُ وَإنِّي مُـقِيْـمٌ مـا أقَـامَ عَسِـيْبُ

وكقول الآخر:

أُحِبُّـكِ مَادَامَتْ بِنَجْـدٍ وَشِيْجَـةٌ وَمَـا ثَبَتَتْ أُبْـلَى بِهَـا وتِعَـارُ

فالمقصود الثبات وعدم التغير كثبات تلك الجبال واستقرارها على حالتها، لا تقديس تلك الجبال.

كما لا يفهم من تلك الجملة أنه أراد ثبير المراد بجملة: (أَشْرِقْ ثَبير) وإنما قصد أَحَدَ الأثبرة، ولعله ثَبِير الأثبرة وهو أعظمها، وهو الذي إذا ثني أُريد ومعه حراء «تاج العروس» ـ ثَبر ـ وأرفع الأثبرة وأعظمها ثَبِير غينا بأعلى مكة بقرب جبل حِرَاء.

٥ ــ وهاهي أشهر الأثبرة التي ذكرها مؤرخو مكة:

الأول ـ ثَبِيْرُ غَيْنَا: قال الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/٢٧٨ والفاكهي:ثَبِيْرُ غَيْنَا هو المشرف على بئر ميمون، وقُلَّتُهُ المشرفة على شعب علي، وعلى شعب الحضارمة بِمنَى، وذكر الأزرقي أن شعب الرخم بينه وبين الرَّبَاب وزاد الفاكهي «أخبار مكة» ٤/١٦٠ ـ عن عطاء: ذهبت إلى عائشة عند بئر ميمون وهي معتكفة بثبير . وفي «شرح أشعار الهذليين» للحسن بن الحسين السكري (٢١٢/٢٧٥) ـ ٣٥٥ ـ: قال أبو جندب:

لَقَدْ عَلِمَتْ هُذَيْلٌ أن جَارِي لَدَى أطرافِ غيْنَا مِنْ ثَبِيْر

غَيْنَا ثَبير: قُلَّتُهُ وأعلاه. الباهلي: قُلَّةُ ثَبِير التي في أعلاه تسمَى غينا، وهو حجر كأنه قنة (ياقوت عنه: قبة) وهو ثبير غينا. وفي قصيدة أبي طالب ـ عم النبي ﷺ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيْراً مَكَانَهُ وَرَاقٍ لِبِرٍّ في حِرَاء ونَازِل

وقال البكريُّ في «معجم ما استعجم»: ثَبيرُ جَبَلٌ بمكة، وهي أربعة أثبرة بالْحِجاز ، وللذي بمكة كانوا يقولون: أشرق ثبير كَيْمَا نغير ، وهو الذي صعد فيه النبي ﷺ فرجف به فقال: «اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصِدِّيق وشهيد» وقد روي هذا في حِرَاء ، وهو ثبير الأثبرة ، والثاني ثبير غينا ـ والثالث ثبير الأعرج، والرابع ثبير الأحدب. وقال أبو حاتِم عن الأصمعي في الأول: ثَبِيْرُ حراء . انتهى ويؤخذ على هذا:

١ ــ ثبير مكة، هو ثبير غينا ـ كما تقدم في نصوص من هم أقدم من البكري وأعلم بمواضع مكة.

٢ ــ قول المشركين: أشرق ثبير . . يريدون ثبير مزدلفة ـ كما سيأتي ـ.

٣ ــ قول الأصمعي: ثبير حِرَاء ، أضاف ثبيراً إلى حراء لقربه منه، فهما يتناظران وثَبِيْرُ مكة يظهر أنه المراد في كثير من الأشعار القديمة عند الإطلاق لشهرته، وعظمه، ومشاهدته من أعلى مكة، ووقوعه في مدخلها الشرقي حيث يرد أكثر القادمين إليها ـ وانظر نماذج تلك الأشعار «أخبار مكة» للفاكهي ٤/١٥٩ ومابعدها ـ ويعرف الآن باسم جبل الرَّخم. ولعل لهذه التسمية صِلَة بشعب الرخم

الذي ذكر الأزرقي أنه واقع بينه وبين الرباب، وهذا جبل يقع بين ثبير وبين الثنية الخضراء في طريق منى ـ انظر «أخبار مكة» للفاكهي ٤/١٥٥ ـ هامش، ولثبير قُنَّة بيضاء تُميّزهُ عن غيره من الجبال، هي ماعرف قديماً باسم (غينا) وبئر ميمون كانت تقع على مقربة منه في أعلى الأبطح ، وقد دخلت الآن في قصر الملك فيصل، وقد أدركتها سنة ١٣٤٨هـ والسقاة يردونها، وكأني الآن أشاهد أحدهم وهو يمتح من مائها ويرتجز .

دَلْـوٍ رْشَـاهَـا الْحِـمِّـلِصْ مِـنْ كَـفِّ غَـيْرِي يمِّـلِصْ

وعرفت بِسَبِيْلِ السِّتّ، وضُمَّتْ إلى مجرى عَيْن زبيدة ـ وانظر لتحقيق موضعها ما كتبه الأستاذ الشيخ عبدالملك بن عبدالله بن دهيش على هامش «أخبار مكة» للفاكهي ـ ٤/١٠٥ وما بعدها.

الثاني: ثَبِيْرُ (الزِّنْجِ) وهذا من جبال مكة ـ: قال الأزرقي في «أخبار مكة»: ٢/٢٧٨ ـ والفاكهي في «أخبار مكة» ٤/١٦٨ ـ: يقال له جبل الزِّنج لأن زنوج مكة فيما مضى كانوا يلعبون فيه ويحتطبون منه، وهو من ثبير النخل. انتهى وقال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/٢٩١ ـ: ثبير الزنج يقال إنه جبل بأسفل مكة يسميه أهلها النوبي. وقال ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» ٣١٤ ـ: ثبير الزنج جبل النُّوبي بأسفل مكة في جهة الشبيكة، الذي به مولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ـ انتهى ولايزال هذا الجبل يعرف باسم جبل عمر . يشرف على محلة الشبيكة.

الثالث: ثَبِير النَّخيل ـ من جبال مكة أيضاً ـ: قال الفاكهي: «أخبار مكة» ٤/١٦٣ ـ لما ذكر ثبير الزِّنج ـ: وهو ثبير النخيل، ويقال: إن الأقَحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير . وقال الأزرقي «أخبار مكة» ـ ٢/٢٧٩ ـ: ثبير النخيل ويقال له الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء ، وبأصله بيوت الهاشميين، يمر سيل منى بينه وبين وادي ثبير . وسبق أن قال عن ثبير الزنج: وهو من ثبير النخيل.

وثبير الزنج في أسفل مكة، والأقحوانة والثنية الخضراء من أعلاها في أول

طريق مِنى من الأبطح فكيف يكون هذا ؟ فلعل الجملة المتعلقة بالأقحوانة لا صلة لها بتعريف ثبير النخيل، كما لاحظ الشيخ عبدالملك بن دهيش محقق كتاب الفاكهي، واستدل على هذا بحذف كلمة (له) من بعض مخطوطات كتاب الأزرقي وقال: والذي ينبغي أن تعول عليه في تعريف ثبير النخيل هو ما ذكره الفاكهي والأزرقي، فالأزرقي جعل ثبير الزنج جزءاً من ثبير النخيل، والفاكهي جعل ثبير الزنج هو ثبير النخيل كله ـ هامش «أخبار مكة» للفاكهي: ٤/١٦٣ ـ.

الرابع: ثَبيرُ الأَعْرَج ـ وهَذَا خارجُ مكة وحَرَمِهَا، ويقع جنوبها فيما بينها وبين عرفات، قال الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/٢٨٠ ـ: ثبير الأعرج: المشرف على حقِّ الطارقيين بين الـمُغَمَّسِ والنّخيل، وكذا قال الفاكهي «أخبار مكة»: ٤/١٦٨ ـ وقد أوضح الشيخ عبدالملك بن دُهَيْش محقق هذا الكتاب أن ثبيراً هذا هو الجبل المعروف الآن باسم جبل الطارقي، العالي الذي يكون على يسار القادم إلى مكة من طريق السيل، إذا دخل أرض الصفاح واقترب من أنصاب الحرم، وهو يشرف على حيِّ الشرائع السفلى ولايزال يطلق على أحد شعابه التي تسيل منه شمالاً على أرض ذوي الدخل المحدود اسم (شعب الأعرج). انتهى وثبير هذا خارج الحرم. أما ما جاء في كتاب «بلاد العرب» ٣٤ ـ وفي «معجم البلدان» منسوباً إلى الأصمعي: ثبير غينا وثبير الأعرج وهما حراء وثبير ففيه إشكال، إذ مفهومه أن جبل حِرَاء هو ثبير الأعرج، وهذا لا يتفق مع ما نقل عنه البكري أنه قال في الأول ـ أي ثبير الأثبرة ـ: ثبير حراء. وتقدم توجيه هذا بأنه أضاف ثبيراً إلى حِرَاء لقربه منه، كما أن أول كلامه من أن ثبيراً الأعرج هو المشرف بمكة على حق الطارقيين لا يتفق مع تحديد حق الطارقيين في كلام الأزرقي، وأنه بين المغمس والنخيل، وهذا خارج مكة، فعبارة الأصمعي مضطربة ومهما يكن فمؤرخا مكة الأزرقي والفاكهي أعرف بمواضعها. ويؤيد القول بأن ثبيراً الأعرج هو جبل الطارقي قول الزمخشري أن ثبيرَ غينَا وثبيرا الأعرج جبلان يصب بينهما أفاعية كما في «شفاء الغرام» ١/٢٩١ ـ أن أفاعية تسيل بعض فروعه من جبل الطارقي ويمرُّ الوادي بثبير غينا حتى يفيض في الأبطح، وقد عُدِلَ أَخِيْراً إلى وادي فَخٍّ.

الخامس: ثَبِيْرُ مِنَى، قال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/ ٢٩٠ ـ: ثبير الذي يستحب للحاج إذا طلعت الشمس عليه سار إلى عرفة لينزل نمرة هو جبل كبير بمنى، على يسار الذاهب إلى عرفة، وهو يشرف على منى من جمرة العقبة إلى تلقاء مسجد الخيف وأمامه قليلاً على يسار الذاهب إلى عرفة. قال الأزرقي: اسم الجبل الذي مسجد الخيف بأَصْلِهِ الصفائح، واسم الجبل الذي وجَاهَهُ على يسارك إذا أتيت من مكة المقابل، ثبير، وهو من الأثبرة. انتهى وثبير هذا هو الذي ذكر الأزرقي في «أخبار مكة» ٢/ ١٧٥ ـ فيما روى عن ابن عباس: الصخرة التي بمنى التي بأصل ثبير هي الصخرة التي ذبح عليها إبراهيم ـ عليه السلام ـ فداء ابنه إسحاق هبط عليه من ثبير كبش أعين، أقرن، ـ إلى آخر ماذكر ـ وثبير هذا هو جبل منى المستطيل الممتد من جمرة العقبة إلى ما بعد محاذاة مسجد الخيف، وهو الذي وهم القزويني في كتابه «عجائب المخلوقات» فَعَدَّهُ من جبال مكة، وقال: جبل ثبير بمكة، بقرب منى، وهو جبل مبارك... وهو الذي أُهبط عليه الكبش الذي جعله الله فداء لإسماعيل عليه السلام ـ والعرب تقول: أشرق ثبير كيما نغير قال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/ ٢٨٢ ـ: وقوله: بمكة تَجَوُّزٌ، سبق إليه الجوهري، وهو تجوز لكونه بقرب مكة، ثم نقل عن مجدالدين الفيروزآبادي شيخه ـ وهو صاحب «القاموس المحيط» أنه قال في كتابه «الوصل والمنى في فضل منى» أن النبي ﷺ كان يتعبد فيه قبل النبوة وأيام ظهور الدعوة، ولهذا جاورت به عائشة، وذكر أن بالمغارة التي أنشئت بلحف ثبير معتكف عائشة، وأضاف الفاسي: ويعرف هذا الموضع بصخرة عائشة. ولا أدري من أين أتى المجد بتعبد رسول الله ﷺ فيه، فالمعروف أن مكان تعبده كان بغار حراء، حيث نزل عليه الوحي أول مانزل. أما القول بأن عائشة جاورت به فأرى هذا من قبيل الالتباس، إذ تقدم قول الفاكهي عن عطاء: ذهبتُ إلى عائشة عند بئر ميمون، وهي معتكفة بثبير، فثبير الذي عند بئر ميمون هو ثبير غَيْنَا، بمكة كما تقدم ـ والمجاورة تكون قرب المسجد الحرام، وثَبِيرُ مُنَى هذا له ذكر في مناسك الحج، حيث ذكر العلماء أن الحاج يسير إلى عرفة إذا طلعت عليه الشمس ـ وسيأتي في الكلام على ثبير مزدلفة (ثبير النصع) زيادة إيضاح.

السادس: ثبير النِّصْع. قال الأزرقي في «أخبار مكة»: ٢/ ٢٨٠ ومابعدها ـ والفاكهي في كتابه ـ ١٦٧/٤ ـ: ثبير النِّصْعِ هو الذي فيه سِدَاد الحجاج، وهو جبل المزدلفة الذي على يسار الذاهب إلى منى، وهُوَ الذي كانوا يقولون في الجاهلية، إذا أرادُوْا أنْ يدفعوا من المزدلفة: أَشْرِقْ ثَبِير، كَيْـمَا نُغِير، ولايدفعون حتَّى يرون الشمس عليه. انتهى ويظهر أن الفاكهي نقل كلام الأزرقي بِنَصِّهِ مع مافيه من إشكال وهو قوله: عن يسار الذاهب إلى منى مع قوله: هو الذي فيه سِدادُ الحجاج الذي قال عنه (٢/ ٢٨١): السِّدَاد ثلاثة أسِدَّة بِشِعْب عمرو بن عبدالله بن خالد، وَصَدْرُها يقال له ثبير النَّصْع عملها الحجاج بن يوسف تحبس الماء، والكبير منها يدعى أثال، وهو سدٌّ عمله الحجاج في صدر شعب ابن عمرو وجعله حَبْساً على وادي مكة، وجعل مفيضه يسكب في سدرة خالد وهي صدر وادي مكة انتهى. وسِدَاد الحجاج تقع في الشمال الشرقي من عرفة بحيث يدعها الـمُتَّجهُ إلى مِنَى يمينه ـ انظر عنها ما كتبهُ الشيخ عبدالملك بن دُهيش في هامش ١٧٠/٤ من «أخبار مكة» للفاكهي فقد أوضح موقعها وذكر أن شعب عمرو بن عبدالله هو السُّرَر، وهو ما يعرف الآن باسم الـمُعَيْصِـم ـ الذي وقع في نفقه اختناق أكثر من ١٤٠٠ من الحجاج في ١٠ ذي الحجة سنة ١٤١٠هـ وقال الشيخ ابن دهيش (١٦٧/٤): يظهر أن الفاكهي والأزرقي أرادا أن يقـولا: إن ثبير النّصْع على يسار الذاهب إلى منى من شعب عمرو بن عبدالله بن خالد (المعيصم) وهذا صحيح لأن هذا الشعب هو الذي فيه سداد الحجاج وثبير النصع هو الجبل الذي لم يكونوا يدفعون من مزدلفة حتى يروا الشمس على رأسه... وهو أعلى الجبال المحيطة بالمزدلفة، وفيه سداد الحجاج، وهو أول جبل تشرق عليه الشمس في مزدلفة أما الجبال التي على يسار النازل من مزدلفة إلى منى فهي جبال صغيرة، وأسماؤها معروفة. انتهى. وقال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/ ٢٩٠ ـ إذا تقرر أن ثبيرا بمنى وثبيرا بمزدلفة فلا مانع من أن يكون ثبير الذي إذا اطلعت عليه الشمس سار الحاج من مبيته بمنى إلى عرفة ـ كما قال الفقهاء ـ ثَبير مِنَى لكونه إلى مبيت الحاج أقرب من ثبير الذي بمزدلفة، ولا مانع من أن يكون ثبيرٌ الذي عناه المشركون بقولهم: أشرق ثبير كَيْـمَا نُغِير، من المزدلفة، لأنهم كانوا يقولون ذالك

بالمزدلفة ولا يدفعون منها حتى تطلع الشمس على ثبير الذي بها، وهو إلى أبصارهم أقرب من ثبير الذي بمنى كيف وقد قال الأزرقي أن ثبيرا الذي عناه المشركون ثبير المزدلفة، وأثبت أن بمنى ثبيراً سواه. وأما قول النووي في «التهذيب» وغيره: أن ثبيرا جبل عظيم بالمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ويمين الذاهب من منى إلى عرفات، وأنه المذكور في صفة الحج، والمراد في مناسك الحج، فقد اعترضه شيخنا المجد ـ يقصد الفيروزآبادي صاحب «الوصل والمنى» ـ وقال: إنه قول فيه مقال، ورجم بالغيب، ومخالفة لإجماع أئمة اللغة والتاريخ ـ ثم قال المجد: نَعَمْ في المزدلفة جبل يُسَمَّى ثَبْيراً وليس هو المراد في مناسك الحج ـ انتهى. ولكن ثبير مُزْدَلِفَةَ ورد له ذِكْرٌ في مناسك الحج. فقد روى البخاري في «الصحيح» بسنده إلى عمرو بن مَيْمُونٍ قال: شهدتُّ عمر ـ رضي الله عنه ـ صَلَّى بِجَمْعٍ الصُّبْحَ ثم وقف فقال: إنَّ المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس، ويقولون: أَشْرِقْ ثبير، وأنَّ النبي ﷺ خالفهم، ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس ـ «فتح الباري»: ٥٣١/٣ ـ والغريب أنَّ الحافظ ابن حَجر ـ مع سعة علمه ـ قال في شرحه: ثَبِير جبل معروف هناك، وهو على يسار الذاهب إلى مِنًى، وهو أعظم جبال مكة. وتقدم أنه بمزدلفة وليس بمكة، وأنه على يمين الذاهب إلى منى، وكأن ابن حجر أخذ برأي القائلين بأن ثبيرا المعنيَّ بقول المشركين: أشرق ثبير ـ ليس ثبير مزدلفة، فقد قال ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» ـ ٣٤٥ ـ: ثبير النصع: جبل لطيف بمزدلفة على يسار الذاهب إلى منى ـ ثم أورد كلام الأزرقي ـ وأضاف: والمعروف المنقول عن جميع أهل المناسك أنهم ما كانوا يعنون إلَّا ثبير الأثبرة الذي بمنى ـ إلى أن قال: ووجَّه الفاسي ماذكره الأزرقي ـ وأورد كلام الفاسي المتقدم.

السابع: ثَبِيْرٌ الأحدبُ، وهذا لم أر له ذكراً عند الأزرقي ولا الفاكهي، وقد عَدَّه ياقوت من الأثبرة التي بمكة، بل ذكره قبله الحسن بن الحسين السكري (٢١٢/ ٢٧٥هـ) في «شرح أشعار الهذليين» ـ: ٣٥٥ ـ بما نصه: الباهلي: غينا ثبير قلة ثبير التي في أعلاه تسمى غينا، وهو حجر كأنه قنة، وهو ثبير غينا وثبير الأعرج، وثبير الأحدث، قال السُكَّريُّ: أظنه الأحدب وثبير آخر، فهن أربعة أثبرة، وذكره البكريُّ في «معجم ما استعجم»: ثبير الأحدب هكذا ضبطناه عن

أبي العباس الأحول على الإضافة وحكاهما أبو بكر بن الأنباري على النعت ثبيرٌ الأعرجُ وثبير الأحدبُ.

وقال ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف» ـ ٣٤٦ ـ: بمنى جبل يدعى الأُحَيْدب مقابل مسجد الخيف على يسار الذاهب إلى عرفة، وإلى جانبه آخر لا يبعد أن يكون ثبير غينا، وبينهما شعب الظاهر أنه أفاعية، وعلى هذا يصير بمنى ثلاثة أثبرة، ثبير المشهور، وثبير غينا، وثبير الأحدب. انتهى. وثبير غينا تقدم ذكره وأنه في أعلى مكة، وعلى ماذكر ابن ظهيرة فثبير الأحدب ـ والأحيدب ـ متّصل بثبير منى، وقد يكون الاسم أطلق على جزء منه فيه احْدِيْدابُ (اعوجاج).

الثامن: ثَبِيْرُ الْـخُضَيْرَاء، قال الفاسي في «شفاء الغرام»: ١/٢٩١ ـ: ثَبِيْرُ الْـخُضَيْراءِ الجبل المشرف على الموضع الذي يقال له الخضيراء، بطريق مِنَى، وهو مكان مشهور، وأورد كلامه ابن ظهيرة في «الجامع اللطيف»: ٣٤٦ ـ وأضاف: والخضيراء وادٍ معروف إلى اليوم وسبق الكلام على ثبير النَّخِيل، ومما جاء في تحديده عند الأزرقي: ويقال له الأقحوانة الجبل الذي به الثنية الخضراء، وبأصله بيوت الهاشميين، يَمُرُّ سيل مِنَى بينه وبين وادي ثبير. انتهى. لا أستبعد أنه سقط من أوَّلِ الجملة: (وثبير الخُضَيْراء: ويقال له الأقحوانة) ليتم الكلام على ثبير النخيل أنه جبل الزنج، ولا يكون ارتباط بين تعريف هذا الجبل الواقع بأسفل مكة بالأقحوانة الموضع الواقع بأعلاها بقرب بئر ميمون ـ «أخبار مكة» للفاكهي ٤/١٦٦ ـ.

مما تقدم يتضح أنَّ الأثْبِرَة منها أربعةٌ بمكة، ثَبِيرُ غَيْنَا وثَبير الْخُضَيراء في أَعْلاَهَا وثبير الزِّنْج وثَبير النخيل في أسفلها في داخلها. وثبير الأعرج جنوب شرقي مكة خارج الحرم، بينها وبين عرفة، اثنان في منى، ثَبِيرٌ، وثبير الأحدب، وواحد في مزدلفة وهو ثبيرُ النِّصْعِ، فكأن الأثبرة تمتد من أَعْلَى مكة حتى تنتهي بمزدلفة ماعدا اثنين يقعان داخل مكة.

١٧ ــ ثَـقِـيْـبُ: (٩٧)

عَفَـا مَثْعَـرٌ مِنْ أَهْلِهِ فَثَقِيْـبُ فَسَفْحُ اللِّوَى مِنْ سَائِرٍ فَجَرِيْبُ

المصطلحات العلمية في التراث العربي

رُؤْيــة واستــدراك

إنَّ الحديث عن إحْياء التراث العربي ـ وَهْو على ما نعْلَم من سعَته وشموله في الكمِّ والكيْف ـ لا بُدَّ أَنْ يَمُرَّ بطريقٍ أَوْ بآخر بالحديث عن التحقيق من حيْث أسسه وقواعده. ←

→ (قال ابن الأعرابي: مَثْعَرُ وادٍ بالْفُرْع ، وثَقِيْبُ وادٍ بالفرع أيضاً ، وسائر جبل في هذا الموضع).

ثَقِيبُ: وادي لايزال معروفاً ينحدر من أسافل جبال الفُرْعِ ومن جنوب غرب جبل قُدْسٍ حتى يجتمع بوادي القاحة قبل اجتماعه بوادي النَّخل ـ أعظم أودية الفرع ـ بخمسة عشر كيلاً ، مجتمع وادي القاحة ووادي النخل في متّسع من الأرض، فيه محطة لقوافل الحجاج قديماً تعرف ببئر مبيرك ، وبعد اجتماعهما يسمى الوادي وادي الأبواء . ومن روافد وادي ثقيب أم كشد ـ في السيرة لابن هشام ـ: (ذو كشر) وجُداجد، وأُجيرد ، والثلاثة وردت في خبر الهجرة ـ انظر «العرب»: ٥٩١/١ ـ وقد مررت بتلك المواضع ـ (يقع بين خطي العرض ١٥/٢٣° و ٣٥/٢٣° وخطي الطول: ١٥/٣٩° و ٣٠/٣٩°، وفيه موقع مأهولٌ يدعى (البستان) بقرب خط الطول: ٢٠/٣٩° وخط العرض: ٢٠/٢٣°). وقد ورد اسم ثقيب هذا مصحفاً (نقيب) في «معجم ما استعجم» رسم حورة حيث ورد البيت منسوباً إلى نُصَيْب:

عفــا مَنْقَــلٌ مِنْ أَهْلِهِ فَنَقِيْــبُ فَسَرْحُ اللِّوَى مِنْ سَائِرٍ فَمُرِيْبُ

ويطلق اسم ثقيب أيضاً على شِعْبٍ في جبل أجإٍ ، ورد في «شعر حاتم».

(للبحث صلة): **حمد الجاسر**

وتتلخّص عمليّة التحقيق ذاتها في أنّ: (الكتاب المحقَّقُ هو الذي صحّ عنوانُه، واسْم مؤلِّفه، ونِسْبة الكتاب إليه، وكان مَتْنه أقرب مايكون إلى الصورة التي تركها مؤلفه)[1].

وربّما يظنّ البعْض من خلال هذا التعريف الوجيز أنّ تحقيق المخطوطات من الأمور اليسيرة التي لا تتطلَّب سوى جَمْع أكبر قَدْرٍ من النّسخ المختلفة من المؤلَّف الواحد والمقابلة بين تلك النّسخ ، والاستدراك على النسّاخ فيما يَقع بيْنَهم أثناء النّسْخ من سقْطٍ أوْ إضافةٍ أوْ تحريف. . . الخ. غير أنّ الأمْرَ في حقيقته على العكس تماماً فالتحقيق هو من أشقّ الأمور ، وأكثرها عناءً وجهْداً .

ولبيان ذالك نقول: لو افترضنا أنّ كتاباً مَا ـ من كُتب التراث ـ قد توافرت فيه كلّ الأمور الواردة في تعريف الكتاب المحقَّق، فصحّ عنوانه واسم مؤلِّفه، وصَحَّتْ نِسْبَةُ الكتاب إليه، وخرج مَتْنُه كما كتبه المؤلِّف أَوْ كانَ أَقْرَب مايكون إليه، بل لو افترضنا كذالك أنّ الحظّ قد أتاح لنا أنْ نَعْثر على كتابٍ قد خطّه المؤلِّف بيده، فلم نَعُدْ بحاجَةٍ إلى بَذْل الجهْد الذي يَبْذله المحقِّقُونَ عادةً في المقابلات بين النّسخ المختلفة أَوْ تتبّع أَخْطاءِ النُّسَّاخ من تصحيفٍ وتحريف وسهو . . . الخ.

لو افْتَرَضْنا ذالك كلّه، فهلْ يَبْلغ محتوى الكتاب في نفس القارئ مَبْلغاً سهْلاً يسيراً كما أراد له المؤلِّف أَنْ يَبْلغ بما كتبه في نفوس قارئيه فَهْماً وإدراكاً ؟ وهل الغاية من التحقيق هو نَشْر الكتاب كما تركه مؤلِّفه دون التَّعرُّض لمحتواه بالشرح والتفسير بحيث لا تشقّ على القارئ قراءته أَوْ تَعْسر عليه معانيه؟

وبمعنى آخر ، ماهي الفائدة المرجوَّة من نَشْرِ كتابٍ قد كُتِبَ قَبْلَ عَشْرة قرونٍ خَلَتْ دون أَنْ يصاحبَ هذا النّشر ما يُعِينُ القارئَ على فَهْمه واستيعابه ممّا يُخْرِجُ مِثْل هذا الكتاب من دائرةٍ ضيِّقةٍ للغاية هي دائرة المخْطوط الذي يَسْتَغْلقُ على الفهْم ، إلى دائرةٍ أَرْحَبَ من هذا بكثير ، ونعني بها دائرة التراث الإنساني بما قد يحتوي هذا التراث على فكرٍ راقٍ أَوْ أدبٍ رفيع، أَوْ علمٍ غير مسبوق.

صحيحٌ أنَّ التحقيق هدفٌ في حدّ ذاته، وغايةٌ نَسْعَى إليها في سبيل إحياءِ

وبعْث التراث العربي. ولكنَّ الصحيح أيضاً أنّ التحقيق هو وسيلةٌ من وسائل هذا الإحياء والبعْث.

وفي اعتقادنا أنّ تحقيق أي كتابٍ من كتب التراث يظلُّ تحقيقاً مبتوراً مالم يَعْمل المحقِّق على جلاء غوامضه بالشّرح والتعليق، فيما يخصّ اللّفظ أَوْ فيما يتعلّق بالمعنى. ولا نجاوزُ الصواب إنْ قلنا إنّ الغالبية العظمى من مؤلّفات التراث العربي لا يَستقيم فهمها وإدراك محتواها إلاّ من خلال شرح وتفسير ماقد يَغْمض على القارئ فهمُه من ألفاظٍ ومعانٍ. يقول الأستاذ المحقّق عبدالسلام هارون: (لارَيْبَ أنّ الكتب القديمة، بما تَضمّنت من معارف قديمة، محتاجةٌ إلى تَوْضيحٍ يخفّف مابها من غموض، ويحْمل إلى القارئ الثّقة بما يَقْرأ وَالاطْمئنان إليه. ومن هنا كان من المسْتحسن ألاّ يَتْرك المحقِّق الكتاب غُفْلاً من التعليقات الضروريّة التي تجعله مطمئنًّا إلى النَّصِّ، واثقاً من الجهْد الذي بذله المحقِّق في تفهّم النّصّ، وتقدير صحته)[٢]. إذن فوجود مثل هذه التّعليقات والهوامش التي تفسّر وتَشْرح الغامض والغريب من مفردات مَتْن الكتاب المحقَّق لِـمَن الأمور التي لا غنى عنها، حتّى يتسنّى للقارئ أَنْ يَقْرأ تراثاً إنسانيًّا، لا أنْ يقرأ متناً أَشْبه بالمخطوط المستغْلق على الفهم، لا يخرج منه بشيء. وعلى سبيل المثال: هل في مقدور القارئ أَنْ يقرأ في يُسْرٍ وسهولة كُتُباً مثل «رسالة الغفران» أَوْ «الصاهل والشاجح» للمعرِّي دون النّظر إلى تعليقات وشروح الدكتورة عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطيء) التي حقّقت الكتابيْن ؟ وهل كان في مستطاع القارئ أَنْ يفهم محتوى «ألفِيّة ابن مالك» دون اللجوء إلى شروحها الكثيرة... الخ.

ومن الطريف في الأمر أنّ القدماء كانوا أكثر وَعْياً وإدْراكاً لهذه الحقيقة بدليل كثرة شروحهم المتنوعة للشعر العربي القديم. وأغلب الظن أنّه لولا وجود مثل هذه الشروح لما استقام فهم القارئ للشعر العربي القديم. وعلى سبيل المثال: هل كان من الميسور على قارئ الشعر الجاهلي إدراك معانيه في يسر وسهولة دون النظر في بعض شروحه مثل «المفضّليات» للمفضّل الضَّبِّيّ أَوْ « شرح القصائد التسع المشهورات» لأبي جعفر النحاس، وهل كان من الميسور ـ أيضاً ـ على القاريء،

فهم ديوان «سِقْط الزند» للمعري دون مراجعة شروح كلٍّ من التبريزي والبطْليُوسِي والخوارزمي.

ملاحظات حول تفسير المصطلح العلمي العربي:

وإذا كُنَّا قد تحدثنا عن أهمية شَرْح وتفسير المفردات في أسفار التراث الأدبي شعراً كان أَمْ نثْراً ومَدَى ضرورتها لفهم هذا الطراز من التراث، فإنّ السؤال الذي يُلِحُّ علينا الآن ؛ وماذا يمكن أَنْ يقال عن التراث العلمي ؟

والتراث العلمي الذي نعنيه هنا هو ما ألّفه العلماء في علوم الفلك والطب والكيمياء والمعادن... الخ.

والحقيقة أنّه إذا كانت مثل هذه التعليقات والشروح التي تفسّر ماقد يغمض على القارئ معرفته من المفردات في متون مؤلّفات التراث الأدبي هي من الأهميّة بمكان، في وجوب وجودها وضرورتها. فإنّ وجود مثل هذه التعليقات والشروح في تحقيق التراث العلمي أَشَدُّ لزوماً وأَوْجب في الضرورة، هذا إنْ لم تكن ـ في اعتقادنا ـ شرطاً أساسيًّا من شروط تحقيق مؤلّفات التراث العلمي. وذالك لسبب بسيط للغاية وهو أنّ مؤلّفات التراث الأدبي المحقَّقة والتي يخلو منها مثل هذه الشروح والتعليقات، فإنه من السهل على القارئ في هذه الحالة أَنْ يستدرك مافات المحقِّق أَنْ يثبته من تعليقات وشروح ، وذالك بالرجوع إلى معاجم اللغة.

غير أنّ الأمر يختلف تماماً عند تحقيق التراث العلمي لِأَنَّ المفردات الغريبة والتي لم يَألفها القارئُ والتي تأْتي على غير مثالٍ مسبوق سواء من ناحية غموض المعنَى أَوْ غرابة التركيب البنائي، إنّما هي في حقيقة الأمر مصطلحاتٌ علميّةٌ، لأنّ المؤلِّف ـ في هذه الحالة ـ يكتب عِلْماً مَحْضاً أَيْ أنّه يريد بذكْر تلك المفردات الغريبة؛ المعنى العلمي لها. ومِثْل هذه المصطلحات العلميّة لا تَفي معاجم اللّغة بشرحها وتفسيرها، بل ربّما يَبْعد معناها اللّغويُّ عن معناها الإصطلاحي، الأمر الذي قد يُضِلِّلُ القارئَ إذا استعان بمعاجم اللغة وَحْدَهَا. ويَرْجِعُ السّبَبُ في قصور معاجم اللغة عن التفسير الصحيح للمصطلح العلميّ أنّ بَعْض هذه المصطلحات قد اسْتُحْدِث معناها لدى العرب لدى اشتغالهم بالعلوم الأمر الذي يبعد تماماً ـ

أي المعنى الإصْطلاحيّ - عن المعنى اللّغوي مثل الصّنعة أو الجبر فهُمَا من المصطلحات التي لا تفيد معاجم اللغة عن إدراك وبيان حقيقة المعنى العلميّ لها. كما أنّ الكثير من المصطلحات العلميّة لا أَصْل لها في معاجم اللغة لأنّها مصطلحاتٌ قد تمَّ تعريبها إبّان حركة الترجمة والنقل التي اتّسع نطاقها في العصر العباسي مثل اللاَّزَوَرْد، والمَرْقشِيتا والإسْطِرْلاب. . . . الخ.

ولعلّ التهانوي كان أكثر إدراكاً لأهميّة المصْطَلح، فكَتَب في مقدّمة كتابه «كشّاف اصطلاحات الفنون» يقول: (إنّ أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدوّنة، والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشْتباه الاصطلاح فإن لكلّ عِلْمٍ اصطلاحاً إذا لَمْ يُعْلَمْ بذالك لا يتيسّر للشّارعِ فيه إلى الاهتداء سبيلاً ولا إلى فهْمه دليلاً)[٣].

إذن لابُدّ لمحقِّق التراث العلميّ أنْ يَشْرَح بشيْءٍ من التفصيل هذه المصطلحات شرحاً علميًّا حتّى يتسنَّى للقارئ فَهْم المعْنَى فَهْماً كاملاً كما يدلّ عليه سياق الكلام، وكما أراد له المؤلِّف. ولقد حدّدَ التهانويُّ سبيلينْ من سُبُل التعرّف على تفسير وشرْح هذه المصطلحات، السبيل الأوّل هو الرجوع إلى أساتذة العلم، أمّا السبيل الثاني فهو الرجوع إلى الكتب التي جُمعت فيها اللّغات المصْطلحة[٤]. وأذَا كان لابُدَّ لَنا مِنْ إضَافةٍ إلى هٰذَيْن السبيلينْ، فإنّنا نذْكر سبيلاً ثالثاً وهو إيجاد الصّلة بين هذه المصطلحات العلميّة في التراث العلميّ وبينْ مايُنَاظِرُها على ضوء العلم الحديْث. ولِكيْ تتّضح هذه السبل الثلاثة في ذهن القارئ في سبيل اكتمال المعنى العام للمصطلح العلميّ، فإنّه لابُدَّ لنا أَنْ نُورِدَ مثالاً على ذالك كنوعٍ من التّطبيق الذي يؤدّي في نهاية المطاف إلى بيان المعنى العلميّ الذي قَصده المؤلِّف بذكره لهذا المصطلح أَوْ ذاك.

فإذا افترضنا أنّ قارِئاً قد استوقفَتْهُ كلمة (الإثْمد) مثلاً في بَعْض مؤلّفات التراث العلمي في علوم المعادن والأحجار، أَوْ في كتب الطبِّ، فما هو أَوْجُه التفسير المناسبة لهذه الكلمة، حيث يدلّ وجودها في مثْل هذه المؤلّفات فضلاً عن سياق الكلام؛ أنّها مصطلحٌ علميٌّ بحاجةٍ إلى التفسير العلميّ. ويمكن للمحقِّق في هذه

الحالة أَنْ يفسّر (الإثمد) على النحو التالي. الإثْمد ـ في «لسان العرب» لابن منظور ـ: حجرٌ يُتّخذُ منه الكحْل، وقيل؛ ضَرْبٌ من الكحْل، ويقال فلانٌ يَجْعل اللّيل إثْمداً أَيْ يَسْهر فجعل سواد الليل لعينيه كالإثْمد)[٥].

وجاء في «تذكرة داوود»: (الإثْمد: الكُحْل الأصفهاني الأسْود، وباليونانية سَطِيني وهو من كبريْتٍ ضعيف وزِئْبق رَدِيْءٍ عَقدتهما الرّطوبة بالحرارة الضعيفة فلذلك أسودَّ)[٦]. وجاء ـ أيضاً ـ في «عجائب المخلوقات» للقزويني: (الإثْمد؛ هو حجرٌ معروفٌ له معادنٌ كثيرةٌ، وأغلبها في أكناف المشرق وهو حجرٌ يخالطه الرّصاص يَنْفع العيون اكْتحالاً)[٧].

أمّا عن حقيقة الإثْمد فهو أحد معادن عنصر (الأنتيمون Antimony) ويتكوّن كيميائيًّا من كَبْريتيد الأنتيمون) ويُرْمَزُ له بالرمز Sb_2S_3 ويعرف في علم المعادن باسم (انتيمونيت Antimonite) أو اسم (ستبنيت Stibnite)[٨]. ويرجح العالم الكيميائي (ريمي Remy) بأنّ لفظة (الأنتيمون) مشتقّةٌ من (الإثمد) العربية[٩].

نخلص من هذا إلى القول بأنّه من الخطإ الواضح أَنْ يَتْرُكَ المحقّق مثل هذه المصطلحات العلميّة دون تفسيرها التفسير العلميّ، وذالك عن طريق الإستعانة بكتب التراث العلميِّ التي تَرِدُ فيها مِثْل هذه المصطلحات، كما أنّ خِبْرةَ المحقّق وفَهْمه للنّصّ يلعبان دوراً هامًّا في بيان التفسير العلميّ للمصطلحات العلمية، الأمر الذي يَجْعل مؤلّفات التراث العلمي ذات قِيمَةٍ علمية في سجلّ تاريخ العلم العام، فضلاً عمّا قد يحتويه هذا التراث من علمٍ غير مسبوق.

ولقد تَتَبّعْنَا جملةً من مؤلّفات التراث العلميّ العربي التي تمّ تحقيقها ناظِرِيْنَ إلى مَنْهج التحقيق، ولاسيّما فيما يتعلّق بالكيْفيّة التي انتهجها المحقق حيال المصطلحات العلمية، ولقد خلصنا من تتبع هذه المؤلفات إلى أن المحققين في معالجتهم للمصطلحات العلمية كانُوا ثلاثة أقسامٍ يُمْكِنُ لنا أَنْ نفصّل كلّ قسمٍ على النّحْو التالي:

أوّلاً: فريقٌ من المحققين قد وَضع الحقّ في نصابه فأجاد معالجته لهذه القضيّة، بمعْنى أنّ هذا الفريق قد فسّر المصطلحات العلميّة الواردة في مؤلّفات التراث

العلمي تفسيراً علميًّا صحيحاً . بل زاد البعض منهم فأوْرَد المصطلحات العلميّة الحديثة التي ترادف المصطلحات العلمية التي وضعها العلماء العرب في مؤلّفاتهم. ولعلّ في كتاب «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار ، للتّيفاشي تحقيق الدكتور محمد يوسف حسن والدكتور محمود بسيوني خفاجي المثل الواضح على تفسير المصطلحات العلميّة في مؤلّفات التراث تفسيراً علميًّا صحيحاً على ضوء معطيات العلم الحديث، فعندما يتحدّث التيفاشي مثلاً عن كثرة الماء أَوْ المائيّة العالية في الياقوت فإنّه ـ أَيْ التيفاشي ـ كما أوضح ذالك المحققان كان يَعْني ـ في علم المعادن ـ درجة الشفافية (Transparancy)[١٠]. وعندما تحدّث كذالك عمّا أسْماه بالمحكّ أَوْرَد المحققان المقابل العلميّ لهذا المصطلح، فالمحكّ هو ـ في علم المعادن ـ المخدش (Streak)[١١]. وعلى هذا النسق كان نهج المحققيْن حيال المصطلحات العلميّة، ولا نجاوز الصواب إنْ قلنا إنَّ تحقيق «أزهار الأفكار ، للتيفاشي من التحقيقات الرائدة في بابها، هذا إنْ لم يكن مثالاً يحْتذى في التحقيق. وقريبٌ من هذا النهج ماكتبه الدكتور أحمد مضر صقّال في دراسته لأسلوب الرازي في تشخيص وتدبير الجدريّ، والحَصْبَة، فقد أورد المقابل العلمي الحديث لمصطلحات الرازي، فالأسباب ـ يقابلها ـ (Eteology)[١٢] والتدبير ـ يقابلهُ (Management)[١٣]. . . . الخ.

ثانياً: فريقٌ استند في تفسيره للمصطلحات العلميّة إلى كتب التراث العلميّ نفسه، أَوْ المؤلّفات التي تتميّز بموسوعيّة النهج، وشمول التأليف، دون أَنْ يجعل لمعطيات العلم الحديْث مكاناً في تفسيره. الأمر الذي قد يشقّ على القارئ تفسير المحتوى العلمي للكتاب.

وعلى الرغم من أنّ لجوء المحقِّق إلى كتب التراث العلميّ هو أمرٌ على شيْءٍ من الصواب إلاّ أنّ تفسير المعنى العلميّ للمصطلح الذي يَرِدُ في متن الكتاب المحقَّق يظلّ قاصراً مالم يكن هناك مايقابل مثل هذا المصطلح بمعطيات العلم الحديث، الأمْر الذي قد يؤدّي بالتّالي إلى نتائج ثلاث: أوّلها؛ عدم فَهْم القارئ للكتاب المحقَّق ومابه مِنْ مصطلحاتٍ علميّة فَهْماً كاملاً . وثانيها؛ حَجْب جَوْهر الإبداع العلمي العربي وماقد يتضمّنه من سَبْقٍ في أمْرٍ من أمور العِلْم. وثالثها؛ أنّ القارئ

الذي يريد التَّعرُّف على تاريخ العلم عند العرب في مظانِّهِ ومصادره الأصليّة قد لايخرج بشيْءٍ ذِي بَالٍ حَوْل مايريد التعرّف عليه. ومن هذا الفريق من المحقّقين الدكتور رزوق فرج رزوق محقّق كتاب «حقائق الاستشهاد» للعالم الكيميائي والشاعر المشهور، الطغرائي، وعلى الرغم من أنّ الدكتور رزوق قد أجاد التحقيق ولاسيّما فيما يتعلّق باستجلاء غوامض كثيرة في مَتْن الكتاب كما وضَّحَ ذالك في مئة وخمسين حاشيةً دارت معْظمها على شرح وتفسير كثير من المصطلحات العلمية. غير أنه استند في هذا التفسير إلى كتب التراث، الأمر الذي حجب بالطبع تفسير المحتوى العلمي لِـمَا جاء في «حقائق الاستشهاد» وماعناه الطغرائيُّ نفسه، لسبب بسيطٍ للغاية وهو أنّ الاحتكام إلى كتب التراث، في محاولةٍ لشرْح بعض المصطلحات العلميّة ليس مجدياً في جميع الأحوال، لأنّ مثل هذه الشروح غالباً ماتكون بحاجةٍ هي الأخرى إلى شيءٍ من التفسير إذ يشوب بعضها أحياناً قدرٌ من الغموض. فمثل هذا التفسير الذي يستند إلى كتب التراث أقْرب مايكون إلى التفسير اللّغوي.

وقد كان من الواجب على المحقِّق في هذه الحالة أنْ يهتمّ بالجانب العلميّ على ضوء معطيات العلم الحديث باعتبار أنّ ما يحققه إنّما هو عِلْمٌ محض فلا أقَلَّ من تفسيره علميًّا، وخاصة فيما يتعلّق بالمصطلحات العلميّة.

وعلى سبيل المثال فقد وردت فقرةٌ يتحدّث فيها الطغرائيُّ عن الكتب المنسوبة إلى الحكماء كفيثاغورس وسقراط جاء فيها: (مضطربة النّظْم غير مرتّبةٍ ـ أَيْ تلك الكتب ـ ولا دَالّةٍ على حقيقة معاني الحلّ والعقْد والمِزَاج والاستحالة)[١٤].

وجاء في حواشي التحقيق عند تلك المصطلحات الأربعة التي وردت بالفقرة السابقة الحلّ: ضِدّ العقْد فلذالك يكون تَرْقيق القوام حلًّا، انْظر «كشّاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي. المِزاج: عند القدماء على أرْبعة أنواع أَسَاسيّة تقوم على العناصر الأربعة: النار والهواء والأرض والماء، فيقال مزاجٌ حارٌّ ورطب ويابس وبارد، ثم تتفرّع هذه الرباعيّة الأساسيّة إلى رباعيّة أخرى فيقال حارّ يابس، وحار رطب، وبارد رطب، وبارد يابس. أنظر «الصحّاح» في اللّغة والعلوم. والاستحالة: من اصطلاحات الصنعة)[١٥].

وإذا كنّا لا نعترض على الاستعانة بكتب التراث في تفسير المصطلحات العلميّة بل نعتبره أمْراً لابأْس به إلاّ أنّه من الأنْسَب في هذه الحالة أنْ يعتمد المحقِّق على معطيات العلم الحديْث التي تقابل هذه المصطلحات العلمية. كما لا يجب أنْ نَنْسَى عاملاً هامًّا في شرح وتفسير المصطلحات العلميّة وهو فَهْم المحقِّق للنصّ، ومعرفة مراد المؤلِّف من ذكره هذا المصطلح أَوْ ذاك من خلال سياقِ المعنى الدّال على مايريده المؤلِّف.

ولأنّ ماجاء بحاشية المحقِّق في تعريفه وشرحه لتلك المصطلحات العلميّة يشوبه شيء كثير من الغموض فضلاً عن انتفاء التفسير ذاته. فما مَعْنى أنّ (الحلّ) ضِدّ (العِقْد) ومامَعْنى أنّ (الاستحالة) هي من اصطلاحات الصنعة، هذا بالإضافة إلى أنّ المحقِّق قد جانبه الصواب في تفسير (المزاج).

وإذا أردْنا أَنْ نفسّر تلك المصطلحات التي تخيّرناها من بيْن مصطلحاتٍ كثيرة على ضوء فهم سياق النصّ وما يعنيه المؤلّف من معطيات علمية لقلنا أنّ (الحلّ) تَعْني الانحلال أوْ التفكك، أَيْ تحليل المركبات الكيميائية إلى وحدات أبْسَط منها كتفكّك أو حلّ الزنجفر (وهو كبريتيد الزئبق) بالتسخين الشديد إلى زئبق ويرادف (الحلّ) علميًّا بلغة الكيمياء (Disintegration)[١٦].

أمّا (العِقْد) ـ وهو كما جاء بحاشية المحقّق ضد الحلّ. فهو تحضير مركبات كيميائية أكثر تعقيداً من مركّبات بسيطة أَوْ مواد أوّليّة ويرادف العِقْدَ علميًّا وبلغة الكيمياء كلمة (Preparation)[١٧]. وعندما نصل إلى كلمة (المزاج) والتي ظنّ المحقّق أنّها تَعْني الطبائع الأربعة للموادّ، وهي الحار، والرطب، والبارد، واليابس، فإنّ المزاج التي عناها الطغرائيُّ غير ذالك تماماً. فقد قصد بكلمة (المزاج) هنا عملية المَزْج أَوْ الخلط (Mixing) وهي مَزْج السوائل بعضها البعض، أَوْ خلط المواد الصلبة[١٨] والدليل على ذالك أنّ الفقرة نفسها تتحدّث عن بعض العمليات الكيميائية.

يبقى لدينا بعد ذالك أَنْ نفسّر كلمة (الاستحالة) والتي أَوْرَد المحقّق في حاشيته بأنّها من إصطلاحات الصنعة. فالاستحالة التي قصدها المؤلِّف حيث يدُلُّ سِياق

الحديث على معناها هي تحويل المواد والمركبات الكيميائيّة إلى موادٍّ ومركبات كيميائيّة أخرى من خلال التجارب الكيميائية.

نخلص من هذا إلى القول بأنّه من الضروري استنتاج المرادف العلمي للمصطلحات العلميّة الواردة في النصّ سواء أكان هذا الاستنتاج من كتب التراث العلميّ التي تعالج هذا الفنّ أَوْ ذاك من فنون العلم، أَوْ الاستنتاج من سياق المعنى نفسه. وهنا تبرز خِبْرة المحقّق وفَهْمُهُ للنصّ، مع إيراد مَعْنى المصطلح على ضوء معطيات العلم الحديث.

ثالثاً: فريقٌ حاول جاهداً ـ على الرّغم من استناده إلى مصادر العلم الحديث ـ أن يفسّر المصطلحات العلميّة الواردة في مَتْن الكتاب المحقَّق، فأخطأ التفسير أَوْ على الأقل لم يُوفَّق في استنتاج التفسير الصحيح. وأغلب الظنّ أنّ عدم توفيق المحقِّق في تفسيره للمصطلحات العلميّة يَرْجع بالدرجة الأولى إلى عدم تخصّص المحقّق في العلم موضوع التحقيق. وهذا الفريق من المحقّقين بحاجةٍ ـ في اعتقادنا ـ إلى المراجعة والاستدراك والتصويب. وسوف نعرض لبعض الأمثلة الدّالة على هذا النوع من التحقيق لعلّنا بذالك نُلْفِت الانتباه إلى ضرورة مراجعة بعض مؤلَّفات التراث العلمي المحقَّقة من قِبَلِ أَهْلِ الدراية والاختصاص إتماماً للفائدة، واستكمالاً لجهد المحقّق.

المثال الأول: وهو كتاب «نخب الذخائر في أحوال الجواهر» لمحمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري المعروف بابن الأكفاني، تحقيق اللّغوي الشهير الأب أنستاس مارِي الكرملي، وهو كتابٌ يبحث في الأحجار الكريمة من ناحية أنواعها وخواصّها وفوائدها الطبيّة. وقد أَنْصَبَّ الجانب الأكبر من عناية المحقِّق على ضَبْطِ أسماء الأعيان من الأحجار الكريمة، وردّها إلى أصولها فارسيّة كانت أَمْ يونانيّة، مع ذكر مايرادف أسماءَ تلك الأحجار باللغة الفرنسيّة. وبجانب هذا الشرح اللّغوي الذي أفاض فيه الكرمليُّ إفاضة لَيْسَتْ بالغريبة على عالم لغويٍّ شهير مثله، وبجانب مازادَهُ في الكتاب من استشهاده بما ذَكره العلماء العرب في هذا الموضوع كالكِنْدي والتّيفاشي، وذكر بعض الأحجار الكريمة التي لم يذكرها ابن الأكفاني في كتابه بالإضافة إلى بعض الدراسات والفهارس التي بلغت إحدى عشر فهرساً.

وعلى الرغم من ميزات التحقيق العديدة، والتي جاءت بعض هذه الميزات على غير مثالٍ مسبوق تفرّد بها الكرمليُّ وحده إلّا أنّه يوجد بعض الملاحظات والاستدراكات العلميّة والتي نُجْمِلُها في النقاط الآتية إتْماماً لفائدة التحقيق:

١ ــ جاء في شرح كلمة (ياقوت): (ثم أطلق الياقوت عندهم على صوفٍ أَوْ ثوْبٍ مصبوغ، ثم تَوَسَّعُوا في معناها فأطلقوها على ضربٍ من الجمست وهو الحجر الكريم الذي يجرى عليه الكلام هنا)[١٩]. والحقيقة أنّ معطيات علم المعادن (Mineralogy) لا تؤيّد مثل هذا التفسير، فالياقوت بأنواعه يختلف اختلافاً جوهريًّا عن الجمست، وليس كما قال المحقق أن الياقوت ضرب من الجمست، فأنواع الياقوت جميعها إنّما هي في حقيقة الأمر ضروبٌ من معدن (الكورندم (Corundum) والذي يتكوَّنُ كيميائيًّا من (أكسيد الألومنيـوم) والذي يتميّز عن سواه من المعادن بصلادته العالية والتي تصل إلى المرتبة التاسعة حسب مقياس الصلادة المعروف بمقياس (موه Moh's Scale) أَيْ أنّه أَصْلَبُ المعادن جميعاً بعد الماس[٢٠]. أمّا الجمست (Amethyst) فهو ضربٌ من ضروب المرو (Quartz) الذي يتكوّن كيميائيًّا من ثاني (أكسيد السيليكون) وتبلغ صلادته ٧ حسب مقياس (موه) للصلادة[٢١].

٢ ــ جاء في شرح لفظة الزبرجد: (ذكرنا قبل هذا أنّ اللغويّين لا يفرّقون بين الزمرّد والزبرجد بخلاف أهْل الفنّ فإنّهم يميّزون بينها. قال التيفاشي: إنّ الفارابِـيَّ قال في كتابه في اللّغة: إنّ الزبرجد تعريب الزمرد. وليس كذالك بل الزبرجد نوعٌ آخر من الحجارة. وجاء في كلام الشارح ـ أَيْ الكرملي ـ في الكلام على الزبرجد أنّه نوع من أنواع الزمرد، وهو أقرب إلى الصواب لأن الزمرد يسمى بالفرنسية (Emeraude) أما الزبرجد فاسمه (Beryl) أو (Beril) وهو ضرب من نوع واحد)[٢٢].

هذا ماذكره الكرمليُّ في شرح الزبرجد، وعلى الرغم من اعترافه بأنّ النوعين ـ أَيْ الزمرد والزبرجد ـ مختلفان بشهادة أَهْل الفن ـ أي أهل العلم ـ مستشهداً بقول التَّيفاشي الذي خَطّأَ الفارابِـيَّ في ظنّه بأنهما نوعٌ واحد، فقد أهْمَل الكرمليُّ

شهادة التّيفاشي وأيّد الفارابي، على الرغم من صواب الأوّل وخطإ الثاني. والحقيقة أنّ الزبرجد يختلف اختلافاً بيّناً عن الزمرّد، فالزبرجد ليس تعريباً لكلمة (Beryl) وإنما يقابله في اللغة الإنجليزية كلمة (Peridot) وهو ـ أَيْ الزبرجد ـ ليس سوى نوع من أنواع معدنٍ يُعْرَف بِمعدن (الأوليڤين Olivine) ويتميّز بجاذبية لونه الأخضر الزيتوني، وبشفافيّته وصلادته العالية التي تبلغ ٧ حسب مقياس (موه) للصلادة مما يجعله واحداً من أهم أفراد طائفة الأحجار الكريمة. ويتكوّن الزبرجد كيميائيًّا من (سيليكات) الحديد و(الماغنسيوم)[٢٣] أمّا كلمة (Emeraude) الفرنسية والتي عرّبها الكرمليُّ بالزمرد كمقابل عربيّ لها فإنّ هذه الكلمة الفرنسيّة قد أوردها عالم المعادن الشهير (دانا Dana) في كتابه الموسوعي الضخم عن المعادن (System of Mineralogy) تشمل كلاًّ من (Emerald) و (Beryl)[٢٤]. أمّا الزمرد فقط فيقابِلُهُ ـ بالإنجليزية ـ في علم المعادن (Emerald) وهو في نفس الوقت أحد أنواع معادن (البيرل Beryl)[٢٥] والزمرد ذو لونٍ أخضر شفّافٍ يميل إلى الزرقة قليلاً، وتَصل صلادته إلى ٨ حسب مقياس (موه) ويتكون كيميائياً من (سيليكات الألومنيوم والبيريليوم).

وعلى هذا فإنّ الزبرجد والزمرد ليسا من نوعٍ واحد ـ كما قال الكرمليُّ، بل هما معدنان مختلفان تماماً سواءً في الخواص الطبيعيّة التي يمكن بواسطتها التعرّف على كلٍّ منهما والتفريق بينهما، أَوْ من ناحية التركيب الكيميائي.

ولعلّ هذا الخلط بَيْن الزبرجد والزمرد مرجعُهُ إلى تقارب مخارج الحروف، فقد ظنّ اللغويون أنّ الزبرجد لغةً في الزمرّد، وقد أيّد الكرملي هذا الرأي. غير أنّه إذا جاز هذا الظنّ على اللّغويين فإنّه لا يجوز على أهل الفن، وقد كان أَوْلى بالكرمليِّ أَنْ يأخذ برأي التّيفاشي وهو عالم بالأحجار الكريمة، لا أن يأخذ برأي الفارابي وهوليس من أهْل الفن وإنّما هو عالم لغوي.

٣ ــ أورد الكرملي في مُلْحقٍ خاصّ ببعض المعادن والأحجار الكريمة التي لم يذكرها ابن الأكفاني في كتابه كلمة (Hyacinthe) مرادفاً فرنْسِيًّا لكلمة (البنفسن العربيّة[٢٦] و(البنْفَسن) قد ذكره ابن الأكفاني في حديثه عن (البجادي) حيث

أوْضح أنّ (البجادي) يعرف بـ(البنفسن)[٢٧] كما أوْرد الكرمليُّ أيضاً كلمة (Grenat) الفرنسية مرادفاً لـ(بجادي) العربيّة[٢٨] والتي تقابلها في الإنجليزية كلمة (Garnet) وهو اسمٌ لمجموعة شهيرةٍ من معادن (السيليكات) تتميّز بتعدّد أفرادها وبالتالي ألوانها وبنظامها البلوري المكعبي الشكل[٢٩].

يتّضح إذن من قوْل ابن الأكفاني أنّ (البنفسن) هو (البجادي) أوْ على الأقل نوعٌ منه، غير أن كلمة (Hyacinthe) التي أوردها الكرملي كمرادفٍ للـ(بنفسن) لا تَدْخل ضمن مجموعة البجادي (Garnet) إذْ أنّ (Hyacinthe) إنّما تدل على أحد أنواع معدن (الزرقون Zircon) التي تتميز بألوانها الحمراء والصفراء[٣٠] وليستْ ضمن مجموعة البجادي أو (Garnet) إذْ أنّ هناك فرقاً واضِحاً بيْن الاثنين في أشكالهما البلورية الخارجية، التي يسهل حتّى لغير أهل الفن التفريق بينهما. فأفراد مجموعة البجادي (Garnet) تنتمي في تبلورها إلى فصيلة المكعب (Cubic System) بينما يتبلْور (الزرقون Zircon) في فصيلة الرباعي (Tetragonal System) كما أنّ الزرقون أشدّ صلادة من البجادي، فصلادة الأول تصل من ٧ إلى ٨ بينما صلادة الثاني تصل من ٦,٥ إلى ٧,٥ حسب مقياس (موه) هذا بالإضافة إلى اختلافهما في الخواص الأخرى.

المثال الثاني: وهو كتاب «الجواهر وصفاتها» ليحيى بن ماسويه، تحقيق الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف، وقد أكثر المحقّق من التعليقات والحواشي التي فسّرت كثيراً من غوامض الكتاب، وهو جهدٌ محمودٌ يُحْسَبُ للمحقّق، وممّا يُحْسَبُ للمحقّق أيضاً اعتماده في التحقيق على كمٍّ كبير من أسفار التراث العربي المطبوعة منها والمخطوطة. أمّا فيما يتعلّق بالمعادن والأحجار الكريمة الواردة في مَتْن الكتاب فإنّ المحقّق قد استَعان ـ بالإضافة إلى أسفار التراث العربي ـ بأحد المصادر الأوروبيّة التي تُعْنَى بالأحجار الكريمة بالإضافة إلى «دائرة المعارف البريطانية». وعلى الرغم من هذا فإنّ المحقّق قد حاول مخلصاً أنْ يستدلّ على حقيقة أسماءِ الأحجار الكريمة من وجهة نظر علم المعادن فأصاب أحياناً وجانبه التوفيق في أحيانٍ أخرى. وفيما يلي بعض الأمثلة التي جانب التوفيق فيها المحقّق.

١ ــ جاء في حاشية المحقِّق عن الياقوت: (وتَجْدُر الإشارة هنا إلى أنّ بعض هذه الأنواع خارجةٌ عن نطاق الياقوت الأحمر، وإنْ شابهه في بعض صفاته فبعض أصناف الياقوت الأصفر نوعٌ من (سيليكات الألومنيوم) ويعرف باسم (Topaz)[٣١].

ويفهم من هذا الحديْث أنّ الياقوت الأصفر هو التوباز، وهذا ليس بصحيح، فالياقوت الأصفر والتوباز بعيدان كلّ البعد عن بعضهما البعض. فالياقوت أيًّا كان نوعه ولونه هو (أكسيد الألومنيوم) وتبلغ صلادته (٩) بينما التوباز هو (سليكات الألومنيوم) و(الفلور) المائية $AL_2\ SiO_4\ (F.OH)_2$ وتبلغ صلادته (٨). ونرجّح أنّ المحقق لم يَفْطن إلى أنّ هناك بعض الأسماء الشائعة لدى الجوهريّين تختلف تماماً عمّا في علم المعادن والأحجار الكريمة وعلى سبيل المثال فإنّ (الياقوت الأصفر) يطلِق في معرض المجاز وليس الحقيقة على (التوباز) دون أنْ يكون بَيْنَهما مشابهةً في الخواص باستثناء اللون فقط[٣٢].

٢ ــ جاء في حاشية المحقِّق عن معدن (الخرين): (ولقد عَدّ الجوهريّون العرب هذا الحجر من أشباه اليواقيت، وهو أكثرها شبهاً بالياقوت البهرمان، فهو إذن نوع من المرو الوردي، (Rose Quartz)[٣٣] ولا ندري من أيْن أتى المحقّق بهذا الاستنتاج القائل بأن هذا المعدن ـ أَيْ الخرين ـ وهو من أشباه اليواقيت هو نوعٌ من المرو الوردي. فالمرو مهما كان لونه يختلف تماماً عن اليواقيت في الخصائص والصفات، وحتّى لو افترضنا أنّ بعض اليواقيت تشبه ـ في اللّون ـ بعض أنواع الْـمَرْوِ، إلاّ أنّه لا يجوز القول بحالٍ من الأحوال أنّ الياقوت ـ مَهْـمَا كان نوعه أَوْ لونه هو نوعٌ من الْـمَرْوِ، لأنّ كلاًّ منهما معدن مستقلٌّ بذاته، ولكلّ منهما خصائصه الطبيعيّة والكيميائية، وهو من الأمور الشائعة والمعروفة في علم المعادن، فلا حاجة بنا إلى تفصيل ذالك.

٣ ــ أورد المحقِّق ذيلاً في خاتمة الكتاب جاء فيه: (ولقد رأينا استكمالاً لمادّة الكتاب العلميّة واستدراكاً على ما ألّفه مؤرّخو الجواهر القدامى، أَنْ نُلْحِق الكتاب بذيلٍ يشتمل على جداول دقيقة حديثة، فيها بيانات وافية عن اسم كلّ

حجر كريم وتركيبه الْـجُزَيْئِي (الصواب أن يقال تركيبه الكيميائي وصيغته الجزيئية) ولونه وصفته. . . الخ)[٣٤] وعلى الرغم من هذا الجهد المحمود الذي يُحْسَب للمؤلف إلاّ أنّه قد وقع في بعض الأخطاء منها على سبيل المثال قوله عن الزبرجد: (الزبرجد $Be_3\ AL_3\ (SiO_3)_6$, Beryl وأنواعه الزمرد (Emerald) والأكوامارين Aquamarine. . . الخ[٣٥] والحقيقة أنّ مرادف الزبرجد في مصادر علم المعادن هو (البيريدوت (Beridote) وليس (البيرل Beryl) الذي من أنواعه الزمرد و(الأكوامارين).

ومثال آخر أنّ المحقِّق قد ذكر في أكثر من موضع كلمة (Cyanite) معرّباً إيّاها بأنها (سيانيت)[٣٦] والحقيقة أنّ التعريب السليم لها هو (كيانيت). لأن (سيانيت) ومرادفها في اللغة الإنجليزية هو (Syenite) ويطلق هذا المصطلح على أحد الصخور النارية الجوفية. أَيْ أنّ (السيانيت) صخرٌ وليس بمعدن، بينما (الكيانيت) هو أحد معادن (سيليكات الألومنيوم) الدائمة التواجد في الصخور المتحولة[٣٧].

خاتمــة: نخلص من هذا إلى القول بأنّه من الأهميّة بمكان أَنْ يكون تفسير المصطلحات العلمية في التراث العربي تفسيراً علميًّا صحيحاً. وقد يبدو لأوّل وهلة أنّ الهدف من ذلك كلّه هو اكتمال عدّة التحقيق العلميّ السليم، وعلى الرغم من أنّ هذا الهدف ليس بالشيْء القليل إلاّ أنّنا نَرْمي من وراء هذا الهدف، هدفاً أكبر وغايةً من أجلِّ الغايات نسْعَى إليها. فممّا لاشكّ فيه أنّ تفسير المصطلحات العلميّة في التراث العربي سوف يؤدّي إلى اكتشاف ماقد يتضمّنه هذا التراث من آراءٍ غير مسبوقةٍ، أَوْ نظريات علميّة مبتكرة، أَوْ تجارب رائدةٍ في مجال العلم، وبالتالي فإنّ مثل هذه الاكتشافات سوف تكون المدخل الطبيعي لتأريخ العلم العربيّ تأريخاً صحيحاً، وبيان دور العرب الرِّيَادِيّ في بناء الحضارة الإنسانية ذالك الدور الذي تجاهله مؤرّخو العلم من الغربيّين، فقد كاد ينعقد الرأي عند جمهرة المستشرقين في القرن التاسع عشر على الاستخفاف بدور العرب في بناء الحضارة الإنسانيّة، والإصرار على أنّ الحضارة الأوروبيّة لا تدين بالفضل لغير أجدادهم من اليونان والرومان والادّعاء بأنّ العرب بطبيعتهم لم يخلقوا للتفكير الأصيل المبْتكَر[٣٨].

وعلى هذا الأساس فإنّ تحقيق التراث العلميّ العربيّ تحقيقاً علميًّا سليماً ـ ونَعْنِي بالتحقيق العلميّ هنا، هو التحقيق على ضوء معطيات العِلْم الحديث ـ هو اللّبنة الأولى في صرح تأريخ العلم عند العرب.

القاهرة: جيولوجي/ مصطفى يعقوب عبدالنبي
الهيئة العامة للمساحة الجيولوجية

الهوامش:

(١) و(٢) «تحقيق النصوص ونشرها» عبد السلام هارون ص ٤٢.
(٣) و(٤) كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ـ تحقيق د. لطفي عبدالبديع ص ١.
(٥) «لسان العرب» لابن منظور ـ تحقيق عبدالله الكبير وآخرين ج ١ ص ٥٠٣.
(٦) «تذكرة أولى الألباب» داود الأنطاكي ـ ج ١ ص ٣٧.
(٧) «عجائب المخلوقات» للقزويني ـ تحقيق فاروق سعد ص ٢٥٢.
(٨) Mineralogy, E.H. Kraus, P 284
(٩) Treatis on Inorganic Chemistry, H. Remy, Vol 1, P.663.
(١٠) «أزهار الأفكار في جواهر الأحجار» للتيفاشي ـ تحقيق د. محمد يوسف حسن ود. محمود بسيوني خفاجي ص ٢٥٠.
(١١) المصدر السابق ص ١١٨.
(١٢) مجلة معهد المخطوطات العربية ـ المجلد ٢٧ ـ الجزء الأول ـ يونيو ١٩٨٣م «أسلوب الرازي في تشخيص وتدبير الجدري والحصبة» ـ د. أحمد مضر صقال ص ٢٠٧.
(١٣) المصدر السابق ص ٢٠٧.
(١٤) «حقائق الاستشهاد» للطغرائي ـ تحقيق د. رزوق فرج رزوق ص ٥٠.
(١٥) المصدر السابق ص ٧٩.
(١٦) «رسالة العلم» ـ المجلد ٤٥ العدد الأول، مارس ١٩٧٨م ـ (أثر الفكر الإسلامي في تقدم علوم الكيمياء) ـ د. أحمد مدحت إسلام ص ٢.
(١٧) و(١٨) المصدر السابق ص ٣.
(١٩) «نخب الذخائر» لابن الأكفاني ـ تحقيق أنستاس ماري الكرملي ص ٢.
(٢٠) و(٢١) «علم المعادن» ـ د. عزالدين حلمي.
(٢٢) «نخب الذخائر» ـ مصدر سابق ـ ص ٥٣.
(٢٣) «رسالة العلم» العدد ١٨ نوفمبر ١٩٨٥م ـ (الزبرجد) ـ مصطفى يعقوب عبدالنبي
(٢٤) System of Mineralogy, Dana, P.405.
(٢٥) «علم المعادن» ـ مصدر سابق ـ ص ٣٤٥.
(٢٦) «نخب الذخائر» ـ مصدر سابق ـ ص ٨٥.
(٢٧) و(٢٨) المصدر السابق ص ١٧.
(٢٩) System of Mineralogy, Dana, P.437
(٣٠) Mineralogy, Kraus, P 367 ←

مطالعات في كتاب:

«التعريف بالأنساب، والتنويه بذوي الأحساب»

(٣)

مخطوطة الكتاب:

ولكن هل هذه النسخة التي وصلت إلينا من كتاب الأشعري تمثل الصورة الصحيحة للكتاب بدون زيادة أو حذف ؟

إنها ليست على درجة من الصحة تحمل على الجزم بمطابقة نصوصها لنصوص مؤلفها. ولعل أَوَّلَ ما نلحظ من ذالك الاسم «التعريف في الأنساب والتنويه لذوي الأحساب». والصواب «التعريف بالأنساب»، كما في «كشف الظنون» - ١/ ٤٢٠ - وكما ورد في «طبقات فقهاء اليمن» هامش - ١٨٤ - (انظر صورة الصفحة الأولى).

أما كلمة (والتنويه لذوي الأحساب) فأرى صوابها: (والتنويه بذوي الأحساب) إذْ يُقال لُغَةً: نَوَّهْتُ بِالْأَمْر، ونَوَّهْتُ باسم الرجل، أي رَفَعتُ ذِكْرَهُ، والمقصود هنا التنويه بأقدار المذكورين في الكتاب ورفع ذكرهم.

ولا داعيَ لإيرادِ جمل كثيرة محرفة في هذه المخطوطة مما يحمل على الجزم بِوقوع تحريف في كثير من عباراتها.

---

(٣١) «الجواهر وصفاتها» لابن ماسويه - تحقيق عماد عبدالسلام رؤوف ص ٤١.
(٣٢) Glossary of Geology, P.774
(٣٣) «الجواهر وصفاتها» - مصدر سابق - ص ٥١.
(٣٤) المصدر السابق ص ٧٦. (٣٥) المصدر السابق ص ٧٨.
(٣٦) المصدر السابق ص ٨٤، ص ٩٤.
(٣٧) A Textbook of Mineralogy, Dana, P. 617
(٣٨) «في تراثنا العربي الإسلامي» - د. توفيق الطويل ص ٥٨.

الصفحة الأولى

وهناك إضافةٌ جديرة بالانتباه وردت في آخر النسخة ـ ص ٢٠٧ ـ ونصها: (قال يوسف بن محمد البكري الناسخ لهذا الكتاب: قد اجتهدتُّ في ضبط أنساب القبائل، وأمهات البيوت والفروع والعمایر، وضبطتُّ المؤتلف والمختلف فيه، اجتهاداً، واحترازاً من زلل، وزيغٍ وعصبية وخلل، في نسبٍ، فما شَذَّ من غلطٍ أو سهو فأنا أستغفر الله العظيم من ذالك، بعد اجتهادي وحرصي على ذالك، وكان الفراغُ من نسخي له يوم الجمعة لسبعة أيام خلتْ من شهر رجب العظيم سنة سبع وعشرين وست مئة سنة من الهجرة النبوية، وعلقت بعد ذالك الكتاب تعاليقَ أُخَرَ ليست من الكتاب، وإنما علقها المصنف فاستحسنتها فيه) إذَنْ يُوسفُ هذا له أَثَرٌ في هذه النسخة من حيثُ ضَبْطِ المؤتلف والمختلف في أنساب القبائل، وهو كثير في هذا الكتاب.

ولاشك أن عمل يوسف هذا يُعَدُّ متمماً لما وقع من نقص، ولعل أمانته العلمية هي التي دفعته إلى إلحاق تعاليق في آخر الكتاب كان المصنف ألحقها فاستحسن هذا الكاتب إلحاقها.

ويظهر أن يوسف بن محمد البكري كتب نسخته هذه لخزانة أحد وزراء اليمن في ذالك العهد، فقد جاء في طرة المخطوطة ما نصه: (نسخ برسم خزانة مولانا سيد الوزرا، وتاج الكبرا، وزير اليمنين، ذي الرياستين، نور الدنيا والدين، علي ابن عمر بن أبي القاسم بن معد؟ بن الشكير؟ الركَبِي الأشعري).

ولا أستبعد أن يكون علي بن عمر الذي نُسِخ الكتاب برسم خزانته هو القاضي أبو الحسن علي بن عمر بن محمد بن علي بن أبي القاسم الحميري، ولكن هذا كان قاضياً في مدينة إبِّ، على ماذكر الخزرجي في «العقود اللؤلؤية» ـ ١/٦١ ـ وقد توفي سنة (٦٣٣هـ) أي بعد نسخ يوسف بن محمد للكتاب بست سنوات سواء صح هذا أو لم يصح. فهذه النسخة التي بين أيدينا من مخطوطات القرن الثامن الهجري، كما في ص ـ ٢٠٧ ـ: (تم الكتاب بعون الله وتيسيره في يوم الثلاثاء في شهر المحرم الثامن والعشرين منه أول شهور سنة خمس وثمانين وسبع مئة).

على أنه ألحق بالنسخة أوراق يتقدم تاريخها على هذا التاريخ منها ـ

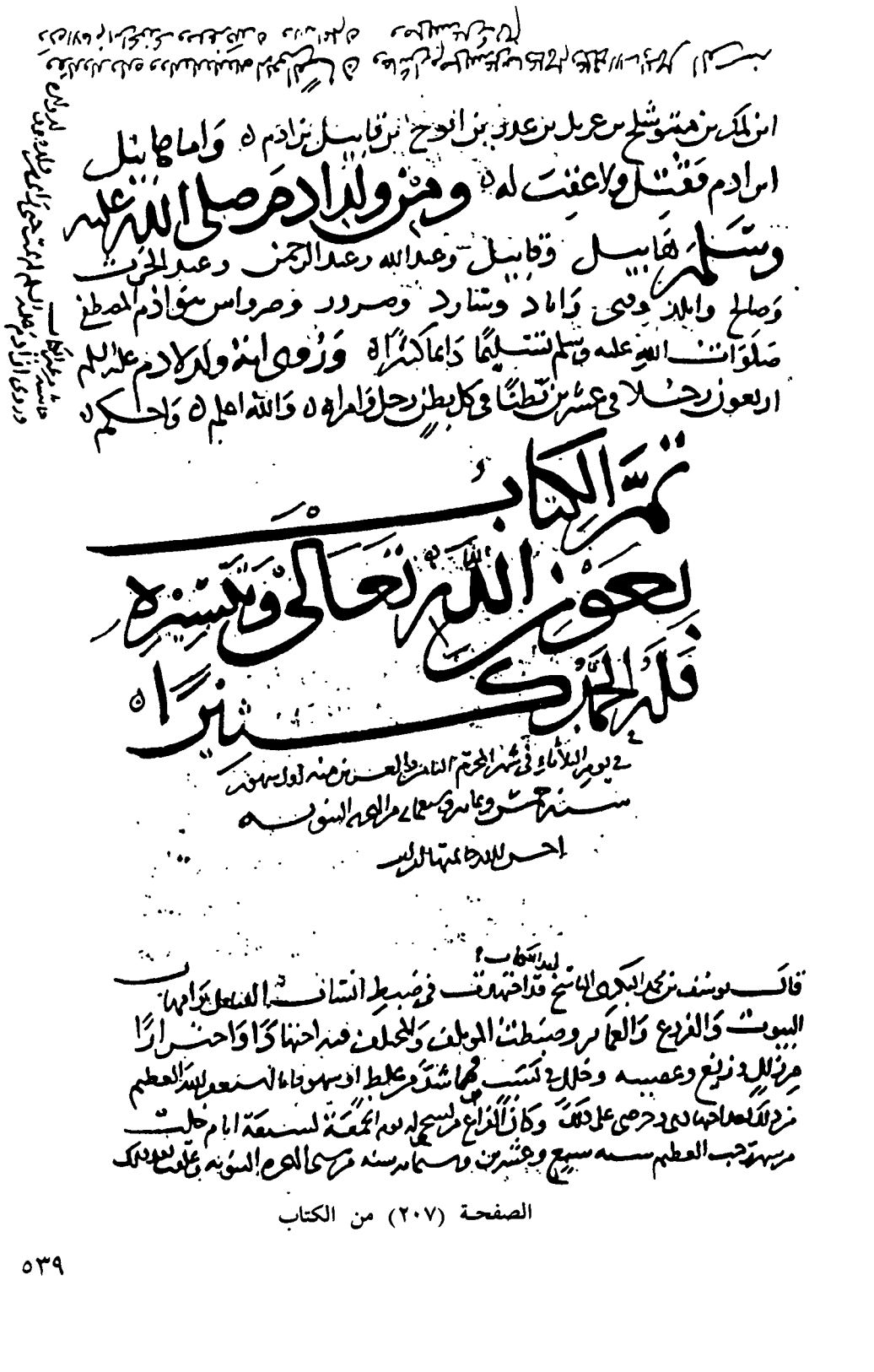

ص ٢٠٩ ـ: (تم كتاب «بلغة المسافر، في منهج الأكابر . . . في اليوم الحادي والعشرين من شهر رمضان . . . أحد شهور سنة أربع وثمانين وسبع مئة)، على أن

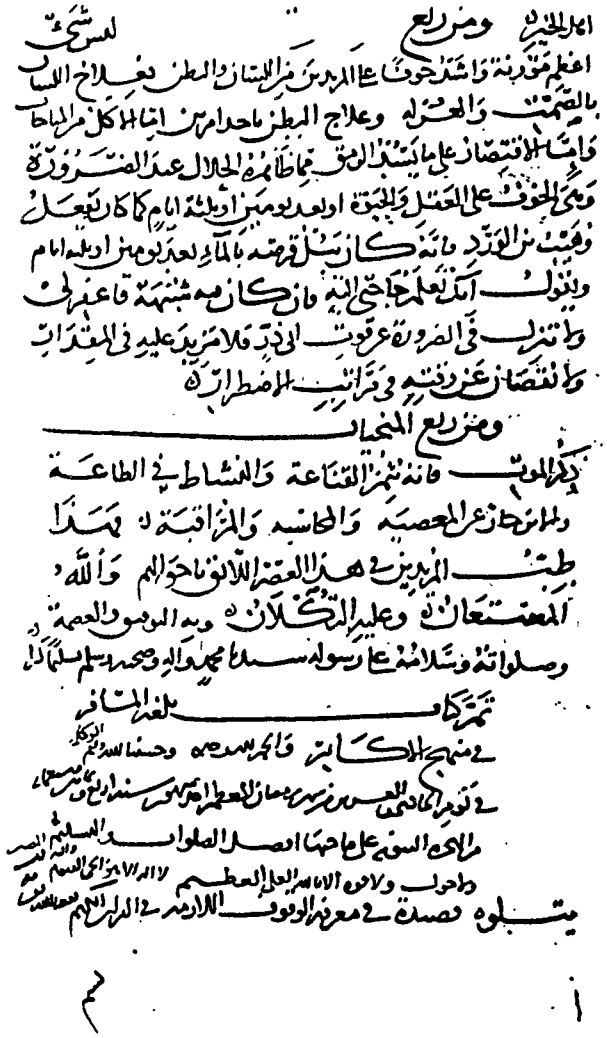

الصفحة (٢٠٩)

هذا الكتاب ساقط من هذه النسخة، وفي صفحة ـ ٢١٦ ـ في آخر أرجوزة في معرفة السور المكيات والمدينيات: (تمت والحمد لله في يوم الجمعة حادِي وعشرين شهر رمضان المعظم أحد شهور سنة أربع وثمانين وسبع مئة).

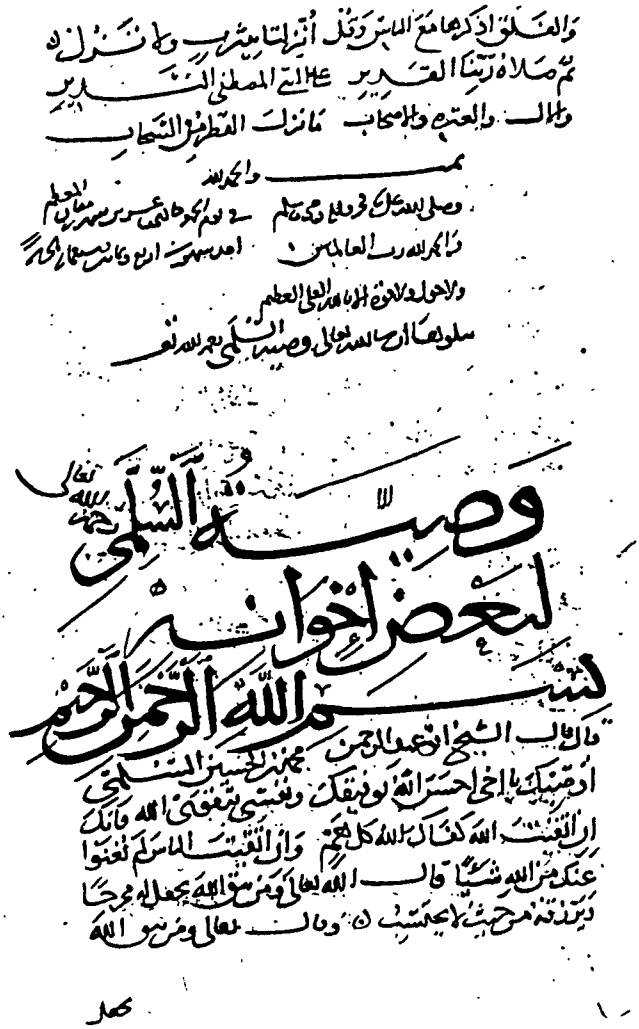

الصفحة (٢١٦)

وما أرى هذه الأوراق إلا أنها كانت في الأصل في أول النسخة، ووضعت في آخرها عند التجليد. وخلاصة القول أن هذه النسخة وإنْ قدمت لنا كتاباً يُعَدُّ أَصْلاً من أصول علم النسب لقبائل تهامة وماحولها ـ إلاَّ أنها كثيرة التحريف والتصحيف، وفي عباراتها نقصٌ سَبَّبَ تداخُلَ الأنساب بعضها في بعض، وحذف أسماء كثير من الفروع والأعلام المشهورة.

من هنا تبدو الصعوبة في تحقيقها، بحيث لا يتمكن من ذالك إلا واسع

الاطلاع في علم النسب، مع معرفة وإلمام تام بأنساب القبائل عامة والتهامية بصفة خاصة.

وليس من المستبعد العثور على نسخة أوثق من هذه فقد كان الكتاب معروفاً لدى بعض علماء تهامة كما تقدم النقل عنه في الكلام على نسب قبيلة عَسِير حيث ورد ذكره في رسالة «قمع الـمُتَجَرِّي» للشيخ حسن بن عبدالله الضَّمَدِي من علماء «المخلاف السليماني» في القرن الثاني عشر الهجري.

وفي كتاب «حول مصادر التاريخ الحضرمي» للمستشرق آر. بي. سرجنت، ترجمة الدكتور سعيد عبدالخير النوبان، ونشر (جامعة عدن) إشارات إلى كتاب الأشعريِّ هذا، ففي الكلام على (نبذة) أو (كتاب محمد بن سعد بن أبي شكل (شكيل) أنه اقتبس من «الفرج بعد الشدة» ومن «تعريف الأشعري» الذي لايزال مخطوطاً، وذكره بروكلمان في كتابه ـ الملحق ١ ــ من ٥٥٨ ــ وقال: بأنه كان مصدراً لأبي شكل (شكيل). على أن من علماء الأنساب التي ترد في بعض المؤلفات الحضرمية عالماً آخر، هو أبو الحسن الأشعري الذي ورد عنه في كتاب السيد عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف ما نَصُّهُ ــ ١٣ ــ: وعَنْ بارضوان عن «شجرة الأنساب» لأبي الحسن الأشعري أنَّ بَنِي دَغَّار بِمُدَوَّرة. انتهى. وقد يكون هاؤلاءِ متأخرين عن زمن صاحب «التعريف بالأنساب» إذ هم من أهل القرن الخامس أو مابعده ـ كما يفهم من كلام السقاف ـ.

وهاهو ما حاولت تصحيحه مما ورد في المطبوعة من الأخطاء الكثيرة، منها ماقد يكون ناشئاً عن قراءة المخطوطة قراءة غير صحيحة، ومنها ماهو من أخطاء المخطوطة نفسها، ومنها ماهو من خطإ المحقق، ومنها ماهو نقص في المخطوطة يُخِلُّ بالمعنى، ولاشك أنه من فعل الناسخ، وقد أكملته، كما صححت أسماء محرفة في المخطوطة نفسها بالإضافة إلى تصحيح أخطاء المطبوعة، ومما تجب ملاحظته أن المخطوطة كثيرة الخطأ والتحريف بدرجة تستلزم التثبت والوقوف عند كثير من الكلمات التي ترد فيها، وهو يستلزم مع طول وقتٍ فراغًا وقراءة متأنية، وهذا مالم أتمكن منه، فتجاوزت عن كلمات كثيرة استشكلتها ولم أهتد إلى وجه الصواب فيها، ولعل الله يُهَيِّيءُ نسخة أخرى خيراً منها.

(للبحث صلة) **حمد الجاسر**

ملاحظات على كتاب:

رحلة إلى بلاد نجد

[لليدي آن بلنت، تعريب الأستاذ محمد أنعم غالب، نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ـ الرياض سنة ١٣٨٩هـ].

١ ــ ص : (٣١ و٣٢) الهامش: (ابان حكم طلال بن عبدالله بن رشيد الحاكم الثاني في الأسرة الرشيدية (من سنة ١٢٦٣هـ إلى سنة ١٢٨٥هـ) . . الخ).

وطلال بن رشيد توفي في (١٧ ذي القعدة ١٢٨٣هـ) كما نقل ذلك أحد الرحالة الغربيين من شاهد قبره[1].

وعثرت على رسالة قديمة بحوزة (الشيخ عبداللطيف الطلق) من أهل (تيماء) بخط (متعب بن عبدالله بن رشيد) مؤرخة في (١٩ جمادى الأولى ١٢٨٤هـ) وجاء فيها العبارة التالية: (من متعب بن رشيد إلى مطلق سلام وبعد طلال الله يرحمه وكلك على عيال العوشزي. . الخ).

وهذا شاهد آخر على أن (طلال بن رشيد) توفي قبل سنة ١٢٨٥هـ !!

٢ ــ ص: (٦٣): (ولكن أنبل الأسر هي أسرة محسن بن دره شيخ الجوف السابق)! وقد تكرر هذا في عدة صفحات لاحقة .

وصحة الاسم: (ابن درع) بالعين المهملة: قال الشاعر (مفضي العطية):

الضلع مـاهـو ضلع ابن درع الضلع ما ترقاه كود بصعيعـه!

٣ ــ ص: (١١٦): (يرأسهم رجاء نفسه شيخ بطن الأرفدي ؟) وصحته: الرفدي رهط ساجر الرفدي.

٤ ــ ص: (١٢٤): (وكان للزناتي بنت باهرة الجمال اسمها سفيري)!!

وسفيري ترجمة خاطئة (للصفيرا) على هيئة التصغير من (الصفراء) وهو لقبها الذي تعرف به في (نجد) أما اسمها فهو: سعدى بنت خليفة الزناتي الذي ذكره ابن خلدون في تاريخه .

٥ ــ ص: (١٥٩): (مات عبدالله بن رشيد عام ١٨٤٣).

وهذا غير صحيح فقد كانت وفاة عبدالله بن رشيد في (ايار سنة ١٨٤٧) الموافق (جمادى الأولى ١٢٦٣).

وكذا ورد خطأ في كتابات بعض الأجانب أن عبدالله بن رشيد توفي سنة ١٨٣٧ .

٦ ــ ص: (١٦٠): (وترك (طلال) خلفه عدة أبناء أكبرهم بندر وأخوين متعب ومحمد إلى جانب عمه عبيد وكان شيخاً طاعناً في السن آنذاك وعدة أعمام).

والمعروف أن عبدالله والد طلال لم يكن له سوى عُبَيْد وعبدالعزيز ذلك الفتى الذي شهد مع أخيه عبدالله معركة (الحلّة) بالعراق وقتل فيها، وأخ ثالث لأمهم من أسرة (آل جراد) التميمية النسب وهو الذي قتل في وقعة بقعاء سنة ١٢٥٧هـ .

٧ ــ ص: (١٦٠): (وبموت (متعب بن رشيد) المفاجئ إلى حدٍّ مَّا ، ثار نزاع بالنسبة لمن يخلفه. وبندر كان في العشرين من عمره أعلن أميراً وعاضدته الأسرة كلها إلا محمد وحمود) .

والذي حدث فعلاً أن متعباً مات مقتولاً بيد (بندر الطلال) في رمضان سنة ١٢٨٥هـ وكان ذالك فيما يقال بتدبير من بعض أفراد الأسرة، ولأن الوفاة لم تكن طبيعية فلم يكن هناك أصلاً فرصة للتفكير فيمن يلي الإمارة بعد متعب، لأن بندراً وليها بمجرد أن قتل عمه .

٨ ــ ص: (١٦١): (إلا أنه (محمد) ظل يتآمر من أجل الشياخة يدبر الدسائس مع الشرارات). وبعد ذلك: (حدث ذات يوم أن قافلة من الشرارات

جاءت إلى حائل لشراء تَمْرٍ ، ووضعت نفسها تحت حماية محمد بدلاً من الأمير ، أغضب هذا بندراً فاستدعى محمد وسأله عن معنى هذا الصلف (هل أنت الشيخ أو أنا)؟ ثم امتطى مهره وانطلق مهدداً بمصادرة جمال الشرارات فقد كانوا مخيمين تحت أسوار حائل، إلا أن محمداً تبعه وثار نزاع عنيف بينهما فاستل محمد شبريته وطعن ابن أخيه. الخ).

وبصرف النظر عن الرواية الشاذة للقصة، فالقافلة التي جاء بها (محمد) كانت لأفراد من قبيلة (الظفير) ولم يكونوا قادمين للشراء من حائل، وإنما جاءوا ومعهم حمول رز وغيره، كان محمد اشتراها، واستأجرهم لنقلها إلى حائل، ولأن العلاقات مع (الظفير) في تلك الفترة كانت علاقات حرب فقد تطلب أن يكونوا في (وجه) أو حماية أحد أعيان المدينة، ومنحهم محمد (وجهه) مما أغضب بندراً وأقسم أن يصادر جمالهم فكان ماكان .

٩ ــ ص: (١٦٢): (كان له بعض أبناء عم، هم أبناء جبر ، وهو أخ أصغر لعبدالله وعبيد، فأرسل إليهم وأتوا إلى القلعة منزعجين إلى حد مَّا . الخ).

وهاهنا وقفتان:

الأولى: أن جبراً حسب ماذكر (ضاري الفهيد) في نبذته أخ لعلي بن رشيد، وعم لعبدالله وعُبَيْد، وليس صحيحاً أنه أخ أصغر لعبدالله وعبيد، لأن عبدالله تزوج منيرة بنت جبر ، وهي أم أولاده طلال ومتعب وهيا ورثعة، ولو صح قول (الليدي) أن جبراً أخ لعبدالله لكان عبدالله في هذه الحالة تزوج ابنة أخيه وهذا مستحيل بالطبع .

والثانية: أن حادثة مقتل أبناء جبر ليس لها علاقة بمقتل أبناء طلال، كما قد يفهم من رواية (الليدي) وإنما كانت ذالك، وبسبب وشاية بلغت محمداً عنهم والله أعلم .

١٠ ــ ص: (١٦٧): (وهو شيخ من شمر من آل الراهس).
والظاهر أن ذلك تحريف (لآل رخيص).

١١ ــ ص: (١٨٥): (قابلنا حوالي عشرين رجلاً حسني الهندام، مما جعل دليلي يهمس: أولاد الأمير).

هذا مع أن الكاتبة كان لديها فكرة مسبقة عن عقم الأمير، وأنه لم يرزق بولد أبداً ويبدو هذا في قولها ص (١٦٣): (فمع أن محمداً تزوج مراراً وتكراراً فإنه لم ينعم عليه بولد ولا حتى ببنت).

١٢ ــ ص: (١٩٣): (وتقاسم لؤلؤة وعمشا امتياز عدم مغادرة المدينة وبذلك تتقدمان دوشة. الخ).

ولؤلؤة هي أخت حسن المهنا أبا الخيل لأبيه، أما عمشاء ويقال لها في الغالب عموشة فهي بنت عُبَيْد الرشيد، وأخت حمود العبيد لأبيه، ودوشة بنت ابن جبرين من المفضل من اليحيا من عبدة من شمر.

١٣ ــ ص: (١٩٤): (تركية بنت جدران).
وصحة ذلك: تركية بنت جدعان بن مهيد (مصوّت بالعشا).

١٤ ــ ص: (١٩٧ و١٩٨): (والزوجتان الثالثة والرابعة من الأقارب بنت طلال وبنت سليمان).

(وزرت عائلة (سليمان) عم حمود وسليمان عرفته في البلاط وهو يصبغ لحيته بالحناء ويحب الكتب ووجدته غارقاً بينها في غرفة الاستقبال عندما ذهبت لزيارة زوجاته وكنت آمل أن محادثته ستكون مفيدة، لولا أنه بمجرد مابدأ من الحديث دخلت زوجته (قوت) مندفعة يتبعها جمهور من النساء فجمع كتبه ومخطوطاته وخرج مسرعاً).

(وجاءت (زهوة) وهي زهوة أخرى بنت سليمان تحمل طفلها).

والحقيقة أن (سليمان) الذي تعنيه الكاتبة ليس عمًّا (لحمود العُبيد) بمعنى أخي الأب، وإنما هو والد زوجته وهو (سليمان بن مبارك القريشي) وزوجته (قوت بنت عبدالرحمن الكريشان) وكان (حمود العبيد) تزوج ابنتهما (زهوة السليمان القريشي) فقيل: إنها أخت من الرضاع لزوجته (بنية المتعب العبدالله الرشيد) فطلق حمود

(زهوة) وتزوجها بعده أخوه (فهيد العُبَيْد الرشيد) فولدت له (إبراهيم الفهيد العبيد).

أما تعبيرها عن (زهوة) بأنها زوجة من الأقارب فذالك لأن (سليمان القريشي) أخ لسلمى بنت محمد بن عبدالمحسن آل علي، والدة الأمير محمد العبدالله الرشيد، من أمها وأمهما (شماء العيسى) من (الصاهود) من أسرة (القوعة) من (الجعفر) من (عبدة) من (شمر) فسليمان القريشي خال لمحمد بن رشيد.

قال (حمود العبيد الرشيد) يخاطب (سليمان القريشي)[٣]:

يَامَنْ يُوَدِّي الْعِلْم لِـي يَمَّ أَهَلْ نَوْفْ ... هَلَ الحَمِيْرَ اللِّيْ كَـمَا وصْفِ غِزْلَانَ
إنْ جِيْتهم سَلِّمْ عليهُمْ علَى الشَّوْفْ ... خصِّصْ بِهَا (قوْتٍ) ورَجْلَهْ (سليمان)
حبّي لَهُمْ ماهُو عَلَى شَانْ مَصْرُوْف ... مانا من اللِّي حبِّهم كُوْد بَاثْمَان
ودٍّ لَنَا مِنْ خِلْقَةَ الجِلْدْ والصُّوف ... (لمحمدٍ خال وَلِـي زَادْ خِلاّن)

وعجز البيت شاهد على ما سبق.

وقد تسبب هذا اللبس في الاعتقاد أن لعبدالله وعبيد أخ اسمه (سليمان)؟.

قال أبو عبدالرحمن بن عقيل: (وذكرت الليدي آن بلنت أن لحمود بن عبيد عمًّا اسمه سليمان، طالب علم وعلى هذا يكون سليمان ابناً لعلي)[٤].

١٥ ــ ص: (٢٦٢): (بقعا أوطيبة اسم: لقد كان المحل يسمى دائماً (نقعة) هكذا أخبرنا حتى سنوات قليلة حينما ظن أن الاسم كان سيء الحظ).

والكاتبة هنا تلفت النظر إلى نقطة مهمة تفسر ورود اسم (بقعاء) في عدد من المؤلفات مثل «معجم البلدان» وكتاب نصر و«مسالك الأبصار» بالنون بدل الباء (نقعاء)[٥].

١٦ ــ ص: (٢٧١): كانت مطير أحياناً تسمى (الدوشان).

ومعروف أن (مطير) قبيلة و(الدوشان) جمع (الدويش) هم زعماء قبيلة (مطير).

الشعر والشعراء

في «التعليقات والنوادر» للهجري

ـ ٨ ـ

٦٣ ـ حَرْدَبَـةُ بن أبي المزعوق الحنفـي

ذكر[١] الْهَجَريُّ أثناء كلامه على بطون بني سُحَيْمٍ الحنفيِّين أن بينهم وبين بَلْعَنْبَرِ بنْ عَمْرِو بن تميم بلاء وخاصة بنو الحصين رهطُ عُبَيْدِ بن أَيُّوبَ أَلِيْفِ الذِّيب فقال:

١ ـ وَلَا خَيْرَ في الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَنَا ... بِـقُـرَّانَ يَـوْمٌ لَاتُـوَارَى كَـوَاكِبُـهْ

فَرَدَّ عليه حَرْدَبَةُ بْنُ أَبِـي الْمَزْعُوْقِ أحدُ بني عُبَيْدِ من عَمْرِو بن سُحَيْمٍ:

١ ـ تَمَنَّيْتُ طَـوْداً مِنْ حَنِيْفَـةَ شَـامِخـاً ... مَنِيْـعَ الذُّرَى صَعْبٌ عَلَيْـكَ مَـوَاثِبُـهْ
٢ ـ فَهَلَّا غَدَاةَ الْفَقْـيِ إِنْ كُنْتَ صَادِقاً ... وَقَفْتَ وَبَـطْنُ الْفَقْيِ تَجْرِي مَـذَانِبُـهْ
٣ ـ دَمـاً مِنْ حُصَيْنٍ أَمْـطَرَتْهُ سُيُـوْفُنَا ... عَلَيْـهِ فَهُـوْ يَسْتَنُّ بِـالْمَوْتِ حَـاصِبُـهْ

---

(١) (٣٠٠ هـ). ويفهم من معاصرة حَرْدَبَةَ لِعُبَيد بن أيوب العنبري أنه متقدم على عصر الهجري فالعنبري ـ كما يفهم من ترجمته ـ شاعر أُمَوِيٌّ. وقُرَّانُ هو في أعلى وادي مَلْهَمَ ـ البلدة المعروفة الآن ـ والْفَقْيُ هُوَ وادي سُدَيْرٍ الواقع شمال قُرَّان، وهو معروف.

→ الحواشي:

(١) (Hail Oasis City of Saudi Arabia. 522.

(٢) عن (أحمد بن صالح القريشي) أحد نبهاء هذه الأسرة والذي نقله عن كبار أسرته و(القراشا) من (بني خالد) و(الكريشان) فرع منهم.

(٣) مخطوطة الصويغ (١٣٠٨).

(٤) «ديوان الشعر العامي بلهجة أهل نجد»: ١٠٩/٢.

(٥) انظر «المعجم الجغرافي» (شمال المملكة): ٣.

٦٤ ــ الْحَرَشِيُّ

الْحَرَشِيُّ[1]:

١ ـ خَلِيْلَيَّ لَوْ سَيَّرْتُمَا بَيْنَ رَزَّةٍ وَبَيْنَ الصَّفَا مِنْ شُوْطَ فَالْمُتَمَانِيَا

رَزَّةُ وشُوْطُ : هَضْبتان من أَكْنَافِ أَجَإٍ .

وأنشدني[2] لِلْحَرَشِيّ يمدح آل مُنَيْنٍ رهط الْحر (؟) من بني مالك، ثم أحد بني ربيعة عن[3] عوف بن عامر بن عقيل، وجاوَرَهُمْ فَأَحْمَدَ:

١ ـ رَحَلْنَا وَوَدَّعْنَا بِطِخْفَةَ[4] جِيْرَةً مِنَ آلِ مُنَيْنٍ كُلُّ جَارٍ مُوَدِّعُ

٢ ـ سَوَاءٌ أَجَاوَرْتَ الْمُنَيْنِيَّ أَمْ دَجَا عَلَيْكَ الْحَيَا فِيْ كُلِّ صَيْفٍ وَمَرْبَعِ

٣ ـ لَكَ اللهُ لَايَأْتِيْكَ ضَيْمٌ وَلَا أَذًى وَلَا ذِلَّةٌ مَادَامَ يُعْطِيْ وَيَمْنَعُ

من الدَّفْعَةِ والمنع، لا من حرمان الطالب.

٦٥ ــ الحسين بن جابر المريحي

نَادِبَةُ بني سَعْدِ بن زَيْد، وقَتَلَهُمْ بَنُو قُشَيْرَ وعُقَيْل، وقائدُ الجيش المختار بنُ وَهْبٍ الْعَبِيْدِيُّ[1]:

١ ـ هَيَا جَبَلَيْ[2] وَيَادُمْنَتَيْهِمَا وَيَالَكَ مِنْ دَاوِيَّةٍ مَا أَجَنَّت

---

(١) (١٢٤م) الحرشيُّ منسوب إلى الْحَرْيش ـ واسمه معاوية بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من هوازن، وهم قَبِيْلٌ ذو فروع، ومنهم أبو المِعْضَادِ الحرشي روى عنه الهجري (٤٧١م) ولهم بلاد واسعة في الأفلاج.

(٢) (١٧١م) والمنشد غير واضح لتداخل مايورد من الأسماء وآخر مُسَمَّى: الكلابي.

(٣) كذا ولعل الصواب (من عوف).

(٤) في الهامش فوق طخفة (بَيْدَان) وهما موضعان مذكوران في (قسم المواضع).

(١) (١٠٥م) والمختار قال عنه (٦٥م): أحد بني عبيدة ثم أحد بني عُطارد، من معاوية بن قشير، أورد له رجزاً سيأتي في محله وربيعة في نسبه هو جد قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وفي هامش مخطوطة (مغلْطاي) من «معجم الشعر» للمرزباني: مختار بن وهب القشيري أنشد له الهجري شعراً في نوادره. انتهى.

(٢) كذا بياض في الأصل.

٢ ـ أَجَنَّتْ كَخِيْطَانِ القَنَا طَلَبَ الْغِنَى إِذَا مَا الْحُرُوبُ اللَّاقِحَاتُ اشْمَعَلَّتِ
٣ ـ فَإِنْ تَكُ زَلَّتْ نعل سَعْدٍ فَرُبَّمَا عَلَوْا بِالسُّرَيْجِيَّاتِ قَيْساً فَذَلَّتِ

وفيها يقول الحُسَيْنْ بن جابر المُرَيْحي يمدَحُ المختار:

١ ـ غداةَ يَسُوْسُ رَأْيَ بَنِي قُشَيْرٍ أَبُوْ وَهْبٍ وَيَأْمُرُ بِالصَّوَابِ
٢ ـ يُدَانِيْ بَيْنَهُمْ وَيَلِيْنُ إِرْباً لِيَحْمِلَهُمْ عَلَى قُحَمٍ صِعَابِ
٣ ـ عَبِيْدِيُّ الصَّمِيْمِ عُطَارِدِيٌّ تَمَكَّنَ مِنْ رَبِيْعَةَ فِيْ الرَّوَابِي
٤ ـ غَذَتْهُ جَعْفَرٌ وَبَنُوْ قُشَيْرٍ كِلَا الْجَدَّيْنِ صَحَّ بِغَيْرِ عَابِ

وتمثل ببيتِ الحُسَيْنْ بن جابرٍ الْمُرَيْحِيِّ[٣]:

١ ـ هَلْ يُرْجِعَنَّ لَكَ الصِّبَا فِيْ عَهْدِهِ طُوْلُ الْعَضِيْضِ عَلَيْهِ بِالإِبْهَامِ

وأَنشدني لِحُسَيْنْ بن جابرٍ، ومرَّ فَرَمَتِ امرأَتُهُ بسهامٍ تلعب معه، وكان يحبها[٤]:

١ ـ يَاصَاحِبَ النَّبْلِ تَبْدُوْ لِيْ تَرَائِبُهُ نَفْسِيْ بِكَفَّيْكَ فَانْظُرْ كَيْفَ تُوْلِيْهَا
٢ ـ عَيْنَاكَ قَبْلَ احْتِمَالِ الْحَيِّ لَمْ تَدَعَا شَيْئاً فَحَتَّامَ يَاذَا الْقَوْسِ تَرْمِيْهَا
٣ ـ أَشْرَكْتُ بِالله يَاذَا النَّبْلِ مَااهْتَبَشَتْ نَفْسِي مِنَ النَّاسِ شَيْئاً عَنْكَ يُسْلِيْهَا

وللحسين[٥] بن جابر الْمُرَيْحِيِّ في حربهم وحرب بني سعد بن زيد بن تَمِيم، من كلمته:

---

(٣) (١٢٥م): وأقرب راوٍ مذكور أبو الميمون يحيى بن عبادة بن جحاف بن عَمْرو بن عبدالله بن هانىء بن عَمْرو بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة. والمُرَيحي نسبة إلى مُرَيْحٍ قال الهجري (٦١م): فَصَائل معاوية بن قشير: عَبيدة، وخزيمة، ومُرَيْح، وسَامَة، والْحَجَّاج، وعَمْرٌو، كلهم أهل الرَّيْب، وهم بنو معاوية. انتهى والرَّيْبُ يعرف الآن باسم الرين، وأكثر سكانه عَبِيْدَة، وفيه واد يعرف بالحجَّاج. قد يكون مُسَمًّى باسم الفَصِيلة القُشَيْرِيَّة. ولكن سكان الريب (الرين) ينتسبون إلى عَبيدة قحطان (مَذحج) ولعل هذاناشيء عن اتفاق الأسماء وهو خطأ يحدث كثيراً بين القبائل كما أوضح الهمداني في «صفة جزيرة العرب».

(٤) (٢٦٧م) وأقرب مذكورٍ من الرواة أَبُو الْغَطَمَّش الْمُعْرِضِيُّ أحدُ بني معاوية بن حزْن بن عُبادة بن عُقَيْل كما في (٣ م).

(٥) (٣٠٤م).

١ ـ وَيَوْم (أَهْوَى) ذَبَحْنَا تَحْتَ رَايَتِنَا عِمْرَانَ ذَبْحَ سَلِيْطِ الشَّفْرَةِ الْحَمْلَا
٢ ـ يَارُبَّ شَمْطَاءَ مِنْ سَعْدٍ تَعُدُّ لَهُمْ تَرْجُو إِيَابَ ابْنِهَا فِيْهِمْ وَمَا قَفَلَا
٣ ـ لاَقَى بِأَيْدِيْ قُشَيْرٍ يَوْمَ (ذِيْ يَقَنٍ) ضَرْباً وِحَاءً وَطَعْناً يَخْضِبُ الْأَسَلَا
٤ ـ ضَرْباً وِحَاءً بِأَيْدِيْنَا يُشَيِّعُهُ طَعْنٌ كَوَلْغِ سِبَاعِ الْهَضْبَةِ الْوَشَلَا
٥ ـ تَنْهَدُّ سَعْدٌ وَتَرْجُو أَنْ نَخِفَّ لَهَا وَلاَ تَرَى خِفَّةً مِنَّا وَلاَ وَهَلَا
٦ ـ نَرْسُو إِذَا حَمَلُوْا فِيْنَا وَنَضْرِبُهُمْ ضَرْباً تَرَى فِيْ تَصَابِي مَيْلِهِ هَدَلَا
٧ ـ وَالْخَيْلُ تَحْجِلُ فِيْ أَقْطَانِ رَيِّقِنَا شُعْثاً كَأَنَّ بِهَا مِنْ لَقْوَةٍ مَيَلَا
٨ ـ وَالدَّارِعُوْنَ عَلَى أَثْبَاجِ قُرَّحِهَا مُسْتَحْنِطِيْنَ لَيَوْمٍ يُسْقِطُ الْحَبَلَا

ولحسين[٦] في بني جَعْدَة:

١ ـ أَيَا إِخْوَةً قَدْ أَلْزَمَتْهُمْ عَبِيْدُهُمْ حُرُوْباً وَتَقْصِيْراً إِذَا الْحَرْبُ شَمَّرَا
٢ ـ إِذَا مَاجَنَوْا حَرْباً عَلَيْهِمْ عَشَوْزَناً بَأَيْمَانِنَا قَامَتْ تُشَيِّدُ عَسْكَرَا
٣ ـ وَلَيْسَ بِنَاءُ الطِّيْنِ يَدْفَعُ عَنْهُمُ إِذَا الْخَيْلُ جَالَتْ بِالْقَنَا وَتَكَسَّرَا
٤ ـ طَوَامِحِ بِالْفِتْيَانِ مِنْ دُوْنِ عَسْكَرٍ تُثِيْرُ عَجَاجاً بِالسَّنَابِكِ أَكْدَرَا
٥ ـ وقد نَشَبَتْ[٧] النَّبْلُ وَالْقَنَا وكُلُّ سُرَيْجِيٍّ إِذَا هُزَّ أَنْهَرَا
٦ ـ قَتَلْنَا خِيَارَ الْقَوْمِ مِنْهُمْ وَأَفْلَتَتْ لِئَامُهُمْ تَبْغِيْ مِنَ الْمَوْتِ مَحْجَرَا
٧ ـ وَلَكِنَّ أَوْلاَدَ الْخَوَادِمِ كُلَّمَا رَأَتْ سَلَّةً لاَ تَسْتَحِيْ أَنْ تُنَفَّرا
٨ ـ وَصَافَحَنَا بِالْبَيْضِ كُلُّ مُهَنَّدٍ تَنَقَّى أَبُوْهُ أُمَّهُ وَتَخَيَّرَا
٩ ـ مِنَ الْبَاسِلِيِّيْنَ الْحِسَانِ وُجُوهَهُمْ إِذَا عَارِضُ الْمَوْتِ اسْتَهَلَّ وَأَمْطَرَا

وأنشدني لِلْمُرَيْحِيّ[٨]:

١ ـ فَمَا رَوْضَةٌ يَسْقِي النَّدَى دَبَرَاتِهَا لَهَا بَيْنَ أَجْمَادٍ تَقَابَلْنَ مِذْنَبُ
٢ ـ مُطِيْفٌ بِشَطَّيْهَا خُزَامَى وَحَنْوَةٌ وَمُعْتَلِجٌ مِنْ طَيِّبِ النَّبْتِ عُزَّبُ[٩]

---

(٦) (٣٠٦هـ). (٧) (بياض في الأصل).
(٨) (٢٥٣م) لَيْسَ في كلام الهجريِّ الذي بين يديَّ مايدل على أنَّ المريحيَّ، صاحب هذا الشعر هو حسين بن جابر. ولكنَّ حسيناً هو أبرز شاعر مريحي في كتاب الهجري وأَقْرَبُ رَاوٍ للشعر لأبي علي أبو الْغَطَمَّشِ الـمُعْرِضي الذي قال عنه ـ ٣م ـ: أحد بني معاوية ببن حزن بن عبادة بن عقيل. فهو من قوم الشاعر.
(٩) في الأصل (عزف).

٣ ـ إِذَا جَادَ فِيْهَا كَوْكَبٌ شَجِيَتْ بِهِ مَذَانِبُهَا مِنْ رِهْمَةٍ جَادَ كَوْكَبُ
٤ ـ أَتَتْنَا بِرِيَّاهَا جَنُوْبٌ مُطِلَّةٌ مِنَ الصُّبْحِ تُهْدِيْهَا هَذَالِيْلُ لُغَّبُ
٥ ـ جَنُوْبٌ تُسَامِي أَوْجُهَ الرَّكْبِ، نَسْمُهَا لَذِيْذٌ ومَسْرَاهَا مِنَ الْأَرْضِ طَيِّبُ
٦ ـ بِأَطْيَبَ مِنْ رَيَّاكِ حِيْنَ يَزُوْرُنَا خَيَالُكِ بَلْ رَيَّاكِ مِنْ تِيْكَ أَطْيَبُ

وأنشدني للمُرَيْحِيِّ وهي أَتَمُّ مما في سَائِر الكتب(١٠):

١ ـ أَقُوْلُ لِجَوْنٍ لَوْنُهُ شَنِجِ النَّسَا أَطَافَ بِمَغْنَى دَارِهَا ثُمَّ وَقَّعَا
٢ ـ كَأَنَّهُ إِثْرَ الظَّاعِنِيْنَ مُقَيَّدٌ بِقَيْدَيْنِ يَرْدَى فِيْهِمَا حِيْنَ رَجَّعَا
٣ ـ أَرَاعَكَ أَنَّ الدَّارَ وَدَّعَ أَهْلُهَا لَعَمْرِي لَذَاكَ الْبَيْنُ لِيْ كَانَ أَرْوَعَا(١١)
٤ ـ أتاهم رُوَيْعٍ لَا رَعَى الْمَالَ بَعْدَهَا فَقَالَ: أَلَا لَمْ نَلْحَقِ الْيَوْمَ مَرْتَعَا
٥ ـ فَبَات شَوَارُ الْقَوْمِ كَالْقَرْعِ بِالْعَصَا وَلَا يَلْبَثُ الْقَرْعُ(١٢) الْعَصَا أَنْ تَصَدَّعَا
٦ ـ وَقَدْ رَاعَنِيْ وَاللهِ أَكْبَرَ رَوْعَةٍ أَذِيْنُ عَمُوْدِ الْحَيِّ لَمَّا تَضَعْضَعَا
٧ ـ إِذَا جِيْرَةٌ مِنْ جَانِبِ الصَّرْمِ قَوَّضَتْ لِبَيْنٍ وَأُخْرَى قَدْ أَبَتْ أَنْ تَرَفَّعَا
٨ ـ وَوَدَّعَ بَعْضُ الْحَيِّ بَعْضاً وَلَيْتَنِيْ عَلَى ذَاكَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا وَوَدَّعَا
٩ ـ وَبَرَّحَ بِيْ أَلَّا أُشِيْرُ عَلَيْهِمْ وألَّا أَرَى فِيْ نِيَّةِ الْحَيِّ مَطْمَعَا

وله أيضاً(١٣):

١ ـ أَما رَاعَكَ الْبَيْنُ الَّذِيْ قَالَ غُدْوَةً أَجِدَّا وحُثَّتْ بِالنُّعُوس(١٤) جَمَائِلُهْ
٢ ـ أَلَا فَهَفَا قَلْبِيْ مِنَ الْوَجْدِ هَفْوَةً وَكَادَتْ عُرُوْقُ الْكَبْدِ مِنِّيْ تُزَايِلُهْ
٣ ـ وَمَا كُنْتُ أَخْشَى الْبَيْنَ حَتَّى رَأَيْتُهُ تَطَلَّعُ مِنْ بَيْنِ الْخِيَامِ رَجَائِلُهْ
٤ ـ وَرَدُّوْا إِلَى حَمْلِ النَّعُوْسِ مُدَيَّثاً أَحَمَّ الْقُوَا(١٥) لَمْ يَعْدُ أَنْ شَقَّ بَازِلُهْ
٥ ـ وَمَازِلْنَ بِالْبَاجُوْرِ يَضْرِبْنَ دَفَّهُ وَحَاذَيْهِ حَتَّى ثَارَ وَالذُّعْرُ شَامِلُهْ

---

(١٠) (٢٦٠م) وأقْرَبُ مُنْشِدٍ هو أَبُو الْغَطَمَّشِ الذي يروي شعر حسين بن جابر.
(١١) في الهامش: (وروى الأزهري: أراعك أن جلى عن الدار أهْلُها).
(١٢) فوقها: (ولن أيضاً). أي محل (ولا يلبث).
(١٣) (٢٦١م) (١٤) النُّعوس من أسمائهن.
(١٥) كذا (القوا) ولعله (أحم الْقَرَا) أي الظهر.

قال: قال لي: الباجور: بعضُ أعمِدةِ البيت.

٦ ـ تـربَّـعَ بِـ(الْـمَلْحَـاءِ) أَوَّلَ صَيْفِـهِ إِلَى جِزْعِ (خَوْعَى) حِيْنَ جِيْدَتْ خَمَائِلُهْ
٧ ـ فَلَـمَّا تَعَـالَتْـهُ النَّعُـوْسُ وَنَى بِهَـا وَرَدَّ وَكَثَـرَتْ فِـي الْـمُنَاخِ زَلَازِلُـهْ

قال بعد أن أورد معاني بعضِ أسماء ولد البقرة الوحشية: وأنشد للمُرَيْحي[١٦]:

كـأنَّها أَدْمَـاءُ تُـزْجِـي شَصْرَا

وهذه يتكلم بها قُشَيْرٌ ونَهْدٌ والْعَتِيْك أهل الوَحْفَةِ. ـ إلى آخر ما ذكر ـ.

٦٦ ــ حسين بن مزاحم العكرمي

وأنشدني[١] الحِصْنِـيُّ من عَوْفِ سُلَيْمٍ لحسين بن مُزَاحم العِكْرِمِـيِّ من عكرمة خَصَفَة، حلفاء سُلَيْـمٍ في الجاهلية:

١ ـ ألا بِأَنَا مَنْ جِئْتُ أَبْغِـيْ كَلَامَهُ فَكَلَّمَنِـيْ مَنْ حَـوْلَـهُ وَهْـوَ سَاكِتُ
٢ ـ وَأَعْـرَضَ إِعْـرَاضَ الْعَـدُوِّ وَحُبُّـهُ عَلَى كَبِدِيْ فِـيْ مُضْمَرِ الْقَلْبِ نَاكِتُ
٣ ـ وَمَنْ حُبُّـهُ يَزْدَادُ فِـيْ كُـلِّ لَيْلَةٍ كَـمَا ازْدَادَ مَـوْلِـيٌّ مِنَ الْبَقْلَ نَـابِتُ

٦٧ ــ الْـحُصَيْـبُ الْـخُـزَاعِـيُّ

وأنشدني[١] أبو عبدالله محمدُ بنُ عبدالكريم من وَلَدِ عُتْبَة بْنِ جُوَيَّةَ الْكَعْبِـيِّ من

---

(١٦) (٣٧١م).

(١) (٤٨٠هـ). ولم أجد لدى الهجريِّ عن الحصني هذا وعن قومه عوف غير هذا وقوله (٤٧٦هـ): وقال العكرمي من عامر بن خصفة وهم فصحاء جيران في بني عوف من سُلَيْم.

(١) (٤٥٢هـ). لم أجدْ ذِكراً للحُصَيْب الخزاعي فيما اطلعت عليه ولكنَّ القصيدة أوردها السُّكَّريُّ منسوبة لِعُمَيْر بن الْجَعْدِ بن الْفَهْدِ من بني كعب بن عمرو (من خزاعة) فلعل الحُصيب لَقب لعمير، وذكر خبر فراره مُفَصَّلاً في كتاب «شرح أشعار الهذليين» ـ ٤٦٣ ـ بِمَا خُلَاصته ـ في الكلام على (يوم خشاش) ـ ورد في الكتاب (حشاش) والموضع لايزال معروفاً بالخاء المعجمة، قال: ثم خرج عمير بن الجعد بن الْفَهْدِ مِنْ ذِي غُلَائِلٍ، بمئة من كعب بن عمرو، حَتَّى صَبَّحُوا بَنِي لِحْيَان بالحُشاش يوم حُشاش، فوجدوا الناس غير =

هُذَيْلٍ، لِلْحُصَيْبِ الخزاعي وكان فَرَّاراً:

١ ـ صَدَقَتْ أُمَيَّةُ أَيَّ حِيْنَ صُدُوْف[٢] صَـدَقَتْ وآذَنَ صُحْبَتِي بِـخُفُـوْفِ
٢ ـ وغُفُورُهَا تَحْتَ السُّجُوف غُدَيَّةً خَـفَـأُ تَـتَـابَـعَ نَبْتُـهُ مَـصْـيُـوف

الخفأ: أصولُ الْبَرْدِيِّ يشبه الشعرَ، ويروى: وفروعها.

٣ ـ أُأُمَيْمَ هَلْ تَدْرِيْنَ كَمْ مِنْ صَاحِبٍ فَـارَقْتُ يَوْم (خُشَـاشَ) غَـيْرَ ضَعِيْفِ
٤ ـ يُـرْوِيْ النَّدِيْمَ وَلَا يُقَـاسِمُ فَضْلَهُ سَمْحُ الْـمَوَاهِبِ بِـالنَّدَى مَـوْصُوفُ[٣]

ويروى: سَمْحُ الْيَدَيْنِ وثَوْبُهُ مَلْحُوف.

٥ ـ يَسَرٍ إِذَا هَـبَّ الشِّـتَـاءُ وأَمْحَـلُوا فِـي الْقَـوْمِ غَـيْرَ كِبِنَّـةٍ عُلْفُـوفِ
٦ ـ لَـمَّا رَأَيْـتُـهُـمُ كَـأَنَّ نِـبَـالَهُـمْ بِـالْجَزْعِ مِنْ (نَقَرَى) نَجَاءُ خَـرِيْفِ
٧ ـ أَيْقَنْتَ أَنْ مَنْ يُـدْرِكُـوْه يَتْـرُكُـوْا لِلضَّبْـعِ أَوْ يَصْـطَافُ شَرَّ مَصِيْفِ
٨ ـ رَفَّعْتُ رِجْـلاً لَا أَخَافُ عِثَـارَهَـا إِنَّ الـنَّجَـاء لِهَـارِبٍ مـوصـوف[٤]
٩ ـ وعـرفت أَلَّا شَيْءَ يُنْجِيْ مِنْهُمُ إِلَّا تَـعَـاوُرُ حَـمِّ كُـلِّ وَظِـيْـفِ[٥]
١٠ ـ وَإِذَا أَرَى شَـدَفاً أَمَـامِيْ خِلْتُهُ رَجُـلاً فَـجُـلْتُ كَـأَنَّنِي خُـذْرُوْفُ

جمعه شُدُوْفٌ وهي الشخوص.

= مفترقين، وعُمَيْرٌ صاحب الراية، فاقتتلوا فقتلَتْهُم بنو لِحْيَانَ، ولَمْ يَنْجُ منهم أحدٌ إلَّا عمير، وعُمَيْرٌ صاحب الراية، تلَفَّت حين رأى أصحابه قد قُتِلُوا ثم قال: مَنْ ذُوْ حاجَةٍ في أهْلِ غُلَايِل؟ ثم رَمَى بالرَّاية، وأَعْجَزَ فقال في ذالك عمير بن الْجَعْدِ حين أَعْجَزَ ـ وأورد القصيدة في تسعة أبيات. مع اختلاف في بعض الكلمات وشرح لغريبها ـ فلتراجع هناك. أمَّا الرَّاوي فلعل له صلة بالشاعر ساعدة بن جُؤَيَّة الْهُذَلِي فهو كعبي جاء عنه في «شرح أشعار الهذليين» ـ ١٠٩٧ ـ و«حزانة الأدب» ٣/٨٦ ـ: ساعدة بن جُؤَيَّة أخو بني كعب بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل. والشاعر الخزاعي ـ صاحب القصيدة متقدم على عصر الهجريِّ فالسكري المتوفى سنة ٢٧٥ روى الخبر والشعر عن عبدالله بن إبراهيم الـجُمَحيّ. وهذا فيما يظهر ممن أدرك القرن الثاني.

(٢) في الهامش: (يروى لات حين). و(أمية) كَذا في الأصل، وسيأتي (أُأُمَيْم) مما يدل على أن الصواب (أميمة) كما في كتاب «شرح أشعار الهذليين».

(٣) في الهامش: (من الندوى)؟

(٤) فوق (موصوف): (ومعروف) وفي الأصل: (... رِجْلاً لها... لهارِبٌ).

(٥) في «شرح أشعار الهذليين»: إلَّا تغاوث جَمِّ الخ وفسَّر (تغاوث): (تعاون) و(جَمُّ الوظيف: ماجَمُّ مِنْ عَدْوِهِ.

٦٨ ــ حَمَّادُ بْنُ مَهْدِي

حَمَّادُ بنُ مَهْدِي في امرأته، ورآها تبكي على ابنةٍ لها في الرَّيْب[1]:

١ ـ نَـظَرْتُ بِحِلِّيْتٍ إِلَى أُمِّ صِبْيَتِي تُرَقْرِقُ دَمْعَ الْعَيْنِ مِنْ شَهْوَةِ التَّمْرِ

حَلِّيتُ: جبلٌ بين ضَرِيَّةَ والْحَزِيزِ، حزيزِ رَامَةَ، أشهبُ، يخرج من الحزيز، ويَنْشَبُ في حمى ضرية.

٢ ـ تَصُرُّ بَقَايَا التَّمْرِ فِي عَدَنِيَّةٍ مَصَرَّ صِوَارِ الْمِسْكِ مِنْ حُوْلَةِ الدَّهْرِ

عَدَنِيَّةُ: يعني عمامةً سوداء، والْحُوْلَةُ: الداهية، وصِوَارُ وجَمْعُهُ أَصْوَارٌ، مِنَ الْبَقَرِ صُوَارٌ، وجمعها صِيْرَانٌ، قال أحمرُ الرأس:

وَلَا فَأْرَ مِسْكٍ رُضَّ أَصْوَارُهُ رَضَّا

٦٩ ــ امرأة حمَّاد بن مَهْدِي

وأَنْشَدَ[1] لِامْرَأَةِ حَمَّادِ بن مَهْدِي:

١ ـ نَظَرْتُ بِحِلِّيْتٍ مَعَ العَصْرِ نظرةً وَلِلْعَيْنِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ مائِحُ
٢ ـ لِأُوْنِسَ مَنْ أَمْسَى الْجِرَارَ مَحَلُّهُ وَمُسْتَأْنِسٌ عَنْكَ العَشِيَّةَ نَازِحُ

الْجِرارُ: جَمْعُ جَرٍّ، للجبل: مَا غَلُظَ مِنْ قُربِ الجبالِ، ومُسْتَأْنِسٌ مثل مُسْتَبْصر.

٣ ـ فَمَن مُبْلِغٌ عَنِّي عُبَيْدًا وَأَهْلَهُ رَسَائِلَ تُزْجِيْهَا الْقِلَاصُ الطلائحُ
٤ ـ بِأَنَّا جَمِيْعٌ صَالِحُونَ وأَنَنَا بِحَيْثُ اسْتَهَلَّ الْمُرْبِعَاتُ اللوامِحُ

(البحث متصل)

---

(١) (١١٢م) لم أَرَ عند الهجريِّ ولا عند غيره ما أذكره عن حَمَّادِ بن مَهْدِي، ولكن يظهر أنه قُشيريٌّ حيث ذكر منزله في الريب ـ بلاد بني قشير ـ ولأن شعر امرأته الوارد بعد هذا رواه أبو الميمون المُرَيحي القشيري.

(١) (١١٤م) وأقرب مذكور من الرواة هو أبو الميمون المُرَيْحِيُّ القُشَيْرِيُّ.

ما اتفق لفظه وافترق مسماه
من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٧١ ـ

٣٠٣ ـ بابُ خَزَّارٍ ، وَخَزَّاز ، وخَزَازٍ ، وَجِزَارٍ ، وَحُزَازٍ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ: ـ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَتَشْدِيدِ الزَّاءِ الْأُوْلَى: ـ مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْحِجَازِ ، ويُقَالُ: قُرْبَ الْجُحْفَةِ، وَفِي حَدِيْثِ السَّرَايَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَبَعَثَ رَسُوْلُ الله ﷺ سَعْدَ بْنَ أَبِيْ وَقَّاصٍ فِي ثَمَانِيَةِ رَهْطٍ مِنَ الْمُهَاجِرِيْنَ، فَخَرَجَ حَتَّى بَلَغَ الْخَرَّار مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ ، ثُمَّ رَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً[٢].

وأَمَّا الثَّانِي: بِتَشْدِيْدِ الزَّايِ الأُوْلَى: ـ نَهْرٌ كَبِيْرٌ بِالْبَطِيْحَةِ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَوَاسِط[٣].

وأَمَّا الثَّالِثُ: ـ الزَّايُ الْأُوْلَى مُخَفَّفَةٌ ـ: جَبَلٌ بَيْنَ مَنْعِجَ وَعَاقِلٍ بِإِزَاءِ حِمَى ضَرِيَّة[٤].

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ: (بَابُ خَزَازٍ ، وَخَزَّازٍ ، وخَزَّارٍ ، وجِزَارٍ ، وجُزَارٍ ، وحُزَارٍ ، وَحَزَّان).

(٢) خَزَّارُ ـ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِخَاءٍ مُعْجَمَةٍ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ الْأُوْلَى مُشَدَّدَةٌ: مَوْضِعٌ أَوْ وَادٍ قُرْبَ الْجُحْفَةِ، وَفِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ. وَقَالَ يَاقُوتُ: فِي «المعجم»: الْخَرَّارُ مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ ، يُقَالُ: هُوَ قُرْبَ الجُحْفَةِ، وَقِيْلَ: وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ الْمَدِيْنَةِ، وَقِيْلَ: مَوْضِعٌ بِخَيْبَر ، وفِي حَدِيْثِ السَّرَايَا قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وفِي سَنَةِ إِحْدَى وقِيْلَ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ـ بَعَثَ رَسُولُ الله ﷺ سَعْدَ بْنَ أَبِيْ وَقَّاص ـ وَسَاقَ الْخَبَرَ كَمَا فِي كِتَابِ الْحَازِمِيِّ. وَلِصَاحِبِ كِتَابِ «الْمَنَاسك» كَلَامٌ يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْخَرَّارَ هُوَ وَادِي الجُحْفَةِ الَّذِيْ يَفِيْضُ فِي الْبَحْرِ جَنُوبَ مِيْنَاءِ رَابِغ، وقَدْ كان هذا الوادِي مَعْمُوراً حَيْثُ ذَكَرَ صَاحِبُ «معجم ما استعجم» أَنَّ الْوَلِيْدَ بْنَ عَبْدِ الملِكِ اشْتَرَاهُ مِنْ بَنِي عَبدالله بْنَ عَامِرِ بْنِ كُرَيزٍ .

(٣) خَزَّازُ ـ كَتَعْرِيْفِ نَصْرٍ سِوَى كَلِمَةِ (كَبِيْرٌ) فَهِيَ (عَظِيْمٌ). وعِنْدَ يَاقُوتٍ نَصُّ الْحَازِمِيِّ غَيْرُ مَنْسُوب.

(٤) خَزَازُ: قَالَ نَصْرٌ: أَمَّا بِفَتْحِ الْخَاءِ وَرَاءَيْنِ خَفِيْفَة ـ: جُبَيْلٌ بَيْنَ مَنْعِجَ وَعَاقِلٍ ، بِإِزَاءِ حِمَى ضَرِيَّةَ، وقِيْلَ =

وأَمَّا الرَّابِعُ: ـ أَوَّلُهُ جِيْمٌ مَكْسُورَةٌ وَالزَّايُ مُخَفَّفَةٌ ـ: مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِيْ قِنَّسْرِيْنَ(٥).

وَأَمَّا الْخَامِس: ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَضْمُومَةٌ، والْبَاقِيْ نَحْو الَّذِيْ قَبْلَهُ ـ: هِضَابٌ بِأَرْضِ سَلُولٍ بَيْنَ الضِّبَابِ وعَمْرِو بْنِ كِلَابٍ وَسَلُوْلٍ(٦).

= خَزَازَانِ جَبَلَانِ طَوِيْلَانِ بِمَنْعَجَ، فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ، وقال ياقوت في «معجم البُلْدَانِ»: خَزَازُ وَخَزَازَى هُمَا لُغَتَانِ ـ إِلَى أَنْ قَالَ: وَاخْتَلَفَتِ العِبَارَاتُ فِي مَوْضِعِهِ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هُوَ جَبَلٌ بَيْنَ مَنْعِجَ وعَاقِلٍ بِإِزَاءِ حِمَى ضَرِيَّةَ قَالَ:

وَمَصْعَدُهُمْ كَيْ يَقْطَعُوْا بَطْنَ مَنْعِجٍ فَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعاً خَزَازُ وَعَاقِلُ

ثُمَّ قَوْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ: خَزَازُ وَكِيْرُ ومُتَالِعُ أَجْبَالٌ ثَلَاثَةٌ بِطَخْفَةَ مَابَيْنَ الْبَصْرَةِ إِلى مكّة، فَمُتَالِعُ عَنْ يَمِيْنِ الطَّرِيْقِ لِلذَّاهِبِ إِلَى مَكَّةَ وَكِيْرُ عَنْ شَمَالِهِ، وَخَزَازُ بِسَحْرِ الطَّرِيْقِ إِلَّا أَنَّها لَا يَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهَا ثَلاثتها. وَقَالَ أَبُو زِيَادٍ هُمَا خَزَازَانِ وهُمَا هَضْبَتَانِ طَوِيْلَتَانِ بَيْنَ أَبَانَيْنِ ومَهَبِّ الْجَنُوبِ، عَلَى مَسِيْرَةِ يَوْمَيْنِ بِوَادٍ يُقَالُ لَهُ مَنْعِجٌ، وهما بَيْنَ بِلَادِ بَنِي عَامِرٍ وَبِلَادِ بَنِي أَسَدٍ، وسَاقَ خَبَرَ يَوْمِ خَزَازٍ عَنْ أَبِيْ زِيَادٍ الكِلَابِيِّ. وخَزَازُ هَذَا الْجَبَلِ لَايَزَالُ مَعْرُوفاً فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ مِنْطَقَةِ الْقَصِيْمِ، وفِي سَفْحِهِ الشَّرْقِيِّ تَقَعُ هِجْرَةُ دُخْنَةَ، وَمِنْهُ تَحْدِرُ فُرُوعُ وَادِي مَنْعِجٍ (وَادِي دُخْنَةَ الآن) الَّذي يفِيْضُ فِي عَاقِلٍ (العَاقِلي) مِنْ رَوَافِدِ وادي الرُّمَّةِ (يَقَعُ عَاقِلُ بِقُرْبِ خَطِّ الطُّولِ: ٣٨/٤٣° وخَطِّ العَرْضِ: ٢٨/٢٥°).

(٥) جِزَازُ: عِنْدَ نَصْرٍ جِرَارُ قَالَ: وَأَمَّا بِكَسْرِ الْجِيْمِ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ خَفِيْفَةٍ: مِنْ نَوَاحِيْ قِنَّسْرِيْنَ، وَجَرَارُ سَعْدٍ مَوْضِعٌ بِالْمَدِيْنَةِ كَانَ يَنْصِبُ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ جِرَاراً يُبَرِّدُ فِيْهَا الْمَاءَ لِأَضْيَافِهِ، بِهِ أُطُمُ دُلَيْمٍ، وكَذَا وَرَدَ فِي «معجم البُلْدَان» إِلَّا أَنَّ اسْمَ جُزَازَ وَرَدَ وَفِيْهِ ـ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وقِيْلَ بالكَسْرِ وَزَايَيْنِ: مَوْضِعٌ مِنْ نَوَاحِي قِنَّسْرِيْنَ، وَقَالَ نَصْرٌ: جُزَازُ جَبَلٌ بالشَّامِ بَيْنَهُ وبَيْنَ الْفُرَاتِ لَيْلَةٌ، ويُرْوَى بِرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ. انتهى والَّذي فِي كتابِ نَصْرٍ: جُزَاز قال: وَأَمَّا بِجِيْمٍ مَضْمُومَةٍ وَزَايٍ مُعْجَمَةٍ وَآخِرُهُ رَاءٌ: جَبَلٌ شَامِيٌّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الفُراتِ لَيْلَةٌ. انتهى.

(٦) حُزَازُ ـ عِنْدَ نَصْرٍ: حُرَارُ: بِضَمِّ الْحَاءِ ورَاءَيْنِ مُهْمَلَاتٍ: هِضَابٌ بِأَرْضِ سَلُول ـ إِلَى آخِرِ الْكَلَامِ ـ وَعِنْدَ يَاقُوتٍ: حُرَارُ ـ بِالضَّمِّ وَرَاءَيْنِ مُهْمَلَتَيْنِ ـ كَمَا فِي كِتَابِ نَصْرٍ ـ ثُمَّ أَوْرَدَ الاسْمَ مَرَّةً أُخرى: حُزَازُ ـ بِالضَّمِّ والتَّخْفِيْفِ وَآخِرُهُ زَايٌ أُخْرَى: هِضَابٌ إِلى آخِرِ الْكَلَامِ.

وَزَاد نَصْرٌ:

١ ـ حَرَّانَ ـ وَقَالَ: وَأَمَّا بِحَاءٍ مُهْمَلَةٍ وَرَاءٍ أَيْضاً مُشَدَّدَةٍ ونُوْنٍ: الْبَلَدُ مِنْ دِيَارِ مُضَرَ، وأَطَالَ ياقُوتُ الْكَلَامَ عَلَى حَرَّانَ هَذَا وَذَكَرَ مُسَمَّيَاتٍ أُخْرَى غَيْرَهُ مِنْهَا: حَرَّان قَرْيَتَانِ بِالْبَحْرَيْنِ لِبَنِي عامِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ أَنْمَارٍ ـ مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ ـ وبَنُو عَامِرٍ هَاؤُلاءِ كانُوا مُنْتَشِرِيْنَ فِي الْجَوْفِ وَمَا حَوْلَهُ وَلَا تَعْرَفُ الآنَ فِي تِلْكَ الْجِهَاتِ الْقَرْيَتَانِ الْمذْكُورَتَانِ.

٢ ـ جُزَارُ ـ تَقَدَّمَ نَصُّ كَلَامِ نَصْرٍ عِنْدَ ذِكْرِ (جزاز) وَلَمْ يَرِدْ فِي «مُعْجَم الْبُلْدَانِ» إِلَّا مَا يُفْهَمُ مِنْهُ تَصْحِيْفُهُ.

٣٠٤ ــ بابُ خُرَيْبَةَ ، وحَرْبِيَّةَ[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ: ـ بَعْدَ الْـخَاءِ الْـمَضْمُومَةِ رَاءٌ ثُـمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ: ـ خُرَيْبَةُ الْبَصْرَةِ يُنْسَبُ إِلَيْهَا أَبُو عَبْدِالرَّحْمٰنِ عَبْدُالله بْنُ دَاوُدَ الْـخُرَيْبِـيْ، وهُوَ كُوْفِـيٌّ نَزَلَ خُرَيْبَةَ الْبَصْرَةِ فَنُسِبَ إِلَيْهَا، حَدَّثَ عَنْ إِسْمَاعِيْلَ بْنِ أَبِـيْ خَالِدٍ وَنَفَرٍ مِنَ التَّابِعِيْنَ[٢].

وَأَمَّا الثَّانِـي: ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُـمَّ رَاءٌ سَاكِنَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَكْسُورَةٌ ثُـمَّ يَاءٌ مُشَدَّدَةٌ ـ: إِحْدَى مَحَالِّ مَدِيْنَةِ السَّلَامِ، فِـي غَرْبِـيِّ دِجْلَةَ، يُنْسَبُ إِلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنَ الْـمُتَقَدِّمِيْـنَ وَالْـمُتَأَخِّرِيْنَ، وَهِـيَ تُنْسَبُ إِلَى حَرْبٍ، وَكَانَ أَحَدَ قُوَّادِ أَبِـيْ جَعْفَرٍ الْـمَنْصُورِ[٣].

٣٠٥ ــ بَابُ خَرْنَبَا ، وَحَرْبَثَا ، وَحُدَيْبَاء[١]

أَمَّا الْأَوَّلُ: ـ بَعْدَ الْـخَاءِ الْـمَفْتُوحَةِ رَاءٌ سَاكِنَةٌ ثُـمَّ نُوْنٌ مَفْتُوحَةٌ بَعْدَهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَبِالْـمَدِّ ـ: مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَلِأَهْلِهَا حَدِيْثٌ فِي قِصَّةِ عَلِيٍّ وَمُحَمَّدِ بْنِ أَبِـيْ بَكْرٍ ـ رَضِـيَ الله عَنْهُمْ[٢]. ←

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ فِي بَابِ الْـخَاءِ.

(٢) قَالَ نَصْرٌ وأَمَّا بِضَمِّ الْـخَاءِ وَفَتْحِ الرَّاءِ ثُـمَّ يَاءٍ تَحْتَها نُقْطَتَانِ وَبَاءٍ مُوَحَّدَةٍ: نَاحِيَةٌ بِالْبَصْرَةِ. انتهى. وَقَالَ يَاقُوتُ فِي «المعجم»: سُمِّيَتْ بِذَالِكَ لِأَنَّ الْبَصْرَةَ بُنِيَتْ سنة ١٤ على طَرَفِ الْبَرِّ إِلى جَانِبِ مَدِيْنَةِ عَتِيْقَةِ مِنْ مُدُنِ الفُرْسِ فَخَرَّبَهَا الْمُثَنَّى بنُ حارِثَةَ الشَّيْبَانِـيُّ بِشَنِّ الْغَارَاتِ عَلَيْهَا، فلـمَّا قَدِمَتِ الْعَرَبُ البَصْرةَ سَمَّوْهَا الْـخُرَيْبَة، وعِنْدَهَا كَانَتْ وَقْعَةُ الْجَمَلِ. وذَكَرَ أَنَّ الْـمَوْضِعَ لَايَزَالُ مَعْرُوفاً بِالْبَصْرَةِ، وذَكَرَ مِنَ الْـمَنْسُوبِيْنَ إِلَيْهَا عَبْدالله بْنُ دَاوُدَ، وَنَقَلَ تَوْثِيقَهُ وأنه وُلِدَ سنة ١٢٦ وتوفي سنة ٢١١. وعَدَّ غيرها مِمَّا يُسَمَّى الْخُرَيْبَة. وفِي الْـجَزِيْرَة ـ فِي جَنُوبِهَا الْـخُرَيْبَةُ فِي حَضْرَمَوْت، وفِي شَمَالِهَا بِمِنْطَقَة تَبُوْكَ أَيْضاً ـ قَرْيَتَانِ.

(٣) الْـخَرْبِيَّةُ قَالَ نَصْرٌ: وَأَمَّا بِفَتْحِ الْـخَاءِ وسُكُونِ الرَّاءِ ثُـمَّ بَاءٍ مُوَحَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ وَيَاءٍ مُشَدَّدة: بِمَدِيْنَةِ السَّلَامِ، طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِهَا الْوَاسِعَةِ، نُسِبَتْ إِلى أَحَدِ قُوَّادِ أَبِـي جَعْفَرٍ. وَقَالَ يَاقُوتُ ـ مَا مُلَخَّصُهُ: الْـخَرْبِيَّةُ مَحَلَّةٌ كَبِيْرَةٌ مَشْهُورَةٌ بِبَغْدَادَ، تُنْسَبُ إِلى حَرْبِ بْنِ عَبْدالله البَلْخِي ـ ويُعْرَفُ الرَّاوَنْدِي أحدِ قوَّادِ الْـمَنْصُور، وَكَانَ يَتَوَلَّى شُرْطَةَ بَغْدَاد، وقَتَلَتْهُ التُّرْكُ سنة ١٤٧ ـ وَأَطَالَ الْـحَدِيْثَ عَن وَصْفِ مَوْقِعِها، وذكرَ مِنْ مَشَاهِيْرِ الْـمَنْسُوبِينَ إِلَيْهَا الإمامُ إِبْرَاهِيمُ بْنِ إِسْحَاقَ الْـحَرْبِي (١٩٨/ ٢٨٥هـ) وَلِـي عَنْهُ كِتَابَةٌ وَافِيَةٌ فِي مُقَدِّمَةِ كِتَابِ «المناسك» الَّذِي نشرته ظَنًّا أنه لَه.

(١) عِنْدَ نَصْرٍ بِنَصِّهِ.

(٢) وَزَادَ نَصْرٌ: وَأَيْضاً: صُقْعٌ فِي الطَّرِيْقِ بَيْنَ حَلَبَ والرُّوْم. عَقَّبَ يَاقُوْتُ عَلَى كَلَامِ نَصْرٍ عَن الْـمَوْضِعِ =

العُرْف: قُرَاهُ وسُكّانُه

يقع العُرْف ـ بعين مضمومة وبعدها راء ساكنة، وآخره فاء ـ بعالية نجد بين ←

→ وَأَمَّا الثَّانِيْ: ـ أَوَّلُهُ حَاءٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ، وَبَعْدَ الرَّاءِ بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ مَفْتُوحَةٌ ثُمَّ ثَاءٌ مُثَلَّثَةٌ: ـ نَاحِيَةٌ مِنْ نَوَاحِيْ حَلَبَ(٣).

وَأَمَّا الثَّالِثُ: ـ بِضَمِّ الْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ، بَعْدَهَا دَالٌ مُهْمَلَةٌ مَفْتُوحَةٌ، ثُمَّ يَاءٌ تَحْتَهَا نُقْطَتَانِ سَاكِنَةٌ، وَبَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَمَدٌّ: ـ مَاءٌ لِبَنِي جَذِيْمَةَ(٤).

= الَّذِيْ بِمِصْرَ قائلاً: وهُوَ خَطَأٌ، وَقَدْ سَأَلْتُ أَهْلَ مِصْرَ فَلَمْ يَعْرِفُوْا إِلَّا خَرْبَتا ـ وَقَدْ ذُكِرَتْ ـ ثُمَّ لَمْ يَزِدْ عَلَى قَوْلِ نَصْرٍ عَنِ الْمَوْضِعِ الثَّانِي. وقال عَنْ خَرْبَتا ـ وَقَدْ ضَبَطَهُ الْحَازِمِيُّ خَرْنَبَا ـ بِالنُّون ثُمَّ الْبَاء ـ وَهُوَ خطأٌ ـ ثم نَقَلَ عَنِ القُضَاعِيِّ الاخْتِلَافَ بَيْنَ فَتْحِ خَاءِ (خَربتا) وكسْرِها ـ وأَنَّ للموضع ذِكْراً فِي حَدِيْثِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ومُحَمَّدَ بْنِ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ. وَقَالَ: وَهُوَ الآنَ خَرَابٌ لَا يُعْرَف.

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ: ناحِيَةٌ مِنْ حَلَب.

(٤) وَزَادَ نَصْرٌ: فَوْقَ غَدِيْرِ الصُّلْبِ، وَهُوَ جَبَلٌ مُحَدَّدٌ لِمُرَّةَ بْنِ عَبَّاس. وَقَالَ ياقوتُ فِي «المعجم»: الْحُدَيْبَاءُ ـ بلفظ تَصْغِيرِ الْحَدْبَاءِ ـ مَاءٌ لِبَنِي جَذِيْمَة بن مالِك ـ وَأَوْصَلَ النسب إلى دُوْدَانَ بْنِ أَسَدٍ ـ فَوْقَ غَدِيْرِ الصُّلْبِ، وَهُوَ جَبَلٌ مُحَدَّدٌ ـ قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنَّ الْحُدَيْبَاءَ شَحْمٌ إِنْ سَبَقْتَ بِهِ ... مَنْ لَمْ يُسَامِنْ عَلَيْهِ فَهُوَ مَسْمُوْنُ

وَأَصْلُ هذَا الْكَلَام فِي كتابِ «بِلَادِ الْعَرَب» لِلُغَدَة الأَصْفَهانِيّ ـ ٥٦ ـ فِي الْكَلَامِ عَلَى أَسْفَلِ مِيَاهِ الثَّلْبُوتِ أَحَدِ فُرُوْعِ وَادِي الرُّمَّةِ الشَّماليَّة لَمَّا ذَكَرَ مَاءَ الْبَنَانَةِ لِبَنِي جَذِيْمَةَ وَهِيَ بِطَرفِ بَنَانٍ الَّذي يَقُولُ الشَّاعِرُ... وَغَدِيْرُ الصُّلْبِ، والصُّلْبُ جَبَلٌ مُحَدَّدٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

كَأَنَّ غَدِيْرَ الصُّلْبِ لَمْ يُضْحِ مَاؤُهُ ... لَهُ حَاضِرٌ فِي مَرْبَعٍ ثُمَّ رَابِعُ

وَهُوَ لِمُرَّةَ بْنِ عَبَّاس، وَفَوْقَ ذَالِكَ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْحُدَيْبَاءُ لِبَنِي جَذِيْمَةَ، قَالَ الشَّاعِرُ: ـ الْبَيْت ـ فَهل الَّذي لِمُرَّة الْجَبَلُ أَم الشِّعْرُ، الظَّاهِرُ أَنَّهُ الشِّعْرُ لَا الْجَبَل ـ إِنْ لم يَكُن الْغَدِيْرُ، وَمُرَّةُ وَرَدَ لَهُ شِعْرٌ كَثِيْرٌ فِي الكِتَابِ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاضِعِ، والثَّلْبُوتُ يُعْرَفُ الآن باسْم وادِي الشُّعْبَةِ، والْبَنَانَة مَعْرُوفَةٌ باسْمِهَا قَرْيَةٌ صَغِيْرَةٌ مِنْ قُرَى شَمَّرَ، جَنُوبَ مَدِيْنَةِ حَائِلٍ بِنَحْوِ ١٢٠ كِيْلاً وغَدِيْرُ الصُّلْبِ يُدْعَى غَدِيْرُ الضِّرْس ـ والْجَبَلُ أَكَمَةٌ حَمْرَاءُ تَحْتَهَا مَكَانٌ يَجْتَمِعُ فِيْهِ مَاءُ المطرِ فَيَبْقَى زَمَناً، هُوَ ذَالِكَ الْغَدِيْر، الَّذِيْ يُسَمَّى أَيْضاً (ثَغَبَ الضِّرْس) يَبْعُدُ عَنْ قَرْيَةِ الْمُسْتَجِدَّةِ غَرْباً نَحْوَ عَشَرَةِ أَكْيَالٍ (بقرب خطِّ الطول: ٢٠/٤١° وخطِّ الْعَرْضِ: ٣٥/٢٦°).

← الحِناكية والمهد، وهو كظهر الحصان تفيض شعبانه شمالاً في وادي (الـمِخْيَط)[1] وجنوباً في وادي (الشعبة)[2] وبدايته من الغرب من جبل (تَعَار)[3] ومن مجموعة جبال تسمى (أَفْخَاذ)[4] مفردها فَخْذ إلى (السَّلِيْلَة)[5] شرقاً.

والعُرْف بلاد واسعة، ذات مراع جيدة، فيه قُرى مأهولة بالسكان، ومياه بادية كثيرة، وبه سلسلة جبال متناثرة تتخللها أودية وشعاب.

ويسكن العُرْف بطون وأفخاذ من قبيلتي حَرْبٍ ومُطَيْر.

وهو تابع إداريًّا لإمارة المدينة المنورة عن طريق مركز إمارة الحناكية.

أولاً: قراه وسكانه:

١ ــ (أُم الـمَخَايِيْل) وتقع غربَ السِّلِيْلَة، وجنوب وادي المِخْيَط، وسكانها الوطَابِيْن من الصُّعَبَة، من بني عبدالله من مُطَيْر.

٢ ــ (أُم شُكَاعَا) وتقع على جانب وادي المِخْيَطِ من الجنوب، وبها مدرسة ابتدائية للبنين، وسكانها الْـمشَارِيْفُ منَ الصُّعَبَةِ من بَنِـي عَبْدِ الله من مطير.

٣ ــ (حزْرَة) وتقع على جانب وادي مِنْيَة، وبها مستوصف، ومدرسة ابتدائية للبنين، ومدرسة للبنات، وسكانها من قبيلة حَرْب.

٤ ــ (الرَّكْنَة) وتقع على الطرف الشمالي من وادي الشُّعْبة، وهي حديثة العهد، وسكانها الـمَشَارِيْف من مطير.

٥ ــ (فَرْحَة الجديدة) وتقع في وَسَط العُرْف، في منتصف وادي فَرْحَة، وسكانها الْيُبَّس من الهُوَيْملات من بَنِـي عَبدِ الله من مُطير.

٦ ــ (الـمُرَيْر) ويقع شمال جبل تَعَار، وسُكّانُه بني جابر من بني عمرو من حرب.

ويبدو لي أنه هو الماء الذي ذكره ياقوت وقال: إنه ماءٌ من مياه بني سُلَيْمٍ بنجد قال:

هذا الْـمُرَيْرُ فاشْـرَبِيهِ أَوْ ذَرِي إنَّ الْـمُـرَيْرَ قِـطْعَـةٌ مِنْ أَخْضَرِ

٧ ــ (النُّعَيرِيَّة) وتقع في وسط العُرْف، وهي ماءٌ قديم، آبَارٌ كثيرة أُنْشِئَتْ عليها هجرة لِلشُّطَّر من الصُّعَبَة من بني عبدالله من مطير.

ثانياً: أهم الموارد المائية:

١ ــ (الحَشْوَرِيَّة) مورد قديم، ومن أشهر الموارد في العرف، وورد ذكر الحَشْوَرِية في قصيدة طويلة للشيخ جهز بن شَرَار أمير ميمون من بني عبدالله من مطير، ردًّا على قصيدة الشيخ مشعان البرَّاق التي قالها عندما أراد الغزو على الدَّيَاحِيْنِ من واصِلٍ من بُرَيْهٍ من مطير فقال جهز:

قدْمِكْ بَنِي عُثْمَان دَفْعَ السَّلاَطِيْنْ ... وِحْرُوبْهُمْ ناوِيْنهُم بالْقَضِيَّهْ
وِآش انْتْ خَابِرْ يوم رَاحُوا مْعِيْفِيْنْ ... يَوْمَ آنَّهُمْ جوهم على الحَشْوَرِيَّهْ

٢ ــ (خُتَارِق) مورد قديم، واقع في واجهة العُرْف الشمالية بين أُم المَخَايِيْل وأُم الْعَوْشَزْ.

٣ ــ (شَبَيْشِير) مورد من أملاك ميمون من بني عبدالله من مطير، واقع في منتصف العرف من الجهة الشرقية.

٤ ــ (فَرْحَة القديمة) مورد قديم مهجور.

٥ ــ (القَرَارَة) مورد قديم، واقع في منتصف الجهة الغربية للعُرْف.

٦ ــ (القِنِيْنِي) مورد قديم، واقع في الجهة الغربية للعرف، شرق جبل تَعَار.

٧ ــ (لِقْطَان) مورد من أملاك ميمون من مطير، واقع في منتصف العرف من الجهة الشرقية.

٨ ــ (مُبْغِرَة) مورد قديم مهجور.

٩ ــ (مِنْيَة) مورد من أملاك الشمالين من قبيلة حرب، واقعة في وادي مِنْيَة.

ثالثاً: أهم الجبال:

(الأباهِي)، (الحُمَيْمَي)، (رُوَيْث)، (الزِّيْنَات)، (الصَّخْرة)، (العَبْدلِية)،

(العَبِيْد: مجموعة جبال متناثرة على الضفة الشمالية من وادي الشعبة)، (فَرَاح)، (القِنَة: مجموعة جبال)، (المُرَيْرُ)، (المَضْبَعَة)، المَنْصَىٰ).

رابعاً أهم الأودية:

١ ــ وادي (العُوشَز) والذي يتفرع من جبال المَضْبَعَة وينحدر شمالاً مروراً بقرية أُم شُكَاعَـا، ويفيض في وادي المخيط.

٢ ــ وادي (عُرَيْفِطَان) والذي ينحدر من جبال المَضْبَعَة حتى يلتقي بوادي فَرْحَة بالقرب من المُرَيْر، ويفيض في وادي المخيط.

٣ ــ وادي (فَرْحَة) والذي يتفرع من جبل رُوَيْث، مروراً بمجموعة جبال القِنَّة، ثم يفيض في وادي المخيط شمالاً.

٤ ــ وادي (مِنْيَة) يتفرع من جبل العَبْدلِية مروراً بمورد مِنْيَة المسمى باسم الوادي، ويمر بقرية حَزْرَة، ثم يفيض في وادي الشُّعْبة غرباً.

خامساً: أهم الأشجار الدائمة الخضرة في منطقة العُرْف:

الإِذْخِرُ، والسَّلم، والسَمُرُ، والعَوْسَجْ، والقتاد، والوَهَطُ.

عبدالعزيز بن سعد المطيري

الحواشي:

(١) جبل تَعَار: شمال منطقة أُبْلَى، وجنوب الحناكية، لونه أحمر، واقع في بلاد قبيلة حرب، وهو آخر حدود منطقة العُرْف من الغرب.

(٢) أَفْخَاذ: مجموعة جبال متناثرة على مفيض وادي الشعبة، وهو آخر حدود منطقة العرف من الغرب.

(٣) السَّلِيْلَة: ماء قديم مر، آبار كثيرة يقع غرباً من شَابَة ورُوم، وغرب قرية صُخَيْرة على بعد ٣٠ كيلاً في بلاد ميمون من بني عبدالله من مطير، معروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، وهو آخر حدود منطقة العرف من الشرق.

(٤) وادي المِخْيَط: يذهب سيله صوب المدينة المنورة، ويحد العرف من الشمال.

(٥) وادي الشعبة: يبدأ سيله من ناحية الغُرَابَة وخَرب، غرب الْجَرِير، ثم يتجه شمالاً غربيًا، ويلاقيه المخيط، ويحد العرف من الجنوب.

بنو هلال وبلادهم

بعث الأخ الشيخ إبراهيم بن علي بن مفرح الهلالي تفصيلاً لما نشر في «العرب» س ٢٦ ص ٨١ عن بني هلال سكان بِرْكِ الْغِمَاد خلاصته :

* **نسب قبيلة بني هلال**: نسبة قبيلة بني هلال التي تسكن بِرْكَ الْغِماد إلى بني هلال بن عامر بن صعصعة لا إلى كنانة كما ذكر بعض النسابين، ومنهم من استدل على أنها كنانية الأصل بِكونها تسكن وسط ديار كنانة، وأن الهمداني ذكر بعض الأمكنة التي تسكنها، ووصفها ببلاد بني حرام من كنانة، ولكن القول بأنها من بني هلال بن عامر يؤيده أنَّ كل من ذكر حرة البرك بعد الهمداني يذكر أن سكانها هلاليون، وكبار السن من هذه القبيلة يكادون يجمعون على أنهم من قيس من جماعة أبي زيد الهلالي، ويقولون بأن أصلهم يرجع إلى أربعة رجال من بني هلال تخلفوا في هذه الحرة إبَّانَ رحيل الهلاليين، وإليهم تنسب عشائر القبيلة وهم : ــ

١ ــ علي: وإليه ينسب آل علي. ٢ ــ مقاري: وإليه ينسب آل مقاري.
٣ ــ يحيى: وإليه ينسب آل يحيى. ٤ ــ جابر: وإليه ينسب آل جابر.

* **حرة بني هلال**: تعرف أيضاً باسم (حَيْل بني هلال) وهي هضبة سوداء صخرية تتوسط إقليم تهامة، يزيد ارتفاعها عن خمس مئة متر على مستوى سطح البحر، وعرة المسالك، ذات أحجار سوداء ركامية خشنة، مخلوطة بالطين، تنمو فيها الأشجار الشوكية وغيرها، وتعيش بها بعض أنواع الطيور والحيوانات البرية، وتبرز في أعاليها جبال منفردة أشبه ماتكون بالرؤوس البركانية الخامدة، إذْ هي خليط من الطين والحجارة الهشة المفتتة البُنِّيَّة اللون، وترتفع جوانبها كفوهة بركان منسدَّة، مثل جبل التَّيْس وجبل زَوْر الـحَمَاط، ويوجد في بعضها كهوف منحوتة لإيواء الأغنام في المواسم الممطرة، مثل جبل الشَّوَالة والطُّبَاب، والحُمِيْرَي ورَيْحَانة، ليست تلك الكهوف واسعة، وارتفاعها قدر القامة وأقل، يسمونها (قُـمَر) مفردها (قُمْرَة) ويسمون تلك الجبال (حَشْاحِيشْ) مفردها (حَشَّاء) أو (حُشٍ) وتتخلل الحرة أودية يغلب على أكثرها الجفاف، ترتفع جوانبها فتبدو

عسرة، كثيرة التعرجات، تأخذ مساقط المياه من سلسلة جبال تحف بحرة بني هلال من الشرق وتصب سيولها في البحر الأحمر.

* **الأوديـة**: أبرز أودية الحرة الثلاثة: ـ

١ ـ وادي ذَهْبان: من أودية الهلاليين، تنحدر أعاليه من جبال الْـمفَارِق آخِذًا بمشارف الأطراف الجنوبية لحرة بني هلال، بحيث يفصل بين الهلاليين وبين عشائر الْـمُنْجِحة، تحيط به التلال الشاهقة وينتهي سيله إلى رَدْحَان ومَسَرَّة بساتين نخل هلالية، تقع في مصب الوادي قربَ البحر، ومن روافد وادي ذهبان وادي البَاخِن، ووادي ضَنْكَان، ووادي أَثْلَة ووادي لَنَكَة.

ويبعد مصب وادي ذهبان ١٥ كيلاً جنوباً عن بلدة البِرْك.

٢ ـ وادي رَاكَة: هو ثاني أودية الهلاليين من حيث الأَهمية، إذ هو الحد الفاصل بينهم وبين جيرانهم من جهة الشمال، يماثل وادي ذَهْبان في الطول وكثرة الروافد ومنها وادي الـمُعَقَّد، ووادي غَيْزٍ ووادي الدَّبُوبْ.

٣ ـ وادي عَمِق: أوسط وادٍ في ديرة الهلاليين، وأكثرها سكاناً وزراعة، ويبعد مصبه ثلاثين كيلاً عن البِرْكِ شمالاً، واثني عشر كيلاً عن مصب وادي رَاكَة.

* **منازل الهلاليين في بلادهم**: تتحد قبيلة بني هلال في إقليم وحدها لا يخالطها فيه إلا مصاهر ابتداء من سواحل البرك غرباً ووادي ذهبان جنوباً، ووادي رَاكَة شمالاً، ثم شرقاً إلى أسافل وادي مَقْلَمٍ.

فآل علي تنتشر أغلب مساكنهم على الساحل.

وبنو صبيح تسكن في وادي ذهبان بدءًا من مصبه في البحر، وتمتد شرقاً آخذةً بقصب الوادي وضفافه الشمالية إلى نهايته، ثم تفرغ شرقاً مع جبال الْـمَفارِق فتحل في أحضان الجبال وجوانب الأودية.

ومن أشهر أوديتها: وادي تَظَبِّي وروافده مثل مَقْلَمٍ وأَغْصَانٍ وعدْنانٍ وأبو نغفة.

وآل مقاري وآل يحيى وآل جبار تتوزع منازلهم في باقي البلاد ، ولاسيما في وادي عَمِق والـمُعَقَّد ورَاكَة وقرى ذَرَى والـجَمَّة.

* **جيران بني هلال**: تتوسط قبيلة بني هلال بين عدد من قبائل تهامة: ــ

١ ــ قبيلة المنجحة من جهة الجنوب وإمارتها في القحمة.
٢ ــ قبيلة آل ختارش من جهة الشرق وإمارتها في بحر أبو سكينة.
٣ ــ بطون من آل مهر والـمَشْغَلَة من جهة الشمال الشرقي.
٤ ــ ثم قبيلة الصوالحة من جهة الشمال الغربي وإمارتها في شفقة.

الجبيل: إبراهيم بن علي بن مفرح الهلالي

القَــنَّاص لا القنامــى

جاء في ص ١٢١ : السطر قبل الأخير : (٩ ــ عائلة القنامي) والصواب: (عائلة القناص). كما نبه على هذا الأخ سليمان بن علي البطي.

أسرة العريض من الأسلم من شمر

كتب الأخوان محمد وإبراهيم ابني عبدالله الصالح المد الله العريض إلى «العرب» كتاباً مفصلاً عن تفرع أسرتهم وأصلها خلاصته :

١ ــ أن الأسرة من الأُسر المتحضرة في نجد منذ أكثر من مئة وثلاثين عاماً .
٢ ــ تنسب الأسرة إلى عريض بن حمِّر بن سويعد بن عركي من فخذ الأسلم من الصلتة من الفضول من قبيلة شَمَّر ، انتقل من سَلْمَى بمنطقة حائل إلى قرية الهديَّةِ الواقعة على نحو عشرة أكيال من مدينة بريدة، ثم انتقل بعد ذالك إلى خَبِّ القبر المجاور لِـخَبِّ العِكْرِش، شرق نفود الرفيعة.
٣ ــ خلف عريض أربعة أبناء : جار الله وضيف الله ومدَّ الله وعبد الله . وقد قام اثنان من أبنائه هما جار الله وضيف الله بالاشتراك مع عائلة البريكان بمغارسة ملك سمي نصيبهم فيه بملك العريض، لايزال معروفاً إلى وقتنا الحاضر

في نفس الموقع المذكور ، وهناك ملك آخر باسم جار الله العريض جنوب خب القبر .

٤ ــ وأسرة العريض منتشرة فروعها في الرياض وبريدة وتبوك والقليبة.

٥ ــ والأُسَر التي صاهرت أسرة العريض:

أسرة عبدالله القهيدان من أهل أُشيقر ، وأسرة التويجري في الطرفية وأسرة الحديثي من البكيرية، وأسرة الجربوع في بريدة وهم من شمر ، والماضي في بريدة من تميم، والفيَّاض من روضة سدير من الوهبة من تميم ، والفلاج في القصيعة من شمر ، والرشودي واللهيب في بريدة والبراك في البكيرية، والسلامة في البدائع، وأسر أخرى.

أسرة آل صيخان من بني خالد

كتب إلى «العرب» الأخ علي بن سالم بن محمد بن سالم الصيخان من الأحساء موضحاً ما يلي:

١ ــ تنتمي عائلة الصيخان إلى الجُبُور ، من بني خالد .

٢ ــ من أسرة الصيخان: البلاع ـ الكفيل ـ السمنان ـ العندس.

٣ ــ تنتشر الأسرة في عُنيزة والرس والرياض.

٤ ــ أما ما ذُكِرَ من أنَّ الصيخان من الفداغة من بني تميم ، فهو غير صحيح وليس هناك ما يثبته.

آل حسين وآل مرشد

ورد في «العرب» ج ١١ ، ١٢ س ٢٥ ص ٨١٨ إلى ٨٢١ تحت هذا العنوان بيان لفروع هذان القبيلتان إلا أن هناك ملاحظات هامة جداً حيث ذكر بعض الألقاب التي يكرهها أهلها.

١ ــ في الفرع الثاني من فروع قبيلة آل حسين ذكر آل حويل والضميدة والعظم وهم يعرفون بِآل راشد لا بما ذكر .

٢ ــ في الفرع الرابع وهو فرع عبدالله ذكر آل بيطارة وهم يعرفون بآل حسين .

٣ ــ وفي الفقرة الثانية من بيان فروع سعود بن حسين ذكر (آل أبو حليقة) وهم يعرفون كسابقيهم وذكر في الفقرة الرابعة من بيان فروع هذا الفخذ (آل أبو ضميدة) وهم يعرفون بآل حسين وذكر في الفقرة الخامسة (الهرره) وهم يعرفون بآل علي لابما ذكر وذكر في هذه الفقرة وهي خاصة بمرشد بن سعود . . ومنهم آل حسين . وهذا غير صحيح حيث أن الصحيح آل حسن بن رشيد .

لهذا ألفت انتباه قراء هذه المجلة إلى ذالك .

حوطة بني تميم: حسين التميمي

الشيابين: فروع القبيلة وبلادها

[كتب الأخ الكريم فهم بن ذعار بن فُهيد إلى «العرب» مفصلاً فروع قبيلة (الشيابين) وبلادها، وشيوخها من آل فُهَيد، وهاهو ملخص ماكتب]:

تنقسم قبيلة الشيابين من برقاء من عتيبة إلى قسمين كبيرين هما:

أ ــ ذوي صالح . ب ــ ذوي خليفة

وينقسم (ذوي صالح) إلى ثمانية أفخاذ :

١ ــ الفهيدات . ٥ ــ الحفاراء .
٢ ــ ذوي عبدالله . ٦ ــ الزبالقة .
٣ ــ القرافين . ٧ ــ الثقبان .
٤ ــ ذوي عواد . ٨ ــ العمور .

وينقسم (ذوي خليفة) إلى سبعة أفخاذ :

١ ــ ذوي شيبة.
٢ ــ الشوام.
٣ ــ الفوارين.
٤ ــ الحوائمة.
٥ ــ الغدران.
٦ ــ الصخلة.
٧ ــ المغارقة.

بلاد قبيلة الشيابين:

١ ــ حلبان: بلدة واقعة في إقليم العرض على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، وفندق على الطريق العام، ومستوصف صحي، ومكتب بريد، وأميرها الشيخ جهز بن نائف بن ضاوي بن فهيد، تابعة لإمارة الرياض.

٢ ــ الخرائق: بلدة واقعة في العِرْض على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، وفندق كبير على الطريق يخدم المسافرين والقاطنين على حدٍّ سواء ويوجد بها جميع الخدمات، وأميرها الشيخ ضيف الله بن نقاء بن فهيد.

٣ ــ الراضة (الروضة): بلدة واقعة بالعرض، جنوب بلدة الرويضة (رويضة السهول) فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات، وأميرها الشيخ فيحان بن هذّال بن فيحان بن فُهَيد.

٤ ــ هجرة الرفائع: واقعة في العرض، على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، أميرها الشيخ فيحان بن هذال بن هذال بن فهيد.

٥ ــ الخاصرة: بلدة عامرة، واقعة على الطريق السريع، فيها مركز إمارة، ومركز شرطة، ومحكمة، ومدارس ابتدائية للبنين والبنات.

٦ ــ هجرة الـمُحْدَثَة، واقعة على الطريق السريع [بين البِرْكة وعُشَيْرَة في العقيق] وأميرها ذيب بن ناشي بن عديس الشيباني.

٧ ــ عُشَيْرة: بلدة، تقع شمال غرب العرفاء، لها مفرق من العرفاء [في العقيق كانت من منازل طريق الحج القديم] وتبعد عن الطريق السريع ٦٥ كيلاً،

فيها مركز إمارة، ومدرستان ابتدائيتان للبنين والبنات.

وذكر الكاتب جميع من تولى الإمارة من أسرة الفُهيدات على قبيلة الشيابين إلى العهد الحاضر.

قوات الأمن الخاصة: فهم بن ذعار بن نقاء أبو لهب بن فهيد

هِدَانُ الجبل الواقع في عالية نجد

[«العرب» س ٢٥ ص ٤١٥]

اطلعتُ على ما نشر في مجلة «العرب» س ٢٥، ص ٤١٥ تحت عنوان (هِدان) من جبال أُبْلَى، وبما أنني من سكان تلك الناحية من بلادنا الغالية. وأعرف موقع الجبل المذكور، فإنني أُوَضِّح ـ وبالله التوفيق ـ أَنَّ جبل (هِدَانْ) ليس من جبال أُبْلى، بل في المحوي شرق حَرَّة بني عبدالله، وهو واقع في جنوب شرق بلدة (صُفَيْنَة) التي تبعد عن المهدب ٥٥ كيلاً جنوباً، وشمال شرق بلدة (حَاذَة) بـ ٥٠ كيلاً، وحاذة تقع على حدِّ السهل من حَرَّة بني عبدالله.

وهِدانُ: علم بارز، ومعروف بهذا الاسم قديماً وحديثاً، ومنفرد ليس حوله جبال، لونه أحمر.

ويقع شمال شرق هجرة (أُمِّ الغِيْرَان) بعشرة أكيال، وأم الغيران شمال شزق حاذة بـ ٤٠ كيلاً.

وهو بين وَادِيَيْنِ هما وادي (السِّر) من الشمال ووادي (حَبْرِي) من الجنوب والوادِيان المذكوران يبدآن من حرَّة كُشُب ويتَّجِهان غرباً، ويَصُبان في صبخا أُم الغيران شرقاً. وهِدَانُ يقع في بلاد العَقَالِية من الهويملات من بني عبدالله من مطير.

وورد ذكر جبل هدان في قصيدة طويلة للشاعر شداد بن سعد بن فرس الشاطري قالها في والدته عندما رحلت إلى أخواله من قبيلة عُتَيْبة:

عَهْدِي بْشَوْفَةْ والدي هَـالزَّمـانِ يَوْمَ الْعَرَبْ يَرْعَوْنَ نَبْتَ ٱلْمَخاضِيْرْ
شَدَّتْ وَأَنَا بَيْتِـي مُقِيما مكانِـي مَاجَاتُهَا الْخَصَّةْ يَـاوَيْشَ التَّدابـير
دَايـمْ مَـرَابِيْهَـا طـوارف هْـدَانِ وْلَابدَّها تَاصَلْ إلى هِجْرَة الزِّيْرْ

ـ هجرة الزِّير : صُفَيْنَةُ ، ومن المعلوم أن بلاد قبيلة عتيبة جنوب شرق جبل هدان .

أمير بلدة صفينة وشيخ قبيلة العقالية من مطير
غازي بن عطاالله بن بنش

حول اسم (لغاطِ): الغاط

جاء في «معجم اليمامة» من «المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية» ـ ومؤلفه عبدالله بن محمد بن خميس ـ جاء في العمود الأول في صفحة ٢٠٩ مانصه: الغاط ـ لغاط ـ يعرف الآن مُحَلِّيً بالألف واللام ، مفتوح الغين بعدها ألف فطاء ، أما قديماً فبلام مضمومة الخ .

وجاء في العمود الثاني من صفحة ٢١٠ مانصه: (والغاط معروف الآن باسمه هذا أدخلت عليه الألف واللام، وحذفت منه فاء الكلمة فصار الغاط).

وقد تحدث المؤلف بإفاضة وإجادة مستشهدًا بأقوال الشعراء قديماً وحديثاً .

ولقد استوقفني قول المؤلف: (يعرف الآن محلى بالألف واللام)، وقوله في الصفحة التالية (أدخلت عليه الألف واللام ، وحذفت فاء الكلمة) فمادام قد ذكر أنه بلام مضمومة على وزن غراب، فإني أرى بل أجزم أن فاءه باقية ـ التي هي اللام المضمومة ـ وأجزم بأنه لم يُحَلَّ بالألف واللام المعروفة لدى النحويين بـ(أل) التعريفية، وإنما النطق العامي فعل به ما فعل بغيره، فَسُكِّنَتْ فاؤه التي هي اللام فاستلزم التسكين إلحاق ألف وصل لأجل النطق بالساكن، كما لو نطقت كلمة (غراب) ساكنة الغين لاضطررت لإيجاد ألف وصل قبلها وقلت: (اغْراب)

وما رأي الأستاذ الكريم بهذه الكلمات المماثلة بعضها وزناً ، وكلها مبدوءة باللام: لباب، لبان، لعاب، هذه ثلاث كلمات تماثل لغاط وزناً وبَدْءًا باللام. ومن مكسور الأول: لثام، لجام، لحام، لحاف، لسان الخ.

ومن مفتوح الأول: لجاج، لحاق الخ.

ما رأيه لو طلب من عامي أن ينطق بواحدة من هذه الكلمات؟ هل سيقول: لُعاب أَوْ لُبان أو لِسان أو لحاف أو لحاق، فيضم الحرف الأول أو بكسره أو بفتحه حسب مايجب لغةً، إنه سيقول: (الْعاب، الْبان، انْسان، الحاف، الحاق) فيسكن الحرف الأول ويأتي قبله بألف وصل.

هل نقول: إنَّ هذه الكلمات ـ بعد أن نطقها العامي ـ حُذِفَت الفاء منها، وأُدْخِلَتْ عليها الألف واللام بمعنى أنها صارتْ كلماتٍ مُنَكَّرَة هكذا: عاب، بان، سان، حاف، حاق. ثم عرفت بأل ؟!

لا أحد يقول بهذا لأن المعاني اختلفتْ بعد حذف الحرف الأول.

وهكذا كلمة (لغاط) سكنت اللام فنتج ألف وصل فقط .

ولهذا أرى أن النّسبة إليه أن يقال (اللغاطي) بلامين، وعند جره بالباء أن تربط الباء باللام دون ألف هكذا (بلغاط) لا (بالغاط). كما لو قلنا: نطق هذا القول بلْسانه، باسكان اللام.

ولو قيل: إنه أدخلت عليه همزة في أوله قبل فائه فتحول إلى جمع لَغَطٍ كقلم: أقلام، وعَلَم: أعلام أو قيل: أدخلت عليه همزة مكسورة قبل فائه فتحول لمصدر الرباعي من ألغط إلغاطاً كأكرم إكراماً . لو قيل هذا لكان أقرب من قولنا: إننا حذفنا اللام فصارت (غاط) ثم أتينا بألف ولام لتعريف الكلمة، لأنني لم أجد لكلمة (غاط) اسماً معنى إلا (جماعة) يقال: مافي الغاط مثله أي في الجماعة كما في «لسان العرب».

ويبعد جدًّا أنَّ العامة حذفت اللام من (لُغاط) ليصبح معناها (جماعة) ثم عرفوها بأل هذا وزاد من عجبي أن الشيخ حمد الجاسر ذكر الغاط في باب الغَيْن ←

* «ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» :

ومَنْ أَوْلَى بِالقيام بنشر مؤلفات علماء هذه البلدة الطاهرة مكة المكرمة من جامعتها (جامعة أُمِّ القرى) وهي خطة حميدة سار عليها (مركز إحياء التراث الإسلامي) منذ عهد مبكر ، من إنشاء هذه الجامعة، ومن آخر ما أتحف به الباحثين الجزء الأول من كتاب «ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» ومؤلفه عالم مكة الحفي بتاريخها محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (٧٧٥-٨٣٢هـ) وهو ذيل على كتاب «التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد» الذي ألفه الحافظ محمد بن عبدالغني المعروف بابن نقطة الحنبلي البغدادي (٥٧٩-٦٢٩هـ) وعنوان الكتاب يدل على موضوعه، وقد قام بتحقيق هذا الجزء من الكتاب الذي ينتظر أن يقع في ثلاثة أجزاء الأستاذ محمد صالح بن عبدالعزيز المراد ، أحد الباحثين في (مركز إحياء التراث الإسلامي) بجامعة أم القرى، وقد صدره بترجمتين موجزتين لمؤلفي الأصل والتذييل، وقام في خلال متابعته لتراجم الكتاب بالإشارة إلى المؤلفات التي وردت فيها الترجمة، وإكمال مايحتاج إلى إكمال من نقص فيها، وقد تضمن هذا

← من كتابه الضخم ـ مقدمة المعجم الجغرافي صفحة ٨٨٥ ـ والصحيح أنَّها في باب اللام . فهل نستطيع وضع (السان) بلام ساكنة في باب السين، أو (العاب) بلام ساكنة في باب العين ؟!

وحين نجعل كلمة الغاط جمع لغط أو مصدر أَلْغَطَ ، فتذكر في باب الهمزة ، أما باب الغين فلا . على أَيَّةِ حَالٍ ـ قال المرَّار بن منقذ في (المفضلية (الـ ١٦) :

ظَـلَّ في أَعْـلَى يَفَـاعٍ جَـاذِلاً يَقْسِمُ ٱلْأَمْـرَ كَقَسْمِ الْـمُـؤْتَمِـرْ
أَلِـسَـمْـنَـانَ فَـيَـسْـقِـيْـهَـا بِـهِ أَمْ لِقُلْبٍ مِنْ لُغَـاطٍ يَسْتَـمِـر

سليم بن أحمد الرشيد

الجزء من التراجم (٥٧٣ ترجمة) خاصة بالمحمدِيْن، ويلي هذا الجزء تراجم الأحمدين ثم بقية التراجم مرتبة على حروف الهجاء، وقد اكتفى المحقق الفاضل بوضع فهرس يشمل أسماء المترجمين كما وردت في الجزء ، ووعد بوضع فهارس مفصلة في آخر أجزاء الكتاب، وقد وقع هذا الجزء في (٥١٦) من الصفحات في طباعة حسنة، وصدر هذا العام (١٤١١هـ).

وما كان لي ـ وأَيْم الحقّ ـ إزاء هذا العمل الجليل الذي يقوم به أساتيذ مركز إحياء التراث إلا أن أُشيد بجهدهم، وأُحَيِّي نشاطهم، مستزيداً مما يبذلونه من جهود مشكورة.

ولعل من قبيل الاعتراف بفضلهم وتقديره أن أُحاول مذاكرتَهم ببعض كلمات مرت بي في المقدمة منها:

١ ــ قول الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالواحد مدير المركز في الكلام على كتابي «شفاء الغرام» و«العقد الثمين» ص ٨: (الذين اعتمد عليهما كثير ممن أرخوا للبلد في علم رجال الحديث). بصرف النظر عن كتابة (الذين) فمن المعروف أن «شفاء الغرام» ليس فيه ما يحمل المؤرخين على الاعتماد عليه في علم رجال الحديث، بخلاف «العقد الثمين» الذي يحوي تراجم للعلماء وغيرهم .

٢ ــ وفي ترجمة التقي الفاسي في مقدمة الأستاذ المحقق ص ١٩ عن «العقد الثمين» في الحاشية: (طبع بمصر بتحقيق حامد الفقي).

والواقع أنَّ الكتاب يقع في ثماني مجلدات، طبع المجلد الأول منه بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي، وبعد طبعه قدم لي الشيخ محمد سرور الصبان نسخة منه وأنا إذ ذاك في القاهرة، زارني هو والأخ الأستاذ السيد علي حسن فَدْعَق، فلما تصفحت الجزء أظهرت للشيخ الصبان أن التحقيق رَدِيْءٌ جِدًّا ، ويحسن أن يوكل تحقيق الكتاب إلى من هو أقدر من الشيخ الفقي، ونصحت بأن يتولى ذالك الأستاذ فؤاد السيد أمين المخطوطات في دار الكتب المصرية في ذالك العهد ، فوافق الشيخ الصبان، وعهد إليه بذالك ، فتولى تحقيق الكتاب حتى بلغ الجزء الثامن منه وتوفي أثناء طبعه فأكمله الأستاذ محمود محمد الطناحي، ولقد أَبْدَيْتَ

للشيخ الصبان ضرورة إعادة طبع الجزء الأول مُحَقِّقًا لكثرة مافيه من الأخطاء، فوعد ولا أدري ماذا تم في الأمر.

إذَنْ لا تصح نسبة تحقيق الكتاب إلى الشيخ حامد الفقي الذي توفي أثناء طبع الجزء الأول منه.

٣ ــ ص ١٩ المقدمة: «تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام» اختصره من الكتاب السابق).

والكتاب السابق هو «شفاء الغرام» والواقع أن كتاب «تحفة الكرام» ليس مختصراً من «شفاء الغرام». فقد ذكر مؤلفه ـ في الكتاب نفسه ـ أنه أُلِّفَ في سنة ٨١١هـ بصورة مختصرة، وبعد أن خرج من يده وانتشر في مصر والمغرب واليمن والهند عثر على بعض معلومات تدخل في موضوعه، ولذالك لم يتمكن من وضعها فيه، فألَّف بعده كتاب «شفاء الغرام» بصورة أكمل وأوفَى، وقد ألف «شفاء الغرام» فيما بين سنتي ٨١١ ــ ٨٢٠هـ.

وقد اطلعتُ على نسخة من كتاب «تحفة الكرام» المؤلف قبل «شفاء الغرام» في دار الكتب المصرية في أولها نقص بقدر ورقة، وذكر الأستاذ عبدالوهاب الدهلوي أن منه نسخة في (مكتبة عارف حكمة) في المدينة وأخرى في باريس.

ويظهر أن تقي الدين الفاسي أعاد تأليف كتاب «تحفة الكرام» مرة أخرى، فقد ذكر في مقدمة «تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام»: (ثم إنِّي بعد تسويدي لغالبه ـ يعني «شفاء الغرام» ـ وترتيب مابقي منه في ذهني، حزرت أن يكون في مجلدين ضخمين، فاستطلته واختصرته، كيلا يحصل للناظر فيه بسبب طوله مَلَلٌ، ولا يكون على المسافر في حمله ثِقَلٌ، وسميت هذا المختصر «تحفة الكرام بأخبار البلد الحرام» وهو في مقدار نصف أصله وأزيد، ثم إني اختصرت هذا المختصر في هذا الكتاب ليسهل تحصيله على المقيم والمسافر، وأفوز من دعائهما بحظ وافر، وسميت هذا الكتاب «تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام»، وعدد أبوابه أربعون باباً كأصله ـ وهو موافق له في كثير من العبارة) انتهى.

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية
المكتبة
KING FAISAL CENTER FOR RESEARCH AND ISLAMIC STUDIES

٤ ــ ص ٢٠ المقدمة: («المقنع من أخبار الملوك والخلفاء وولاة مكة الشرفاء»).

لم يشر المحقق الفاضل إلى أنه طبع منه القسم الأول إلى آخر خلفاء العباسيين في قازان (روسيا) سنة ١٨٢٢م في ٢٨ صفحة بعناية فرنسيس اردمن ـ على ماجاء في كتاب «معجم المطبوعات العربية والمعربة».

٥ ــ لم يذكر المحقق الفاضل من مؤلفات تقي الدين الفاسي كتاب «منتخب المختار، المذيل به على تاريخ ابن النجار».

فقد ألف الحافظ الخطيب البغدادي «تاريخ بغداد» ثم ألف ابنُ النجَّار ذيلاً له ثم جاء الحافظ تقي الدين محمد بن رافع السلامي المتوفى سنة ٧٧٤هـ فألف «المختار» المذيل به على «تاريخ ابن النجار»، فجاء المؤلف تقي الدين أبو الطيب الحسني الفاسي فانتخب هذا الكتاب، الذي قام بتحقيقه وطبعه المؤرخ العراقي المعروف الأستاذ عباس الغزاوي المحامي ـ رحمه الله ـ.

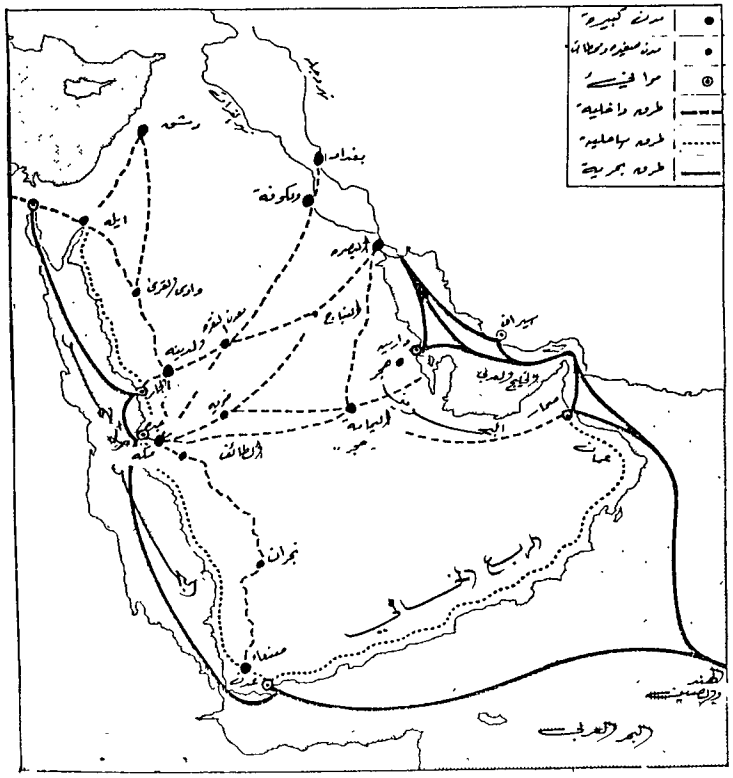

الطرق البرية والبحرية الموصلة إلى الحجاز المذكورة ص٤٤٧

نتيجة مسابقة أرامكو السعودية السنوية الثانية عشرة لرسوم الأطفال

تتقدم أرامكو السعودية، ممثلة بإدارة العلاقات العامة فيها، بخالص الشكر والتقدير لجميع الأطفال الذين شاركوا في مسابقتها السنوية الثانية عشرة لرسوم الأطفال، وبأحر التهاني للأطفال الذين فازوا في هذه المسابقة، وشجعهم على المشاركة.

وعلى الرغم من الظروف العصيبة التي مرت بها بلادنا الحبيبة والمنطقة ككل، والتي أنهاها الله بفضله وكرمه على خير وسلام، فقد وصلت إلى الإدارة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة لوحة من مختلف أنحاء المملكة، وقد اضطرت الإدارة أسفة إلى استبعاد عدد منها لعدم مطابقتها لشروط المسابقة. ودخلت المسابقة أكثر من ثلاثة آلاف لوحة في المملكة للمشاركة في المسابقة القادمة التي سيعلن عنها مع بداية العام الدراسي القادم إن شاء الله.

فيما يلي أسماء الفائزين في المسابقة

ابراهيم خليل صالح العنزي
مدرسة القنفذة بمكة المكرمة المتوسطة - عسير

ابراهيم عويض سالم العفير
المدرسة العلمية - عسير

آلي بروتوين
مدارس الأمل السعودية - الظهران

احلام سعد مهنا الشرهان
الروضة الثانية - الخبر

احمد ابراهيم الأشرم
مدارس مشارة - جدة

احمد حسين محمد نور الدين
مدارس نجد الأهلية - الرياض

احمد داخل العتيبي
متوسطة الملك فهد - الطائف

احمد شروان
مدرسة البراعم الابتدائية - ينبع

احمد عالي رداد الطلحي
متوسطة الملك فهد - الطائف

احمد عثمان علوب
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عسير

احمد ماهر طالب
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

احمد محمد بكر بالخير
مدارس دار الفكر - جدة

احمد محمد علي آل صانع
المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

احمد محمد عمر العسكري
المتوسطة الثانية - حائل

ادريس لافي معزي
مدرسة أسامة بن زيد الابتدائية - عسير

آراشي سوعناث
مستشفى جامعة الملك فيصل - الدمام

اريج عبد الرحمن محمد ابوبكر
المدرسة ١٧٤ الابتدائية - الرياض

إسلام احمد نظيم سليمان
مدرسة الحارث بن حلزة - الطائف

اضواء بنت سلطان آل سعود
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

الهام طالب سعد العمري الحربي
المدارس النموذجية الأهلية للبنات - الدمام

الينا زهير امظهر
ص.ب ١١٧ - الخبر ٣١٩٥٤ - الخبر

آمنة محمد يوسف ناعي
مدارس دار الفكر - جدة

إيلاف عبد المقصود محمد خوجه
مدارس دار الفكر - جدة

ايمن محمد النجار
مدرسة ابن الأثير الابتدائية - عسير

ايهاب حافظ محمد احمد عثمان
مدارس نجد الأهلية - الرياض

بتول محمد فلاح الملاحي
مدارس دار الفكر - جدة

بدور بنزيه علي جابر
ص.ب ١٠٣ جدة ٢١٤١١ - جدة

بشار احمد عبد العزيز السالم
مدرسة خمير بنه وصبيا - جدة

بندر فداع نوات
مدرسة ابها بحريم المتوسطة - عسير

ثامر احمد الصمعاني
مدرسة المحيط الابتدائية - الجبيل الصناعية

ثامر عبد الله القرعاوي
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

جيبي برانتك
بواسطة ضياء الدين ضانه - ينبع

حامد انور الحريري
مدرسة صفد الجزيرة الابتدائية - الدينة المنورة

حسين محمد الزاكي
المدارس النموذجية الأهلية للبنين - الدمام

حصه محمد عبد الله السويام
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

خالد شريم عمير الحربي
مدرسة الحويدث الابتدائية - الجبيل الصناعية

خير الدين صبري
مدارس ابها بحريم - الظهران

دلال عبد الله عبد العزيز العقيل
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ديم البابطين
المدرسة الفيصلية الاسلامية - الخبر

ديمه محمد البرجس
بواسطة عادل البرجس - الدمام

رامي سالم حصريم
مدرسة حراء الابتدائية - الجبيل الصناعية

رامي عبد الرحيم واكد ابوعقلين
مدرسة الحارث بن حلزة - الطائف

روى العمّاري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رشا يحيى مصطفى العطيات
منارة جدة للبنات - جدة

رضا تكليف عوده
مدرسة القصم بالله الابتدائية - عسير

رهاطارق عبد الوهاب اسماعيل
مدارس دار الفكر - جدة

رواء عبد الله العماري
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

روان رشاد رضا
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

رويشد لافي الرويلي
مدرسة ابها الابتدائية - عسير

ريما ماهر ابو الهدى خاشقجي
مدرسة الجبيل الصناعي - جدة

ريهام كريم عبد بليدي
مدرسة ليلى الغائم الابتدائية - الأفلاج

زهير عمر مختار
متوسطة رضاء - رضاء

زينب محمد عبد الله المشخص
ص.ب ٢١٩٦ الخبر ٣١٩٥٢ - الخبر

زينه السقاف
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

سايد حربي ناجي
مدرسة ابها الابتدائية - عسير

ساجي عبد اللطيف ابوشنب
مدارس ابها بحريم - الظهران

ساره احمد حسن مدير
مدارس الرياض الأهلية - الرياض

ساره سيد عبد الفتاح
مدارس الروضة الأهلية - الطائف

ساره عبد الله الحامدي
المدرسة السادسة والثلاثون - الدمام

سامر سمير ابراهيم بركات
مدارس نجد الأهلية - الرياض